بسم الله الرحمن الرحيم

جمهوريّة العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة
كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربيّة

دلالة البنى التركيبيَّة في السور القرآنيَّة القصار

رسالة تقدّم بها الطالب

عبَّاس عبد السادة شريف

إلى مجلس كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة – جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربيَّة .

بإشراف

الأستاذ الدكتور

فاخر هاشم الياسري

١٤٣٤ هـ

٢٠١٣ م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ
عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ
٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾

صدق الله العليُّ العظيم

العلق: ١ ـ ٥

الإهداء

إليك اللهم

لبنة في سلم الوصول إليك

لعلي أبلغ الأسباب

أسباب غفرانك ورحمتك

فأطَّلع إلى رضوانك الأكبر

الباحث

شكر وعرفان

. . . إليك ربّي ((وكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إيّاك يفتقر إلى شكر فكلّما قلت لك الحمد وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد)) . . . .

. . . إلى أوتاد الأرض الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا . . . محمد وآله الطاهرين . . .

. . . إلى أهلي . . . الّذين كلّما زاد تقصيري زادت رعايتهم :

- بحران من الحنان والكدِّ . . . لا برزخ بينهما . . . . فتمازجا . . . أمّي . . . . وأبي . . .

- جوهرتان . . . في ابتسامتيهما شروق شمسي . . . وفي دمعتيهما غروبها . . . . أختيَّ

- من أشدد بهما أزري وأشركهما في أمري أخواي . . . . (أحمد وعلي)

- عائلتي الكبرى . . . الّذين لا أنسى لهم فضل التربية والرعاية والدعاء . . . جدتي وأخوالي جميعا . . . .

. . . إلى الراحلين الكبيرين الّذين تمنيا هذا اليوم . . جديَّ المرحومين (أبي عبد السادة وأبي علي)

. . . إلى أستاذي الأوّل ومعلمي الأكبر . السراج الّذي أنار لي درب الحياة أبي الروحي . (الشيخ حيدر التميمي)

. . . إلى جبل العلم ومدعاة الفخر . . . أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور فاخر الياسري . . . . .

. . . إلى أساتيذي الّذين تلمذت على أيديهم في السنة التحضيريّة . . . ونهلت من عذب معينهم . . . (أ . د سامي علي جبار وأ . م . د سالم يعقوب يوسف و أ . م . د صيوان خضير خلف وأ . م . د فالح حمد أحمد وأ . م . د حسين عودة هاشم وأ . م . د سليمة جبّار غانم) .

. . . إلى رئاسة قسم اللغة العربيّة في كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة في جامعة البصرة .

. . . إلى العاملين في المكتبات الّتي رفدت الدراسة بعطائها : مكتبة الصحن الحيدري الشريف ، والمكتبة المركزيّة ومكتبة نازك الملائكة في كليّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة ومكتبة كليّة الآداب – جامعة البصرة ، والمكتبة المركزيّة ومكتبة كليّة الآداب – جامعة الكوفة .

. . . إلى الصدور الّتي شرّعت أبوابها لي أساتيذي الأفاضل (أ . م . د مجيد مطشر عامر وأ . م . د جابر محيسن عليوي وأ . م . د حيدر مصطفى هجر وأ . م . د هادي شندوخ حميد وأ . م . د . حيدر محمد رحم ود . أحمد علي حنيحن والأستاذ محمد دحّام نزّال والأستاذ مسلم هوني حسين والأستاذ يعقوب يوسف والأستاذ زمان عطا نجم والأستاذ أحمد عبّاس كامل والأستاذ ظافر السماوي والأستاذ خالد الشمس)

. . . إلى إخوتي في الدراسات العليا في جامعتي البصرة وذي قار .

إلى إلى عشير الروح . ورفيق العمر . صاحبي في بئر الشدة إذ يقول لي ((لا تحزن إنّ الله معنا)) . . (سيد أحمد مهدي)

إلى . . . . رفقاء الروح وإخوتي في الله أصدقائي الّذين وقفوا إلى جانبي في أصعب الظروف .

. . . إلى العاملين في قسمي الجنينة والكرمة رقم (٢) الداخليين . . . وبالخصوص الأب الحنون (أبو علي)

المحتويات

المُقَدِّمة

****

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها[1] . وأتمُّ الصلاة وأزكى السلام على سادة خلق الله أجمعين محالِّ علم الله، وعلل رحمته، والوسائل إلى التقرِّب إليه محمَّد المصطفى وآله الطاهرين النجباء .

أمَّا بعد ... فإنَّ القرآن الكريم يبقى المنهل الَّذي تستقي منه العلوم زادها وتجد فيه مرادها، وكلَّما تقدَّم العهد جدَّ رونقه، وتفتَّحت معارفه وتعمقت أغوار عمقه . ولعلَّ أكثر العلوم اتصالاً بالقرآن الكريم وارتواءً من عذب معينه هي العلوم اللغويَّة فقد نشأت في ظلِّ القرآن الكريم وخدمةً له، زيادة على أنَّ النصيَّة هي أبرز صفة للقرآن الكريم، والدرس اللغوي ميدانه النصوص .

ولا يخفى ما لدراسة القرآن الكريم من شرفٍ كبير وفائدة عظمى، إذ يقف الدارس على أعلى نصٍّ في الوجود متأملا لغته، باحثا في أسرار تعبيره المعجز الَّذي يأسر القلوب وتحار فيه الإفهام، وكأيِّ باحث يؤمن بالقرآن الكريم وشرف دراسته كانت الرغبة فيَّ جامحةً لدراسة كتاب الله العزيز والاستزادة من فيض عطائه، وإرواء ظمأ المعرفة لديَّ من عذب مناهله . والإقدام على هكذا مهمَّة ليس بالأمر اليسير لطالبٍ مثلي ما زال يراوح في أوّل الطريق، لكنَّ عطاء الله لا ينقطع

---
[1] من خطبة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

****

وفضله لا ينفد، فمنَّ سبحانه وتعالى على عبده الفقير برائد من روَّاد الدراسات القرآنيَّة وعالمٍ فذٍّ من علماء اللغة اجتمعت فيه غزارة العلم وتواضع العلماء والخبرة في دراسة اللغة القرآنيَّة وتأمُّل أسرار التعبير فيها، وهو غنيٌّ عن التعريف وجليٌّ للباحثين عطاؤه في اللغة والنحو والدراسات القرآنيَّة ذلك هو أستاذي الكبير الأستاذ الدكتور (فاخر هاشم الياسري) الَّذي شرَّفني الله بأن يكون المشرف عليَّ في بحثي للماجستير .

وبعد مداولات مع الأستاذ المشرف حول أكثر من موضوع للدراسة استقرَّ الرَّأي على دراسة (البنى التركيبيَّة في السور القرآنيَّة القصار)؛ والمقصود به دراسة بنية التركيب النحوي المتمثِّلة ببنى الجمل الخبريَّة والأساليب الإنشائيَّة؛ لما يمثله التركيب النحوي من أهميَّة دلاليَّة في فهم النص، فهو يمثِّل المرحلة اللغويَّة الَّتي ينضج فيها المعنى الَّذي يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي، ولا يخفى ما تحمله الجمل والأساليب من دلالات تتغاير بتغاير السياقات المتعددة، وتتلون النصوص بجماليَّات التعبير اعتماداً على جماليَّة جملها وأساليبها، وحسن توظيفها من قبل المتكلم .

وجاء اختيار السور القرآنيَّة القصار ميداناً لبحث دلالة البنى التركيبيَّة؛ لما تنماز به اللغة في هذه السور المباركة من خصائص تعبيريَّة حريَّة بالتأمل والدراسة، فالسور القصار ذات طابع تعبيريٍّ يهيمن عليه الإيجاز والتكثيف اللغوي؛ وذلك لما تتطلبه مقامات الخطاب فيها، فأكثر هذه السور سورٌ مكيَّة، ومقام الخطاب في مكة يتطلب إيجازاً في التعبير وتكثيفاً في دلالته، فقد جُوبه الدين الإسلامي في مكة بحملة شرسة من مشركيها، مما يستدعي الاقتصاد في التعبير والتكثيف في المعاني المراد تبليغها؛ للتغلب على أجواء الجلبة والتشويش الَّتي كانت تسود عمليَّة تبليغ آيات الله إلى عباده في مكة .

****

واعتمدت الدراسة المعيار العشرينيّ في انتقاء السور المراد دراستها، وهو المعيار الَّذي يعتمد على عدد الآيات في اختيار السور وحُدِّد العدد بعشرين آية فما دون، وقد سبقني إلى اعتماد هذا المعيار في كليَّة التربيَّة - جامعة البصرة الباحث (جلال الدين يوسف العيداني) في رسالته (دلالة البنيَّة الصرفيَّة في السور القرآنيَّة القصار).

ومن الدراسات الَّتي تناولت السور القصار رسالة (قصار السور دراسة أسلوبيَّة) للباحث (كريم طاهر عباس البعاج) في كليَّة التربية - جامعة بابل، وقد قصر الباحث دراسته على ثلاثين سورة تبتدئ بسورة الطارق وتنتهي بسورة الناس دون أن يحدد معياراً لهذا الانتقاء واكتفى بتعليل الاقتصار على هذه السور؛ بأنَّ خصائص السور القصار تتجلى فيها، خصوصا وأنَّها تتضمن ثلاثا وعشرين سورة من اقصر القصار .

ورسالة (السور القرآنيَّة القصار دراسة بلاغيَّة) للباحث (مهند عبد الرزاق) في كليَّة التربيَّة - جامعة البصرة، وقد اعتمد الباحث فيها معيار الأجزاء الَّذي يحدد سور الجزء الأخير من القرآن الكريم للدراسة واضاف إليها الفاتحة .

ورسالة (أسلوبية الالتفات محاولة تأصيليَّة وتطبيقية، قصار السور القرآنية أنموذجاً) للباحثة (نوافل يونس جاسم) في كليَّة التربية - جامعة ديالى، وقد اعتمدت فيها معيار المفصَّل ويحدد هذا المعيار السور الَّتي تكثر الفواصل في آياتها لقصر الآيات وتبدأ هذه السور من سورة (ق) إلى سورة النَّاس، وأضافت إليها سورة الفاتحة .

وأسباب اعتماد المعيار العشريني على حساب غيره هي :

١- اطِّراد المعيار العشريني في السور المنتقاة جميعاً، وعدم الحاجة إلى استثناء سورة من حدود المعيار وإدخالها ضمن السور المدروسة كما جرى لسورة الفاتحة في المعيارين الآخرين .
٢- وجود سور في الجزأين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين تتشابه في قصرها مع سور الجزء الأخير من القرآن الكريم، وهذا خللٌ كبير في معيار الأجزاء .

****

٣- إنَّ معيار المفصَّل اعتمد قصر الآيات داخل السورة في تحديد السور القصار، وليس قصر السورة نفسها، ومعلومٌ أنَّ قصر الآيات ليس دليلاً على قصر السور، فقد تكون السورة طويلةً، ولكن آياتها قصار كما في سور (الواقعة والرحمن والقمر)، فقد عُدَّت قصاراً اعتماداً على هذا المعيار على الرغم من أنَّها ليست سوراً قصاراً .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الغاية من المعيار هي الانتقاء لغرض الدراسة لا التحديد لغرض التقسيم، فليس الغرض من المعيار تقسيم سور القرآن الكريم إلى طوال وقصار وغيرها، وإنَّما الغرض منه انتقاء عيَّنة من السور تمثل لغتُها أهم خصائص السور المراد دراستها، وعليه فإنَّ السور الَّتي دُرست في هذه الرسالة ليست هي السور القصار جميعها، وإنَّما هي عيَّنة من تلك السور المباركة .

ولكنَّ الدراسة سعت إلى اعتماد أكثر المعايير قرباً من البحث العلمي . وكانت حصيلة المعيار سبعا وثلاثين سورة هي : (الفاتحة، والحجرات، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والتحريم، والطلاق، والمزَّمِّل، والانفطار، والطارق ، والأعلى ، والبلد، والشمس، والضحى، والشرح، والتين، والعلق، والقدر، والبينة، والزلزلة، والعاديات، والقارعة، والتكاثر، والعصر، والهمزة، والفيل، وقريش، والماعون، والكوثر، والكافرون، والنصر، والمسد، والتوحيد، والفلق، والناس) .

وبعد استقراء للبنى التركيبيَّة في السور المنتقاة جاءت خطة الدراسة على ثلاثة فصول تسبقها المقدمة وتتلوها الخاتمة .

جاء الفصل الأوَّل بعنوان (البنى التركيبيَّة عناصرها، ووسائل الترابط فيها)، وجاء على مبحثين الأوَّل (عناصر البنى التركيبيَّة) دُرس فيه دلالة أقسام الكلام (الاسم والفعل والحرف) من خلال أهم الأحوال الَّتي ترد عليها . أمَّا المبحث الثاني فحمل عنوان (وسائل الترابط في البنى التركيبيَّة)

****

تناولت الدراسة فيه أهمَّ وسائل الترابط في السور المدروسة وهي (الإحالة والتكرار والعطف) ودلالتها في الاستعمال .

وحمل الفصل الثاني عنوان (أنماط البنى التركيبيَّة) بحثت الدراسة في دلالة أنماط التركيب فيه، وهو على ثلاثة مباحث هي : المبحث الأوَّل (النمط الخبري) تناولت الدراسة فيه دلالة بنية التركيب الخبري الَّذي يتميز إلى نوعين هما : الجملة الاسميَّة والجملة الفعليَّة، من خلال تسليط الضوء على أهم الظواهر الَّتي رصدتها الدراسة في الجملتين، وقد رصدت الدراسة في الجملة الاسميَّة ثلاث ظواهر هي (دلالة الثبوت في الجملة الاسميَّة، وتعدُّد الخبر فيها، وطول بنائها)، أمَّا ظواهر الجملة الفعليَّة فهي (دلالة التجدد والتغير فيها، والبناء للمجهول، والنفي) . أمَّا المبحث الثاني فقد خُصِّص لدراسة الأساليب الإنشائيَّة تحت عنوان (النمط الإنشائي) ودُرس فيه أهم الأساليب وروداً في السور المدروسة وهي (الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، والقسم) . تلاه المبحث الثالث الَّذي حمل عنوان (النمط الشرطي) ودرس فيه (الدلالة الإيحائيَّة للتركيب الشرطي، والتوظيف الدلالي لأدوات الشرط) .

وخُصص الفصل الثالث الَّذي درس (العدول في البنى التركيبيَّة) اعتماداً على تعريفٍ للعدول تبنته الدراسة وهو أنَّ العدول ((خروجٌ عن المألوف القواعدي ضمن الحدود الَّتي تسمح بها القاعدة))، وقُسِّم هذا الفصل على مبحثين :
الأوَّل (التقديم والتأخير) وتناول التقديم والتأخير في العناصر الإسناديَّة وبُحث تحت هذا العنوان (تقديم خبر المبتدأ، وتقديم خبر النواسخ)، والتقديم والتأخير في العناصر غير الإسناديَّة وبُحث فيه (تقديم المفعول به، وتقديم الجار والمجرور) .
أمَّا المبحث الثاني فموضوعه (الحذف) وتناول ثلاثة موضوعات هي (حذف الحرف، وحذف المفرد، وحذف الجملة) .

ثم خُتمت الدراسة بخاتمة لُخِّصت فيها أهم نتائج البحث .

****
ومن الجدير بالذكر أنَّ كلَّ ما في هذه الدراسة من دلالات جاء بها الباحث من تحليله الشخصي إنَّما هي مبنيَّة على قاعدة (لعلَّ ..... والله أعلم)

وفي الختام إنَّما هذا جهد المقل، وحسب الإنسان أن يسعى، ومن الله التوفيق.

الفصل الأوّل

البنى التركيبيّة عناصرها

ووسائل الترابط فيها

الفصل الأوَّل / البنى التركيبيَّة عناصرها ، و وسائل الترابط فيها

يتألَّف الكلام من عناصر تدعى الكلمات، والكلمات تتآلف فيما بينها لتشكِّل تركيباً لغويَّاً يحمل ما اعتمل في ذهن المتكلِّم من أفكارٍ صبَّها في الكلمات ثم آلف بينها بوسائل تربطها ببعضها؛ ليوصل أفكاره إلى المتلقي بأنقى طريقة، وأنجع أسلوب.

ويتناول هذا الفصل العناصر التي تتشكل من خلالها بنية التركيب، باحثاً في دلالاتها من خلال تسليط الضوء على الأحوال التي ترد عليها في السور القرآنيَّة موضع الدراسة، محاولاً استكشاف هذه الدلالة عن طريق الإيحاءات التي تبثُّها تلك الأحوال، كما يبحث في وسائل تربط عناصر البنية التركيبيَّة، والدلالة التي تحملها كلٌّ من هذه الوسائل.

المبحث الأوَّل : عناصر البنى التركيبيَّة

يتناول هذا المبحث دلالة أقسام الكلام (الاسم، والفعل، والحرف) بوصفها العناصر التي تشكل المادة الخام لتكوين البنية التركيبيَّة، وستبدأ الدراسة بدلالة الاسم ثمَّ الفعل ثمَّ الحرف.

١- دلالة الاسم :

الاسم هو اللفظ الدالُّ على معنى مفردٍ دون الاقتران بزمن[١]، وهو بوصفه ركناً من الأركان التي يُبنى عليها الكلام، لا شكَّ في أنَّ وجوده في التركيب ينطوي على دلالات مختلفة تتعدَّد بتعدُّد الأحوال التي يرد عليها، وفيما يأتي عرضٌ لأهمِّ دلالاته في تراكيب السِّور موضع الدِّراسة موزَّعةً بحسب الأحوال الَّتي ورد عليها:

---

[١] ينظر: الأصول في النحو ، ابن السراج : ١/ ٣٦ ، وشرح ابن عقيل ، بهاء الدين الهمداني : ١ / ١٥

أ- **التَّنكير والتَّعريف :**

التَّنكير والتَّعريف من أكثر الموضوعات النحويَّة وروداً في كتب النُّحاة[١] ،فـ**"العربيَّة مدوامة الرِّعاية للتَّعريف والتَّنكير في تأليف الجملة "**[٢] .

والنَّكرة هي **" الاسم الموضوع على أن يكون شائعاً في جنسه "**[٣]، وهي **" ما شاع في جنس موجود في الخارج تعدُّده، أو مقدَّر وجود تعدُّده فيه"**[٤].

أمَّا المعرفة فهي **" الاسم الموضوع على أن يخص واحداً من جنسه "**[٥]، وهي **" ما وضع ليستعمل في معين"**[٦] .

ولكلٍّ منهما موضعه الَّذي يتطلبه، ولا يحسن فيه غيره[٧] .

فصَّل العلماء في دلالات التَّنكير و التَّعريف، وأكثروا من التَّنظير فيها، غير أنَّ الدِّراسة سوف تعرض عن التَّنظير مكتفية ببيان الدَّلالة من خلال التَّطبيق المباشر على الآيات الشريفة؛ لأنَّ الدلالة يحدِّدها السِّياق والقرائن التي تحيط بالكلام، يقول الدكتور عبد الجليل عبد الرَّحيم : **" والواقع أنَّ هذه الأسباب التي يذكرها المفسِّرون وغيرهم ليست أسباباً بالضرورة للتَّنكير أو التَّعريف بل إنَّ الأسباب كامنةٌ في القرائن المحيطة بالكلام ...فالبلاغة القرآنيَّة حين ندرسها بصدد التَّعريف والتَّنكير تفيد أكثر بكثير مما يفيده مجرَّد التَّعريف أو التَّنكير فيما لو أُخذا لوحدهما دون القرينة التي تحتوي عليها الآية "**[٨] .

---

[١] ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السِّيوطي : ١ / ١٨٨
[٢] التَّطور النَّحوي للغة العربيَّة ، برجشتراسر : ١٤٧
[٣] ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي :٣ / ٩٠٧
[٤] شرح كتاب الحدود في النحو ، الفاكهي : ١٣٣
[٥] ارتشاف الضرب : ١ / ٣٩٥
[٦] شرح كتاب الحدود في النحو : ١٣٤
[٧] ينظر : لغة القرآن الكريم ، د. عبد الجليل عبد الرحيم : ٣٤٤
[٨] المصدر نفسه : ٣٤٣ – ٣٤٤

****
ومن أمثلة التنكير :

قوله تعالى :﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ **(الممتحنة : من ٤)**

الأسوة **" اسم للمؤتسى به أي كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤتسى به ويُقتفى أثره"**[١]، وقد جاء الاسم (أسوة) في الآية الشريفة نكرةً مخصصةً بوصف، ومن دلالات التنكير التعظيم[٢]، فقد دلَّ تنكير (أسوة) في هذا الموضع على تعظيم التَّأسي بإبراهيم (عليه السلام) والَّذين معه في موقفهم الرَّافض للكفر بالله تعالى، ومعاندتهم قومهم المصرِّين على غيِّهم وعنادهم .

ويعضد هذا المعنى أنَّ الاسم (أسوة) جاء موصوفاً بالحُسْن في قوله تعالى :﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فوصْفه بالحسن يدلَّ على تعظيم التأسي والحثِّ على الاقتداء بالمؤتسى به.

ويُلحظ أنَّ في الآية حثَّاً للمؤمنين على الوقوف بوجه الظَّالمين و معاندة القوم الضَّالين أسوة بنبيِّ الله إبراهيم (عليه السلام) ومن كان معه .

ومن مواضع التنكير الأخرى قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾**(الطارق)**، تتحدَّث الآية الشريفة عن تجريد الإنسان من مطلق القوَّة والنَّصر، فجاء الاسمان (قوَّة، وناصر) نكرتين؛ لأنَّ **" النكرة لا تدلُّ على عين الشيء "**[٣] وإنَّما وإنَّما على جنسه، فالإنسانسوف يبقى أعزل دون قوة أو ناصر ينصره، وذلك ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ ﴾**(الطارق)**، وقد جاء الاسمان (قوَّة، وناصر) في سياق النفي و**"إذا كانت النكرة في حيِّز النفي، أو شبهه كانت دلالتها على العموم أرجح"**[٤].

---
[١] الكشاف ، الزمخشري : ٦ / ٩١
[٢] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٢ / ٣٦
[٣] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ١٤٢
[٤] معاني النحو، د. فاضل السامرائي : ١ / ٣٦

****

وانتقالاً إلى دلالات أخرى للتنكير نقف عند قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾ (المسد)، في الآية الشريفة وعيدٌ لأبي لهب، وإنباءٌ بالمصير الذي ينتظره جرَّاء ما اجترحت يداه، وذلك المصير المحتوم هو النَّار التي يشوي لهبها كلَّ شيء .

وقد جاء ذكر النَّار نكرة؛ ليفتح نافذة الإيحاء على دلالات عدة تنبع من سياق الوعيد والتأنيب الشديد الذي عمَّ أرجاء السورة.

فالتنكير هنا فيه دلالة على التهويل، وقد افتُتحت السورة بتقريع شديد، ووعيد لأبي لهب وهو الوحيد من أعداء الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي صرَّح القرآن الكريم بذكره مكنيَّاً إياه، مما يدلُّ على دوره الكبير في إيذاء الرسول (صلى الله عليه وآله)، و يُلحظ أنَّ (ناراً) جاءت موصوفةً بـ(ذات لهب) واللهب صفة ملازمة للنَّار، ولكن جِيء بهذا الوصف تهويلاً لأمر النَّار وبياناً لشدَّتها، فهو يرسم لنا صورةً للنَّار تقذف الرعب في قلب المتلقي، فتتولَّد من التهويل دلالة التخويف من هذه النَّار العظيمة، وهذه الدلالة على التخويف محمَّلة بالدلالة على الوعظ، فهذا المصير المشؤوم خير واعظ لمن تسوِّل له نفسه أن ينهج طريق أبي لهب في موقفه من الرسول وإيذائه له .

ويلحظ أيضاً أنَّ في هذا التنكير دلالةً على التعظيم، فالإبهام الذي تبثه النكرة يدلُّ على عظمة هذه النَّار التي يصعب اكتناه حقيقتها والإحاطة بخصائصها .

إنَّ هذه الدلالات المنبثقة من تنكير النَّار تناسب ما اكتنف اللفظة من سياق محمَّل بمعاني الشدة و التعظيم والوعيد .

ومن أمثلة التعريف :

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ (الفاتحة)، وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (التغابن)، تُقرِّر الآيتان الشريفتان اختصاص الحمد و الملك بالله (عزَّ وجلَّ)، وجيء فيهما بلفظي (الحمد والملك) معرفين بـ(ال) التعريف .

ومن المعاني التي تدلُّ عليها المعرفة استغراق جنس الأفراد[1]، وقد تأكَّدت هذه الدلالة في الآيتين الشريفتين بدخول (ال) التعريف التي تفيد دلالة استغراق الجنس على (الحمد ، والملك) .

إنَّ دلالة الاستغراق هنا تفيد شموليَّة الحمد والملك وثبوتهما لله (عزَّ و جلَّ) في كلِّ الأحوال، فلو كان التعبير بـ (لله حمد ، أو له حمد وله ملك) لدلَّت الآيتان على جزء من الحمد ، والملك لله عزَّ وجلَّ .

و أفادت المعرفة في هذا الموضع دلالة اللزوم ، والثبات، " **ويختلف المعنى لو كان التعبير بالتنكير .. فينتقل من الثبات واللزوم إلى التغير**"[2].

ومن مواضع التعريف الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (الحجرات)، تتعلَّق الآية الشريفة بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾، وبعد أن ذكرت الآية سوء تصرُّفهم، بيَّنت ما ينبغي عليهم القيام به من الصَّبر، ثمَّ خُتمت الآية بذكر المغفرة والرحمة طمأنةً لمن أساء بأنَّ الفرصة موجودة لتصحيح الخطأ، وقد اقترن ذكر المغفرة والرحمة باسم علم هو لفظ الجلالة، ولفظ الجلالة " **أعرف المعارف** "[3]، فأفادت العلميَّة هنا الوضوح الذي يتناسب مع اتصاف الله بالمغفرة والرحمة .

ومن دلالة التعريف بالعلميَّة ننتقل إلى دلالة التعريف بالإضافة، ونتأمل قوله تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الزلزلة)، جاء الاسم في الآية الشريفة (ربَّك)

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : ٢ / ٢٧ ، البلاغة والأسلوبيَّة ، د. محمد عبد المطلب : ٣٤٧ ،و البنى النحويَّة وأثرها في المعنى ، أحمد عبد الله حمود العاني، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب – جامعة بغداد : ١٢١
(2) دراسة أسلوبيَّة في سورة الكهف ، مروان محمد سعيد عبد الرحمن ، رسالة ماجستير، كليَّة الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنيَّة : ١٤٣
(3) حاشية الصبَّان على شرح الأشموني ،الصبَّان: ١ / ١٨٤ ، وينظر : همع الهوامع : ١ / ١٩١

****

معرفا بالإضافة ، والربُّ يعني المالك[١] الذي يصلح أمور مملوكه[٢]، والمتأمِّل في الجو العام للسورة يجد دقةً في استعمال (ربّ) دون غيره من الألفاظ العائدة على الله تعالى فالسورة هي :بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

فالإنسان يتساءل مستغرباً عن حال من الأرض لم يألفها من قبل إذ عهدها ذلولاً و مهاداً[*]، فتجيبه الأرض بأنَّ الأمر ليس لها، وإنَّما المالك الذي جعلها في السابق ذلولاً ومهاداً أمرها أن تكون على ما هي عليه الآن؛ فجاء استعمال (ربّ) بما يحمله من دلالة على الملكية متناغماً مع الجو العام للسورة .

ب- الإفراد والتثنية والجمع :

وهي أحوالٌ يتعدَّد الاسم فيها بحسب عدده، فتارةً يكون واحداً فحاله الإفراد، وتارةً يكون اثنين فحاله التثنية، وتارةً يكون أكثر من ذلك فحاله الجمع .

وهي **" من الملامح الصرفيَّة المهمَّة التي يجب أن تؤخذ بالاعتبار عند اختيار البنية الصرفيَّة لبعض الوظائف النحويَّة "**[٣] وأهميتها **" تبرز بوضوح اعتماداً على مراعاة العلائق بين المفردات في التركيب "**[٤] .

إن دلالة اللفظة في سياقٍ ما تكمن في أنَّها تتأبَّى على أن تُستبدل بغيرها، فيُبحث في الدلالة التي جعلت هذه اللفظة أليق من غيرها في المقام الذي وردت

---

[١] ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : (مادة ربب)، ١ / ٣٩٩
[٢] ينظر : اشتقاق أسماء الله ، الزجاجي : ٣٣
[*] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ ﴾ **(النبأ)** ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ **(الملك)**
[٣] دور البنية الصرفيَّة في وصف الظاهرة النحويَّة ، لطيفة إبراهيم النجار: ١٥٩
[٤] المصدر نفسه والصفحة .

****

فيه؛ فمنع الاستبدال، **" فإنَّ البلاغة لا تجيز إلا معنى واحداً في المقام الواحد يقوم به لفظٌ بعينه لا يقوم به سواه "**[1] .

أمَّا الألفاظ التي يستحيل استبدالها بغيرها فإنَّها في موقعها المخصص لها فلا يُبحث لها عن دلالة، فمثلا في قوله تعالى :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾**(الناس)**، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ **(الفلق)**، لا يمكننا البحث في دلالة إفراد (ربّ)؛ لأنَّه يستحيل أن يقال (ربيَّ الناس)، أو (أرباب ..)؛ لاستحالة وجود شريك لله، فالله تعالى هو ربَّ هذا الكون وحده لا شريك له، ولا عديل .

وكذا الأمر في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾ **(التحريم: من ١٠)** ، فلفظتا (عبدين ،و صالحَين) لا يمكن استبدالهما بـ(عبدٍ، و صالحٍ)، أو (عباد، و صالحِين)؛ لأنَّ الحديث عن نوح ولوط (عليهما السلام) فالتثنية هنا في موضعها الذي لا يمكن استبدالها فيه بغيرها ، وكذا قوله تعالى : ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ **(الصف: من ١٤)**، فلا يمكننا استبدال (الحواريِّن) بـ (الحواريِّ)، أو (الحوارييَّن)؛ لأن عيسى (عليه السلام) موجهٌ كلامه إلى أصحابه، وعدتهم اثنا عشر.

أما المواضع الَّتي يمكن فيها الاستبدال فستبحثها الدراسة فيما يأتي :

١- دلالة الإفراد :

الإفراد هو **" شكل الكلمة، ومادَّتها الأصليَّة التي تتكون منها، وصيغتها التي بُنيت عليها حروفها ."**[2]، وهو مجيء الاسم واحداً لا مثنى، ولا مجموعاً، فالإفراد أصل التثنية والجمع، يقول سيبويه (ت١٨٠هـ) : **" واعلم أنَّ الواحد أشدُّ تمكناً من الجميع؛ لأنَّ الواحد هو الأوَّل..."**[3].

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن : ١ / ٢٩
(٢) الدلالة الإيحائيَّة في الصيغة الإفراديَّة ، د. صفيَّة مطهري : ٧
(٣) الكتاب ، سيبويه : ١ / ٢٢

****

إنَّ انتقاء الصيغة المفردة دون أختيها في الاستعمال القرآني له دلالته التي ستحاول الدراسة تسليط الضوء عليها في الآيات الشريفة .

ونبدأ البحث في دلالة الإفراد بقوله تعالى : ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (الممتحنة: من ٤)، تستثني الآية الشريفة القول المحكي عن إبراهيم (عليه السلام) وهو قوله : ((لأستغفرنَّ لك ...)) من الموقف البطولي الَّذي دعا القرآن الكريم فيما سبق إلى التأسي به .

والاسم المفرد المراد الحديث عنه في الآية الشريفة هو (شيء) وقد دلَّ إفراده في الآية الشريفة على التقليل **" أي ليس في وسعي إلَّا الاستغفار لك، ولا أستطيع أن أنفعك بأكثر من هذا "**[1]، فالإنسان لا يملك لأحبته إلَّا الدعاء لهم والاستغفار، و أمَّا نفعهم و إخراجهم من الضلالة إلى الهدى فيحتاج إلى حركة من المدعو له نحو صراط الحق؛ كي ينير الله تعالى فؤاده بنور الهدى، ويغلق عنه أبواب الضلالة .

ويؤكِّد دلالة التقليل هنا دخول حرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض على (شيء)، فإبراهيم (عليه السلام) لا يملك لأبيه جزءاً من الشيء لهدايته .

وفي إطار البحث في دلالات أخرى للإفراد نقف متأملين قوله تعالى : ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ (المزمل)، والمراد بالمشرق والمغرب في الآية الشريفة **"أوَّل النهار وآخره "**[2]، ومجيء المشرق والمغرب مفردين فيه دلالة على الوحدة،فالقرآن استعملهما في مواطن أخرى على حال التثنية والجمع[*] لكنَّه أفردهما هنا بوصفهما جهتين نسبيتين **" تشملان جهات العالم المشهود كلِّها، وإنَّما اختصا بالذكر لمناسبة ما تقدَّم من ذكر الليل والنَّهار**

---

(١) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي : ٢٨ / ٦٧

(٢) مجمع البيان لعلوم القرآن ، الشيخ الطبرسي : ١٠ / ١٨١

(*) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ الرحمن ، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ المعارج

****

المرتبطين بالشروق والغروب "[1]، إنَّ دلالة الوحدة في هذا الموضع تفضي بنا إلى الدلالة على وحدة العالم، ووحدة العالم دليل على وحدانيَّة الإله الذي يدبر أموره، يقول السيد الطباطبائي : **" ليكون قوله ربُّك ربُّ المشرق والمغرب – وهو في معنى رب العالم كله – توطئةً وتمهيداً لقوله بعده ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يعلّل به توحيد الإلوهية "**[2] .

ومن المواضع الَّتي تعددت فيها دلالة الإفراد قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ **(البلد)**، و**" العقبة طريق وعرٌ في الجبل "**[3]، وذكر المفسِّرون لاقتحام العقبة ثلاثة معانٍ هي :

١- مجاهدة النفس، وترويضها على الإنفاق في سبيل الله بدلاً من هدر المال في أمور لا نفع فيها[4]، وهذا المعنى من باب﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾**(البقرة)**.

٢- التخلص من جهنَّم، أو عقبةٍ بين الجنَّة والنَّار[5]، أو جبلٍ في جهنَّم[6].

٣- الجواز على الصراط الذي يوضع فوق جهنَّم، ويجوز عليه النَّاس يوم القيامة[7] .

إنَّ هذه الآراء الثلاثة تشير إلى أنَّ اقتحام العقبة أمرٌ صعبٌ ذو مشقة، ثمَّ بيَّنت السورة المراد بالعقبة، وذلك أنَّها أفعال خيرٍ يقوم بها الإنسان ليخلِّص نفسه من هذه الصعوبة، وهذه الأفعال هي : ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ **(البلد)**، ومن المعلوم أنَّه لا ضير في أن يفك الإنسان أكثر من رقبة ، أو يطعم أكثر من يتيم أو مسكين، ولكن التعبير

---
[1] **المیزان في تفسير القرآن ، السيد الطباطبائي : ٢٠ / ٧٢**
[2] **المصدر نفسه والصفحة .**
[3] **المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني : مادة (عقب) / ٣٤١**
[4] **ينظر: الكشاف : ٦/ ٣٧٧-٣٧٩ ، ومجمع البيان ١٠/ ٤١٢، والميزان: ٣٣٢/٢٠**
[5] **ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٤١٢ ، و زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين البغدادي : ٩ /١٣٤**
[6] **ينظر : المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، ابن عطية : ٥ / ٤٨٥ ، وزاد المسير :٩ /١٣٣**
[7] **ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٤١٢ ، وزاد المسير : ٩ / ١٣٤**

****

هنا جاء بالإفراد، وفي هذا دلالة على الوحدة التي تفضي بنا إلى التسهيل على الإنسان، وهذا الأخير يفضي بنا إلى الترغيب في هذه الأفعال، من خلال الحثِّ عليها بهذا الأسلوب الجميل المعبِّر الذي ينجذب المتلقي إليه منصاعاً دون مللٍ أو نفور . لقد دلَّ إفراد (رقبة، ويتيم، ومسكين) على ثلاث دلالات تتولَّد الثانية من الأوَّلى، والثالثة من الثانية.

ومن المواضع الَّتي يجدر الوقوف عندها للتأمُّل في دلالة الإفراد فيها قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق : من ١٢)، فقد أفرد القرآن الكريم لفظ الأرض، وجمع السماء، ويُلحظ أنَّه تحاشى الجمع فأردف الأرض بما يدلُّ عليه وهو قوله (مثلهنَّ)، ولم تُجمع الأرض في القرآن الكريم قطّ، وفي هذا دلالة حاول الباحثون الكشف عنها، فقيل إنَّ جمعها ثقيل والبلاغة القرآنية تتحاشى الثقل[١]، وهذا الرأي يتعارض ونظرية عبد القاهر الجرجاني في قوله : **" الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وأنَّ الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ "**[٢] .

ومما يضعف هذا الرأي أنَّها قد وردت جمعاً في الحديث الشريف إذ يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) **" من ظلم قيد شبر من الأرض طوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين "**[٣]، وفي نهج البلاغة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : **" فإنَّ الله وارث العباد و البلاد و ربُّ السموات السبع و الأرضين السبع و إليه ترجعون "**[٤]، و ورد في الدعاء **" سبحان الله ربِّ السماوات السبع وربِّ الأرضين السبع ... "**[٥]،

---

[١] **ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ١٢٩٤، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، د. مصطفى صادق الرافعي : ١٦٠**
[٢] **دلائل الإعجاز : ٤٦**
[٣] **مسند أحمد ، احمد بن حنبل : ٦٤/٦**
[٤] **شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ٣ / ١٧٥**
[٥] **بحار الأنوار ، العلامة المجلسي : ٧٣ / ٢٣٦**

****

ومعلوم أن الرسول (ﷺ) وأهل بيته لا يقلُّون فصاحة عن القرآن الكريم، فليس من المعقول أن يستعملوا ما تجنبه القرآن لثقله .

ويمكننا التماس سرِّ هذا الاستعمال من خلال النظر للقرآن الكريم بوصفه مصدراً لتشريع القوانين التي تنظم حياة الإنسان، فهو من هذا الجانب يتحدث عن الإنسان، وما يتعلَّق به فذِكْرُ السماوات جمعاً بوصفها مكان تواجد الملائكة، وفي كلِّ سماء هنالك ملائكة مكلفون بشأن ما[*]، أمَّا الأرضون فإنَّ ما يتعلق منها بحياة الإنسان هو فقط هذه الأرض التي نعيش عليها، فأفرد القرآن الكريم الأرض دلالةَ على الفضاء المكاني لتطبيق الشريعة السماويَّة .

وأمَّا الأحاديث الشريفة فإنَّها تتحدث عمَّا هو أعمَّ من الإنسان وما يحيط به، فموضوعات السنَّة الشريفة أعمَّ من موضوعات القرآن بدليل أنَّها فصَّلت ما أجمله القرآن الكريم .

٢- دلالة التثنية

التثنية : هي ما دلَّ على اثنين أو اثنتين، وعرَّفها الزجاجي (ت٢٣٧) بقوله :**" إن قال قائل : أخبرونا عن التثنية ما معناها ؟ قلنا له : هو[*]ضم اسم إلى اسم مثله في اللفظ، فيختصر ذلك بأن يقتصر على لفظ أحدهما، إذ كان لا فرق بينه وبين الآخر "[١]** وهي **" أداةٌ وظيفيٌّ صرفيٌّ ، ونحويٌّ "[٢]**، ، وفي التثنية **" تتداخل المستويات اللغويَّة من صوتيَّة وصرفيَّة ونحويَّة وبلاغيَّة ودلاليَّة "[٣]**، وأصلها العطف **" فحذفوا العاطف والمعطوف، وأقاموا حرف التثنية مقامهما اختصاراً "[٤] .**

(*) كما هو مفصل في قصة الإسراء والمعراج .
(*) قال المحقق د.مازن المبارك " أي معناها " : الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي : ١٢١ هامش (١)
(١) الإيضاح في علل النحو : ١٢١
(٢) دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار ، د. جلال الدين يوسف العيداني : ١١٤
(٣) البنيات الأسلوبية في شعر أبي تمام ، أ.د. سامي علي جبار، بحث منشور في مجلة المورد، مج٣٧ ع١ ١٠:٢٠١٠
(٤) أمالي ابن الشجري ، علي بن محمد بن حمزة العلوي : ١ / ١٣

****

قلَّل الأسلوب القرآني من استعمال التثنية في السور موضع الدراسة فقد أحصى الدكتور جلال الدين يوسف العيداني خمس صيغٍ فقط لورود التثنية فيها[١]، غير أنَّ الدراسة أحصت ست صيغٍ أخرى لم يذكرها الدكتور جلال الدين، وهي (ذوي)[*] في قوله تعالى :﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (الطلاق: من٢)، و (يدي) في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾(الصف:من٦)، و (صالحين)[**] في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾(التحريم:من ١٠)، (عينين، وشفتين، والنجدين) في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد).

وأشار الدكتور جلال الدين إلى دلالة هذا التقليل قائلا : **" ودلالة هذا هو التركيز على الحكم الجمعي وليس الاثنين فقط وهي غاية الشريعة السمحاء في هداية النَّاس جميعا لا الاقتصار على فئة دون غيرها "[٢] .**

إن استعمال المثنى في السور المدروسة – على الرغم من قلته – لا يخلو من دلالة ستحاول الدراسة تسليط الضوء عليها في ما يأتي :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ (المسد)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحجرات:من ١)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾(الصف: من ٦)

---

[١] ينظر : دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ١٢٣
[*] أجابني الدكتور جلال الدين عنها بأن دراسته صرفية وهي لا تدخل ضمن دراسة البنية الصرفية .
[**] وضعها الدكتور جلال الدين في جدول جمع المذكر السالم ، ينظر : دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ١٣٥ جدول (أ)
[٢] دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ١٢٢

****

استعمل القرآن الكريم في الآيات الثلاث تثنية (يد)، وعلى الرغم من اتحاد الألفاظ يُلحظ أنَّ لكل واحد منها دلالته الخاصَّة التي تباين دلالة الآخر، وهذا ما انماز به الأسلوب القرآنيُّ من سعة في التعبير، وإكساء الألفاظ دلالاتٍ مختلفة .

ففي سورة المسد تدلُّ اللفظة بدءاً دلالة حقيقية على اليدين، ثمَّ ينبثق من هذا المعنى معنى آخر مجازي، وهذا ما عبَّر عنه الجرجاني (ت٤٧١) بـ(معنى المعنى)[١] ، والمراد بالتباب الهلاك والخسران[٢]، وقد ذكر المفسِّرون أكثر من رأي في دلالة لنسبة التباب إلى اليدين، قال الزمخشري (ت٥٣٨) **" والمراد هلاك جملته "**[٣] أي أنَّ التعبير هنا مجازي علاقته جزئيَّة إذ جاء بلفظ الجزء وأراد به الكلَّ .

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ المراد تباب أعماله؛ لأن اليدين هما مصدر الكسب والربح[٤] أي أنَّ المجاز علاقته سببيَّة فجاء بلفظ السبب وأراد به المسبَّب . وجمع ابن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ) بين الرأيين بقوله : **" وأسند الفعل إلى اليدين مجازاً؛ لأنَّ أكثر الأفعال تزاول بهما وإن كان المراد جملة المدعو عليه"**[٥].

وقال السيد الطباطبائي : **" يد الإنسان هي عضوه الذي يتوصل به إلى تحصيل مقاصده وينسب إليه جل أعماله، وتباب يديه خسرانهما فيما تكسبانه من عمل، وإن شئت فقل بطلان أعماله التي يعملها بهما من حيث عدم انتهائها إلى غرض مطلوب وعدم انتفاعه بشيءٍ منها "**[٦]، ولعلَّ الرأي الثاني أكثر رجحاناً من الأوَّل؛ لأنَّ تباب نفسه مقصود في السورة بقوله تعالى :﴿وَتَبَّ ﴾، قال ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧) :**"عن ابن عباس، قال : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ ﴾**

---

[١] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٦٣
[٢] ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٥٣٦
[٣] الكشاف : ٦ / ٤٥٥ ، وينظر : تفسير المراغي : ٣٠ / ٢٦١
[٤] ينظر المحرر الوجيز : ٥ / ٥٣٤ ، وتفسير البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسي : ٨ / ٥٢٦
[٥] اللباب في علوم الكتاب : ٢٠ / ٥٤٨
[٦] الميزان : ٢٠ / ٤٤٤

****

قال : خسرت، ﴿وَتَبَّ﴾ قال : خسر"[1]، وقال الآلوسي – معترضا على الرأي الأوَّل - : **" والقول في ردِّه أنَّه يشترط أن يكون الكلُّ يعدم بعدمه كالرأس والرقبة، واليد ليست كذلك "**[2] .

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المراد باليدين هو معناهما الحقيقي، وذلك لارتباطهما بسبب النزول، وهو أنَّ أبا لهب أراد رمي الرسول (ﷺ) بحجر؛ فنزلت السورة توبيخاً له على ما أقدم عليه[3]. ويمكننا الاعتراض على هذا الرأي بأنَّ سبب النزول ليس محلَّ إجماع، فقد ذكر الفخر الرازي (ت٦٠٤) أربع حوادث قيل إنَّها سبب نزول السورة[4]، ولو كان المراد المعنى الحقيقي لعبَّر بالإفراد إذ إنَّ إنَّ الرمي يكون بيد واحدة لا بكلتيهما . وقد ذكر السيد محمد الصدر الآراء الثلاثة[5] ، واعترض على رأي السيد الطباطبائي قائلا : **" ولكن لو اقتصرنا على على ما ذكره الميزان كان معناه أنَّ اليدين هي سبب الذنوب كلِّها، وليس كذلك فإنَّ العين والبطن وغيرهما سبب الذنوب أيضاً. نعم ذكرت اليدان لأهميَّتهما في مورد التنزيل"**[6]. ويمكننا مناقشة اعتراض السيد الصدر من أكثر من وجه :

الأوَّل / إنَّ السيد الطباطبائي قال **: " جلُّ أعماله "** ولم يقل كلَّها حتى يكون المعنى نسبة الذنوب كلِّها إلى اليدين .

الثاني / إنَّ السيد الصدر اعترض بعد ما نقل جزءاً من كلام السيد الطباطبائي الذي تقدَّم ذكره وهو قوله **: " يد الإنسان .....إلى قوله فيما تكسبانه من عمل "**، لكن السيد الطباطبائي يخصُّ اليدين في النص الكامل بعد الكلام الذي اقتصر عليه السيد الصدر، إذ يقول : **" وإن شئت فقل بطلان أعماله التي يعملها بهما "** أي اليدين .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم الرازي : مج ١٠ / ٣٤٧٣
(2) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الآلوسي : ٣٠ / ٢٦٠
(3) ينظر : تفسير أبي السعود، أبو السعود بن محمد العمادي : ٥ / ٥٨٩، و تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور : ٣٠ / ٦٠١
(4) ينظر : تفسير الفخر الرازي، الفخر الرازي : ٣٢ / ١٦٦- ١٦٧
(5) ينظر : منة المنان في الدفاع عن القرآن ، السيد محمد الصدر : ١٠٧ – ١٠٨
(6) منة المنان : ١٠٨

****

الثالث / إنَّ السيد الطباطبائي لم يكن حديثه عن الذنوب، وإنَّما عن الأعمال، والعمل أعمُّ من الذنب، بدليل أنَّه يقول : " **بطلان أعماله من حيث عدم انتهائها إلى غرض مطلوب، وعدم انتفاعه بشيءٍ منها** "، ومعلوم أنَّ الذنب لا يُرتجى منه غرض مطلوب، ولا ينتفع به صاحبه .

الرابع / إنَّ نسبة الذنوب التي تصدرها الجوارح الأخرى إلى اليدين أسلوب استعمله القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ **(الحج)** ، فالجدال بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ذنب يصدره اللسان، ولكنَّنا نجد القرآن ينسبه إلى اليدين بقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾ .

وأمَّا قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾**(الحجرات:من ١)**، فإنَّ المعنى الحقيقي لليدين الجارحتين غير مقصود في الآية أبداً، إذ حدث تغيُّر دلاليٌّ في معنى اللفظة، يقول الزمخشري : " **وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان، أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه، فسُمِّيت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين من القرب منهما توسعاً كما يسمَّى الشيء باسم غيره إذا جاوره**"[(١)]، والمراد من الآية النهي عن التصرف بقول أو فعل من دون إذن من الله تعالى ورسوله(صلى الله عليه وآله)[(٢)] . إذن فاليدان " **مجازان عن الجهتين اليمين والشمال مجازاً مرسلاً بعلاقة الجوار، ثم استُعيرت الجملة الناهية عن التقدم في الجانبين إلى معنى النهي عن الحكم بأي شيء قبل حكمهما**"[(٣)]، ومن المفسرين من يرى أن اللفظة انتقلت بعلاقة الجوار إلى معنى الأمام؛ لأن ما

(١) الكشّاف : ٥ / ٥٥٤ ـ ٥٥٥
(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢١٦
(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، عبد الكريم المدرس : ٧ / ١٦٥

****

بين يدي الشيء أمامه[١]، وعلى كلا المعنيين فإنَّ اللفظة انتقلت من معناها الحقيقي إلى معنىً مجازيٍّ بعلاقة الجوار، ثمَّ انتقلت من المعنى المجازي إلى معنىً مجازيٍّ جديد عن طريق الاستعارة .

وأمَّا قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ فإنَّ اللفظة انتقلت من معناها الحقيقي إلى معنى الأمام بعلاقة الجوار، أي ما كان قبلي[٢]؛ **" لأنَّ ما بين يديِّ الإنسان أمامه "**[٣]، ومن ثَمَّ استُعير التعبير إلى التقدم الزمني فالتوراة سابقة لعيسى (عليه السلام).

ومن مواضع التثنيَّة أيضاً قوله تعالى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ (الحجرات:من ٩) و**" الطائفة من النَّاس جماعة منهم "**[٤]، وعلى الرغم من أنَّ المرادبالطائفتين الأوس والخزرج[٥] فإنَّ اللفظ فيه دلالة العموم؛ لأنَّ **" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب "**[٦]، فالآية تشريع للتعامل مع أيِّ نزاع يحصل بين جماعتين من المؤمنين، ويرى الفخر الرازي أنَّ فيها دلالة التقليل استناداً إلى قوله تعالى:﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾(التوبة : من ١٢٢) إذ إنَّ الطائفة أقلُّ من الفرقة[٧]، وذهب الدكتورجلال الدين العيداني إلى أنَّ (طائفتان) هنا فيها دلالة الكثرة وقد اكتسبتها سياقياً من الفعل (اقتتلوا) الذي يدل على الكثرة والمبالغة[٨]، ولكن دلالة الفعل على الكثرة ليست دليلاً على كثرة الفاعل، وإنَّما تدلُّ تدلُّ

---

[١] ينظر : مجمع البيان : ٩ / ٢٣٨
[٢] ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي : ٢٠ / ١٣
[٣] مجمع البيان : ١٠ / ٢٣٨
[٤] المفردات في غريب القرآن : مادة (طوف) / ٣١١
[٥] ينظر : تفسير القرآن العظيم : مج ١٠ / ٣٣٠٤ ، وتفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ٤ / ٢٦٣
[٦] الحدائق الناضرة، الشيخ يوسف البحراني : ١٩ / ٣٤٢
[٧] ينظر : تفسير الفخر الرازي : ٢٨ / ١٢٧
[٨] ينظر: دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ١٢١

****

على كثرة الحدث الدالِّ عليه الفعل، فقد يحصل قتالٌ بين شخصين، فيطول أمده ويكثر على الرغم من أنَّ الفاعل اثنان، قال تعالى:﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ ﴾ **(طه)**، فقد جاء الفعل استمع بصيغة افتعل والفاعل واحد هو موسى (عليه السلام).

٣- دلالة الجمع :

الجمع ما دلَّ على أكثر من اثنين، ويكون على نحو العطف[١]، فالغاية من الجمع الإيجاز والاختصار إذ إنَّه يغني عن الإتيان بأسماء متعدِّدة على سبيل عطف أحدها على الآخر[٢] .

والجموع في العربيَّة نوعان :

١.جمع السلامة :وهو الجمع الذي يسلم مفرده من التغيير في بنيته، فيبقى المفرد على ما هو عليه، مع إضافة اللاحقة (ون) أو(ين) في المذكَّر، و(ات) في المؤنث[٣] ، وهو على قسمين مذكَّر ومؤنَّث .

أ. جمع المذكَّر السالم : يُجمع بهذا الجمع صنفان من الأسماء هما العلم والصفة .

ومن الآيات التي ورد فيها جمع المذكر السالم في السور المدروسة قوله تعالى :﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ **(التغابن)**، وفي الآية الشريفة أمر منه تعالى للمؤمنين بأن يتوكَّلوا عليه تعالى دون غيره، والتوكُّل تفويض الأمر إلى الله والرضا بتدبيره والثقة بحسن اختياره[٤]، وقد وعد الله تعالى المتوكِّلين عليه بالعزة والنصر في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾**(الطلاق: من ٣)** .

وفي الآية **" تحريضٌ للمؤمنين على مكافحة الكفَّار والصبر على دين الله"**[٥]، وقد أكسب السياق الجمع دلالة العموم، فالأمر بالتوكُّل أمرٌ عام يشمل المؤمنين جميعاً المخاطبين وغيرهم .

---

(١) **ينظر : أمالي ابن الشجري : ١ / ١٣**
(٢) **ينظر : شرح المفصل ، ابن يعيش : ٥ / ٢**
(٣) **ينظر : شرح كتاب الحدود في النحو :١١٣ - ١١٥**
(٤) **ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢٢**
(٥) **المحرر الوجيز : ٥ / ٣٢٠**

ومن المواضع الَّتي ورد فيها جمع المذكر السالم قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ (الجمعة : من ٥) تتحدَّث الآية عن نفيِّ الهداية عن علماء اليهود الَّذين لم ينتفعوا بما بين أيديهم من التوراة، وقد وصفهم القرآن الكريم بأنَّهم ظالمون. ويقول الدكتور فاضل السامرائي : **" جمع الصفات جمعا سالماً يقرِّبها من الفعلية ...."**[١]، فاكتسب جمع (الظالم) جمعا سالماً من الفعلية دلالة التغيُّر وعدم الثبوت، إذ إنَّ صفة الظلم ليست ملازمة دائماً لهؤلاء فمن الممكن أن يتوبوا فيغفر الله لهم ويهديهم .

ومن المواضع الأخرى قوله تعالى:﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾(التحريم: من ١٠) تصف الآية الشريفة مصير امرأتي نوح ولوط (عليهما السلام) اللتين خانتا زوجيهما.

وقال النَّحَّاس : **" ولم يقل مع الداخلات؛ لأنَّ المعنى مع القوم الداخلين "**[٢]، أي أنَّ جمع المذكَّر هنا في دلالة التغليب، و تغليب التذكير على التأنيث أسلوب بارز في القرآن الكريم فالمتأمِّل في التعبير القرآنيِّ لا يخفى عليه افتتاح الكلام بـ(يا أيُّها الَّذين آمنوا) للحديث عن تشريع أو توجيه يعمَّ الذكور والإناث، و يجد فيه (أصحاب النار، وأصحاب الجنَّة) وصفاً لمستحقيهما من الذكور والإناث .

و**" الجمع السالم يدلُّ على إرادة الحدث "**[٣] والحدث في الآية الشَّريفة هو دخول النار، فدلَّ الجمع السالم على التخويف من النار، ولاسيَّما أنَّ القرآن الكريم ضرب المرأتين مثلاً للذين كفروا، فمصيرهما مصير الكفر، وفي هذا دلالة على التحذير من الكفر الذي أودى بهاتين المرأتين إلى هذا المصير. و التعبير بالجمع فيه دلالة على التخويف أكثر ممَّا لو كان بالإفراد أو التثنية .

---

[١] معاني الأبنية في العربيَّة ، د. فاضل السامرائي : ١٢٦
[٢] إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس : ٤ / ٤٦٥
[٣] معاني الأبنية في العربيَّة : ١٢٨

****

ومن الشواهد الأخرى الَّتي نقف عندها في البحث في دلالة جمع المذكر السالم قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الانفطار) و**"الحافظون هم الملائكة الذين يكتبون أعمال ابن آدم"**[١] والمقصود أنَّهم يحصون أعمال الإنسان لا يفوتهم منها شيءٌ[٢]، **" وجمْع الملائكة باعتبار التوزيع على النَّاس، وإنَّما لكل أحد ملكان، قال تعالى :** ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ **[ق] "**[٣]، والتَّعبير بالجمع في هذا الموضع فيه دلالة على العناية بالإحصاء[٤] .

ب - جمع المؤنث السالم : وهو جمع المفرد بألف وتاء زائدتين تدلّان على الجمع والتأنيث معاً[٥] .

ولا يخفى على الباحثين ما لجمع المؤنث السالم من دلالة تثري المعنى، وتصبغ التعبير صبغةً جمالية، من ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ ﴾ (العاديات) **" العاديات الجاريات بسرعة "**[٦] وذكر المفسِّرون رأيين في المراد بالعاديات وما عطف عليها، الأوَّل : الخيل في سبيل الله، والثاني : الإبل في الحج[٧] ، ورجَّح السيد الطباطبائي الرأي الأوَّل قائلاً : **" ما في الآيات التالية من الصفات لا يلائم كون الإبل هو المراد بالعاديات "**[٨]، إذ إنَّ الضبح يعني أصوات أنفاس الخيل إذا عَدَت[٩]، قال عنترة :

والخيـل تكدح حين تضـــــ بح في حياض الموت ضبحاً[١٠]

---

[١] المحرر الوجيز : ٥ / ٤٤٧
[٢] ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ١٧٩
[٣] تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ١٧٩
[٤] ينظر : تفسير المراغي : ٣٠ / ٦٨
[٥] ينظر : شرح كتاب الحدود في النحو : ١١٥
[٦] تفسير البحر المحيط : ٨ / ٤٩٩
[٧] ينظر : الكشّاف : ٦/ ٤١٩، و المحرر الوجيز:٥/ ٥١٣، وزاد المسير : ٩ /٢٠٦ - ٢٠٧، و تفسير البحر المحيط: ٨/ ٥٠٠، وتفسير أبي السعود : ٥ / ٥٦٦
[٨] الميزان : ٢٠ / ٣٩٧
[٩] ينظر : لسان العرب : مادة (ضبح) ، ٢/ ٥٣٢ ، وتاج العروس مادة (ضبح) / ٦ /٥٦٢
[١٠] شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي : ٤٤

****

و **" لا يكون الإيراء - وهو قدح الشرر- إلا لسنابك الخيل أمَّا الخف ففيه لين واسترخاء"** [١]، أمَّا الإغارة فالعرب تخصها بالخيل[٢].

وقد ورد هذا الجمع في سياق وصف الإغارة على العدو، والنصر المباغت عليه، فناسب التَّعبير بالجمع أجواء القوَّة والشدة والسرعة التي تصفها السورة الشريفة، ليدلَّ بمضامة السياق على التكثير المصاحب للقوَّة والشدة .

وقال تعالى: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ **(الطلاق[*])**

" الصالحات: كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل، والكتاب، والسنة."[٣]

والسنة."[٣] وقد استعمل القرآن الكريم مفردها في الآية نفسها، ويمكننا التماس الفرق بين التعبيرين من خلال النَّظر إلى الجزاء الذي ذكرته الآية لكلٍّ منهما، فالجمع (الصالحات) جزاؤه الإخراج من الظلمات إلى النور، وهو جزاءٌ في الدنيا.

أمَّا المفرد (صالحا) فجزاؤه ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾، وهو جزاءٌ في الآخرة، والدنيا هي دار العمل وقد حثَّت الشريعة السمحى على الإكثار من العمل فيها فجاء التعبير بالجمع مناسباً لهذا الغرض، أمَّا التعبير بالمفرد فقد جاء مناسباً للجزاء الأخروي فالله تعالى يجازي الناس يوم القيامة على كل عمل قل أو كثر، قال(عزَّ وجلَّ) :﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ **(الزلزلة)**

---

[١] التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ١٠٤
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١٠٧
[*] وردت الصالحات في مواضع أخرى من السور المدروسة هي : العصر : ٣ ، والبينة : ٧ ، والتين : ٦
[٣] الكشّاف : ١ / ٢٢٩

****

ومن مواضع جمع المؤنث السالم أيضاً قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ ﴾ (الطلاق)، و السيئة : الفعل القبيح المنكر[1]، وهي ضدُّ الحسنة، وجاء الاسم (السيئات) في الآية الشريفة في سياق

الحثِّ على التقوى، وتعظيم الأجر وهما سياقان يتناسبان مع دلالة الكثرة، ولاسيَّما أنَّ (السيئات) مفعول للفعل (يكفِّر) وهو جزاء تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ فجزاء التقوى من الله تعالى يكون كثيراً، و يؤكِّد هذا المعنى تضعيف الفعل (يكفِّر) ليكون على صيغة (يفعِّل) التي تدل على المبالغة[2] .

ومن المواضع الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾(التغابن)، ذكر المفسِّرون أكثر من معنى لـ(آيات) في هذه الآية الشريفة، فمنهم من يرى أنَّ المراد حجج الله ودلائله على عباده[3]، يقول المراغي : **" كذبوا بأدلَّته وآي كتابه "**[4]، ومنهم من يرى أن المراد بها القرآن[5] .

وعلى أيِّ حال فإن التعبير بالجمع فيه دلالة على قوة البرهان، ونفاذ الحجج الإلهيَّة، يقابلها إصرار هؤلاء المكذِّبين على غيِّهم وعنادهم. ويُستمدُّ هذا المعنى من وصفهم بالكفر والتكذيب، و جعل الخلود في النار عاقبةً لأمرهم، فإنَّ هذه الأوصاف تدلُّ على تماميَّة البرهان الإلهي، يقابله الجحود والإنكار من الطرف الآخر مما جعله مستحقاً للعقاب الموصوف في الآية الشريفة .

---

(١) ينظر : لسان العرب مادة (سوأ) / ١ / ٩٥ ، والمفردات في غريب القرآن : مادة (سوأ) / ١/ ٣٣٣
(٢) ينظر : الصرف الواضح ، عبد الجبار علوان النايلة : ١٠٠
(٣) ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٣٢
(٤) تفسير المراغي : ٢٨ / ١٢٥
(٥) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩ / ١٣٢

****

٢- جمع التكسير :هو الجمع الذي يتغيَّر فيه بناء مفرده بزيادة أو نقص أو تبديل لغير إعلال[١]، وأُطلق عليه الجمع العام لأنَّه يعمُّ المذكَّر والمؤنَّث[٢]، و **"جمع التكسير من أهمَّ الأبواب التي تتجلَّى فيها ظاهرة (التحول الداخلي) في الكلمة العربيَّة فهو جمعٌ لا يعتمد على لاحقة كالجمع السالم وإنَّما يعتمد على تغيير الحركات مع ثبات الصوامت في مواضعها وهو بذلك يدلَّ على مرونة اللغة العربيَّة، وخصوبتها في إنسال الصيغ المختلفة من المادة الواحدة "[٣]** .

"وللذكر الحكيم استعمالات متنوعة الدلالة لصيغ جموع التكسير"[٤]، من ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (الانفطار)، والأبرار جمع تكسير على زنة (أفعال) وهو من جموع القلة، ويقابله في الكثرة (بررة)، وقد استعمل القرآن الكريم الأبرار للإنسان، والبررة للملائكة[٥]، وقد وصف الدكتور فاضل السامرائي السامرائي استعمال (الأبرار) في القرآن الكريم بـ(القلة النسبيَّة) إذ يقول : **" ولعلَّ ذلك يعود إلى أنَّ الأبرار إذا قيسوا بالفجَّار كانوا قلة فجيء بالفجَّار على جمع الكثرة والأبرار على جمع القلَّة ...."[٦]** .

ومن مواضع جمع التكسير في السور المدروسة قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : من ١٠)، جمع التكسير في الآية الشريفة (إخوة)، وقيل إنَّ (إخوة) تستعمل لأخوَّة النَّسب[٧]، وقد جاءت في هذا الموضع لغير ذلك، وخرَّجها

---

[١] ينظر : شرح كتاب الحدود في النحو : ١٦ - ١١٨
[٢] ينظر : الصرف الواضح : ٢٤٧
[٣] المنهج الصوتي للبنية العربيَّة – رؤية جديدة في الصرف العربي ، د.عبد الصبور شاهين : ١٣٣
[٤] دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار : ١٥٠
[٥] ينظر : المفردات في غريب القرآن : (مادة برَّ) / ٤١ ، وقد وردت (بررة) في موطن واحد هو قوله تعالى تعالى : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (عبس)
[٦] معاني الأبنية في العربيَّة : ١٢٥
[٧] ينظر : تفسير البحر المحيط : ٨ / ١١

****

الدكتور فاضل السامرائي بأنَّها بمنزلة النسب[١]، إذ إنَّ المراد بها أخوَّة الدين[٢]، **"وإطلاق الأخوَّة على المؤمنين من باب التشبيه البليغ، وشُبهوا بالإخوة من حيث انتسابهم إلى أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية "**[٣] قال الشاعر :

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم[٤]

و(إخوة) جمع تكسير على زنة (فِعلة)، وهو من أوزان القلة، إلَّا أنَّها في الآية لا تدلُّ على القلة، إذ ليس معقولاً أن يكون عدد المؤمنين أقل من تسعة، ويمكننا البحث في دلالة هذا التعبير من خلال تحديد الغرض من الآية الشريفة، فليس المراد منها الإخبار عن عدد المؤمنين قلةً أو كثرةَ، وإنَّما المراد بها تأكيد أواصر التلاحم، وروح الوحدة بينهم، ويعضد هذا أنَّها توسَّطت دعوتين للإصلاح[*]، ومعروف أنَّ العدد كلما قلَّ أفراده كان الترابط بينهم أشد تلاحماً، فإيثار صيغة القلة في هذا الموضع فيه دلالة الحثِّ على الوحدة والتلاحم المطلوبين بين أفراد الدين الواحد .

إذن يمكننا القول إنَّ الجمع هنا هو حكم لفظي فقط أريد به مطابقة المؤمنين، وأمَّا دلالته فهي لتأكيد التكاتف والوحدة بين أفراد المجتمع المؤمن.

ومن المواضع الأخرى قوله تعالى : ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ **(الانفطار)** و(كرام) جمع تكسير على زنة (فِعال)، مفرده (كريم)، قال سيبويه : **" وأمَّا ما كان فعيلاً فإنَّه يكسَّر على فُعَلاء أو على فِعَال "**[٥]، ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن صيغة (فعال) تستعمل للأمور المادية[١]، غير أنَّها في الآية الشريفة يراد بها

---

[١] ينظر : معاني الأبنية في العربيَّة : ١٢٠
[٢] ينظر : المحرر الوجيز : ٥ / ١٤٧
[٣] روح المعاني : ٢٦ / ١٥١
[٤] شعر نهار بن توسعة اليشكري : تحقيق : د. خليل العطية، منشور في مجلة المورد، مج٤، ع٤، ١٩٧٥م، : ١٠١
[*] الأوَّلى في قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ الحجرات من ٩، **والثانية بعد إخوة مباشرة وهي قوله تعالى :** ﴿ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ **(الحجرات: من ١٠)**
[٥] الكتاب : ٣ / ٦٣٤

****
منزلة الملائكة عند الله تعالى وهو أمرٌ معنوي، قال أبو السعود (ت ٩٨٢) - في تفسيره الآية - " **كراما لدينا** "[٢]، أي لهم لدينا منزلة كريمة .

ومن الجدير بالذكر أنَّ (كرام) وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم إثنتان منها في وصف الملائكة، وواحدة في وصف المؤمنين، أمَّا (كرماء) فلم ترد في القرآن الكريم .

وقد استعمل القرآن الكريم معنى الكرم للدلالة على المنزلة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ **(الحجرات: من ١٣)**

واستكمالاً للبحث في دلالة جموع التكسير نتأمَّل قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ **(الممتحنة: من ١٠)** والمراد بالكوافر " **النساء اللاءِ لم يخرجن مع أزواجهنَّ لكفرهن**"[٣]، وهؤلاء النسوة بعيدات جداً عن الإيمان، إذ ليس لأزواجهنَّ تأثيرٌ عليهن، وصيغة (فواعل) تدل على القرب من الاسمية إذا كانت جمعا لفاعلة[٤]، ومن صفات الاسمية الثبوت لذا جيء بالجمع على (كوافر) للدلالة على قرب كفر تلكم النسوة من الثبوت.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ **(المنافقون: من٧)** تدلُّ الآية الشريفة على ملكيَّة ما في السماوات والأرض لله تعالى وقد تقدَّم الخبر (لله) فيها على المبتدأ (خزائن) لتأكيد هذا المعنى وحصر الملكية به تعالى.

و (خزائن) جمع خزينة، وهي على زنة فعائل، و" **ما جمع على فعائل يراد به الاسمية لأنَّ هذا الوزن من جموع الأسماء** "[٥]، فدلَّ خزائن هنا على

---

[١] ينظر : معاني الأبنية في العربيَّة : ١٤٨
[٢] تفسير أبي السعود : ٥ / ٤٩٣
[٣] تفسير التحرير والتنوير : ٢٨ / ١٥٩
[٤] ينظر : معاني الأبنية في العربيَّة : ١٣٦ - ١٣٧
[٥] المصدر نفسه : ١٤٩

الاسميَّة، ودلالة الثبوت في الاسميَّة تدل على دوام ملكيَّة ما في السماوات و الأرض لله تعالى .

وزنة فعائل صيغة منتهى الجموع وهذا يدلُّ على الكثرة الكاثرة لخزائن الله تعالى التي لا تعدُّ ولا تحصى.

وفي قوله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ (التكاثر)، تذمُّ الآية الشريفة الانشغال عن طاعة الله تعالى بطلب الكثرة والتفاخر بها . وقد جاء ذكر (المقابر) جمعاً متناسباً مع سياق الكثرة التي تتحدث عنها السورة المباركة، ووصل القرآن الكريم الكلام عن التكاثر و المقابر بـ(حتى) الَّتي تدلُّ على انتهاء الغاية، **" فغاية التكاثر إلى زيارة المقابر، وليس وراء هذا التكالب إلا زيارة المقابر، يأتي بها القرآن كهذا إثر التكاثر فيبلغ الترويع منتهاه بقصر المسافة بينهما، والانتقال السريع بل المباغت من التكاثر إلى المقابر "**[(١)]، والتَّعبير بالجمع فيه دلالة التخويف والتهديد الَّتي تهدف إلى ردعهم عمَّا هم عليه من غفلة من ذكر الله تبارك و تعالى.

وتتجلى هذه الدلالة سياقيا في قوله تعالى - بعد آية المقابر - : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ لما تتضمنه هذه الآيات من الوعيد الشديد الذي يؤكِّد دلالة التخويف في مجيء (المقابر) جمعاً .

وقد ورد استعمال المقابر في هذا الموضع فقط من القرآن الكريم، في حين استُعملت القبور خمس مرات[(٢)].

وقد فرَّقت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بين اللفظتين بقولها : **" المقابر جمع مقبرة، وهي مجتمع القبور ... واستعمالها هنا يقتضيه معنوياً أنَّه اللفظ**

---
(١) التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ١٩٨
(٢) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم: ١ / ٢٠٠

****
الملائم للتكاثر الدالُّ على مصير ما يتكالب عليه المتكاثرون من متاعٍ دنيويٍّ فانٍ ..... هناك حيث مجتمع القبور ومحتشد الرمم ومساكن الموتى على أعمارهم و طبقاتهم و درجاتهم و أزمنتهم. وهذه الدلالة من السعة والعموم والشمول، لا يمكن أن يقوم بها لفظ ((القبور)) بما هي جمع قبر. فبقدر ما بين قبر ومقبرة من تفاوت، يتجلَّى إيثار البيان القرآني ((المقابر)) على القبور، حين يتحدَّث عن غاية ما يتكاثر به المتكاثرون، وحين يلفت إلى مصير هذه الحشود من ناس يلهيهم تكاثرهم عن الاعتبار بتلكم المقابر التي هي مجتمع الموتى ومزار الراحلين الفانين"[1] .

لقد تجسَّد في استعمال (المقابر) فاعلية التوظيف الدلالي للألفاظ في القرآن الكريم المتزامن مع السياق الذي يكتنفها .

ج- الجمود والاشتقاق

الجمود والاشتقاق حالان من أحوال الاسم يصنفان بحسب أصله، فإذا كان **" على صورته الموضوعة ابتداءً "**[2] سُمِّي جامداً، وإذا أُخذ من غيره سُمِّي مشتقاً[3] فالاسم ينقسم بحسب الجمود والاشتقاق إلى جامد و مشتق .

ولا شك في أنَّ لكلٍّ من الحالين دلالته التي تميِّزه من الآخر، وستحاول الدراسة البحث في هذه الدلالة من خلال الآيات الشريفة .

١- دلالة الجمود :

ومن مواضع الجمود في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (**الطلاق : من ٢**) في الآية الشريفة اسمٌ جامدٌ هو (عدل)، وهو مصدر (عدل - يعدل)، والمقصود **" شاهدين من ذوي العدالة "**[1]، وقد جيء بالمصدر

(١) المصدر نفسه : ١ / ٢٠١
(٢) تصريف الأسماء والأفعال ، د. فخر الدين قباوة : ١٢٥
(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٢٧

****

لتأكيد أهميَّة العدالة في الشاهدين، فالتَّعبير فيه دلالة على المبالغة ولاسيَّما أنَّ " **صيغة (فَعْل) من أوزان المبالغة"**[٢]، فالمبالغة دلالة وظيفيَّة دلَّ عليها المصدر زيادة على المصدرية[٣].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ ﴾ (الأعلى: ٥) روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : **"الغثاء اليابس الهامد من نبات الأرض"**[٤]، وجعله غثاءً أحوى **" أي يابسا بعد ما كان رطباً جافا، وهو قوت البهائم "**[٥]، وفي الآية إشارة إلى قدرة الله تعالى على التصرف في خلقه وتدبير الأمور[٦].

إنَّ صيغة (فُعال) تدل على تفرُّق الأجزاء[٧] وتكسُّرها وتحطُّمها[٨]، والمتأمل في استعمال (غثاء) في هذا الموضع يجد أنَّ دلالتها قد انتقلت من حيِّزها السلبي إلى حيزٍ إيجابيٍّ، فالمراد بها نضج المرعى ليكون مهيئاً للأكل من قبل الدواب[٩].

إنَّ هذا الانتقال الدلالي للَّفظة من الحيِّز السلبيِّ إلى الإيجابيِّ يحمل بعداً قصدياً يدل على كمال قدرة الله تعالى، و حسن تدبيره .

لفظ الجلالة :

لفظ الجلالة علم يطلق على الذات المقدسة[١٠]، واختُلف في جموده واشتقاقه غير أنَّ الأكثر يرى جموده[١١]، وقد ذُكر له أكثر من أصل عند من يرى

---

(١) تفسير المراغي : ٢٨ / ١٣٩
(٢) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، د.عبد الحميد هنداوي : ١٧٤
(٣) ينظر : أسماء الذات أصولها ودلالتها في السياق ، أ. محمود الحسن، (بحث)، مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج٨٢، ج١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م : ٧٧٥
(٤) تفسير نور الثقلين ، ابن جمعة الحويزي : ٣ /٥٤٤
(٥) مجمع البيان : ١٠ / ٣٧١
(٦) ينظر : الميزان : ٢٠ / ٢٩٩، و تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٧٩
(٧) ينظر : المقرب ، ابن عصفور : ٢ / ١٣١
(٨) ينظر : ديوان الأدب ، الفارابي : ١ / ٨٥
(٩) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٧٨
(١٠) ينظر : اشتقاق أسماء الله : ٣٦
(١١) ينظر : تفسير البحر المحيط : ١ / ١٢٤

****
أنَّه مشتق[1]، ومن الأدلة على كونه جامداً يقول السيد الخوئي : **" إنَّ لفظ الجلالة لا يستعمل وصفاً فلا يقال العالم الله، الخالق الله على أن يراد بذلك توصيف العالم بصفة هي كونه الله، وهذه آية كون لفظ الجلالة جامداً "**[2]، وهو الاسم الذي عُرف به المعبود (عزَّ وجلَّ)، وإذا أُطلق لم يُصرف لغيره، حتى قبل الإسلام فـ**"الوحي القرآنيُّ عندما بدأ باستعمال هذه الكلمة لم يأتِ باسم جديد للإله غريب وغير مألوف لأسماع معاصريه العرب "**[3]، قال لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل وكلُّ نعيمٍ لا محال زائل[4]

ورد لفظ الجلالة في القرآن الكريم ألفين وخمسمئة وخمس وخمسين مرة ، ولعلَّه أكثر لفظ ذُكر في القرآن الكريم، وهذه الكثرة الكاثرة في الاستعمال فيها دلالة واضحة على اهتمام التعبير القرآني بذكر إله هذا الكون (عزَّ وجلَّ) بأدلِّ الأسماء عليه؛ وذلك لما يقتضيه المقام من التعريف بمُنزل هذا الكتاب الذي يحمل تعاليم الشريعة الَّتي أُرسل بها الرسول (ﷺ) .

ومن مواضع الجمود في السور المدروسة قوله تعالى:﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ (الهمزة)، ابتدأت السورة الشريفة بـ(ويل) والويل **" الحزن والهلاك والمشقَّة من العذاب"**[5]، ويقول الدكتور فاخر الياسري : **" ابتدأت السورة بهذا الإنذار الرهيب المخيف إذ بدأت باستعمال لفظة ويل التي تدلُّ على العذاب الشديد والهلاك والدمار..."**[6]، و بيَّنت السورة بعدها مستحقَّ الويل، وهو ذلك الهُمُزة اللمزة الذي قاده ماله إلى التعالي على الشريعة الإلهيَّة، والجرأة على رسول الله (ﷺ)، من ثمَّ ذكرت السورة العقاب الشديد الذي ينتظره لتبصر عيناه تبخُّر أحلامه الواهمة بالخلود، ومصيره إلى عذاب الهون .

---
(1) ينظر : المصدر نفسه : ١٢٤ ـ ١٢٥
(2) البيان في تفسير القرآن ، السيد الخوئي : ٤٢٦
(3) الله والإنسان في القرآن ، توشيهيكو إيزوتسو : ١٥٨
(4) شرح ديوان لبيد، إحسان عبَّاس : ٢٥٦
(5) لسان العرب : مادة (ويل) / ١١ / ٧٣٧
(6) خطرات في اللغة القرآنية ، د. فاخر الياسري : ٢٠٤

****

لقد جاء استعمال (ويل) دالًّا على الإنذار الشديد و التخويف الَّذي فصَّلت السورة الشريفة مضامينه .

٢- دلالة الاشتقاق :

للمشتقَّات أهميَّة كبيرة لما لها من **" خصوصيَّة تعبيريَّة مؤدَّاها أنَّها تثير احتمالات وتصورات متعددة في ذهن المتلقي، ما يكسب النَّص الواردة فيه ثراءً وغنى دلاليين "**[١]، وفيما يأتي بحثٌ في دلالة المشتقات في السور المدروسة.

أ- اسم الفاعل

من المواضع الَّتي ورد فيها اسم الفاعل في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ **(القارعة)** تصف الآيتان الشريفتان حال الفائز يوم القيامة، وقد كنِّي بـ(من ثقلت موازينه)، وقد سبقها وصف الخاسر، وجزاء من رجحت كفَّة حسناته في السورة المباركة أنَّه ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾، و (راضية) اسم فاعل للمؤنَّث، و**" وصف العيشة بأنَّها راضية وصف رائع عن حياة ملؤها النِّعمة ورغد العيش "**[٢]، وصف القرآن الكريم العيشة بأنَّها راضية، ومعلوم أنَّ العيشة يُرضى بها لا ترضى هي، ويرى الفرَّاء أنَّ هذا العدول من المفعولية إلى الفاعلية يفيد المدح[٣] وقد عدل عن اسم المفعول

---

[١] معاني التراكيب النحوية والصيغ الصرفية في سورة المطففين ، د.علي جميل أحمد، (بحث)، مجلة الآداب - كليَّة الآداب جامعة بغداد، ع٩٠، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م : ١٠٨ – ١٠٩

[٢] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٢٠ / ٤١٠

[٣] ينظر : معاني القرآن، الفرَّاء : ٣ / ١٨٢

****
إلى اسم الفاعل " **على وجه المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى** "[١] .

قال الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنَّك أنت الطاعم الكاسي[٢]

فكأنَّ العيشة قد أُعطيت صاحبَها، ورضيت به لأنَّه مستحقها[٣] .

و(راضية) نعت لعيشة، وقد ظهر لأستاذنا الدكتور فاخر الياسري في دراسته الرائدة عن النَّعت " **أنَّ اسم الفاعل في التعبير القرآني قد جاء نعتاً على سبيل الدوام والثبوت** "[٤]، فالقرآن الكريم يصف من ثقلت موازينه بأنَّه في نعيم دائم ثابت لا يزول .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾(الجمعة:من ٨) (ملاقٍ) اسم فاعل من (لاقى – يلاقي)، وقد آثره التعبير القرآني على (لاقٍ) من (لقي - يلقى) على الرغم من اشتراكهما في المعنى العام وهو اللقاء، ودلالة هذا أنَّ صيغة (فاعَل) تدلُّ على المشاركة أي أنَّ الفاعل والمفعول كلاهما أحدث في الآخر ما أحدثه الأوَّل به[٥]، " **ويكون الابتداء من جهة من أسند الفعل إليه** "[٦]، فالتعبير فيه إشارة إلى أنَّ الإنسان في حياته يسير نحو الموت، وإن حاول الفرار منه، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) " **أيُّها النَّاس كلُّ امريءٍ لاقٍ ما منه يفرُّ في فراره، والأجل مساق النفس إليه والهرب منه موافاته**"[٧]، فالفارُّ من الموت يتصور أنَّ الموت خلفه، وهو قد فرَّ منه، لكنَّه يفاجئ بالموت أمامه، أي أنَّ الفرار من الموت يؤول إلى الفرار إليه، فهو ملاقيه لا محالة .

ب - اسم المفعول

---
(١) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي : ١٠ / ١٠٢
(٢) ديوان الحطيئة : ٥٤
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٩٨ ، وينظر : الدر المصون : ١٠/ ٤٣٤
(٤) النعت في التركيب القرآني ، د. فاخر الياسري : ٢ / ٩
(٥) ينظر : الكتاب : ٤ / ٦٨ ، وينظر : المقتضب : ٢ / ١٠٣
(٦) التتمة في التصريف ، ابن القبيصي : ٧٦
(٧) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١١٦

****
من المواضع الَّتي ورد فيها اسم المفعول في السور موضع الدراسة قوله تعالى :﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ (القارعة)، و(المبثوث، والمنفوش) اسما مفعول من (نُفش ، وبُثَّ)، وقد شبَّه القرآن الكريم النَّاس بالفَراش المبثوث " **في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتَّطاير إلى الدَّاعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النَّار**"[١]، ومعنى كون الجبال كالعهن المنفوش، " **تزول عن أماكنها وتصير خفيفة السير** "[٢]، فتتفرَّق في الجو وتتطاير بعدما كانت ثابتة لا تزاح .

وصف القرآن الكريم حال النَّاس والجبال يوم القيامة بوصفين معبِّرين، وهما على صيغة اسم المفعول، وهذه الصيغة أكثر دلالة في هذا الموضع من غيرها من المشتقات؛ لأنَّ فيها معنى الخضوع والضعف والانقياد، فهو ما يقع تحت تأثير الفعل، وسلطة فاعله، فجاء التعبير باسم المفعول متناسباً مع الحال المراد وصفها .

وقال تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (المنافقون) .الآية الشريفة في ذمِّ المنافقين، وبيان حالهم القائم على ظاهر أنيق يخفي تحته باطناً خاوياً، " **أي كأنَّهم أشباح بلا أرواح شبَّههم الله في خلوِّهم من العقول والإفهام بالخُشُب المسنَّدة إلى شيء، لا أرواح فيها، و قيل إنَّه شبَّههم بخشب نخرة متآكلة لا خير فيها و يحسب من رآها أنَّها صحيحة سليمة من حيث أنَّ ظاهرها يروق و باطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع و باطنه عن الخير زائغ**"[٣].

[١] الكشَّاف : ٦ / ٤٢١
[٢] مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٥
[٣] المصدر نفسه : ١٠ / ١٨ - ١٩

****

ويذكِّرنا قوله تعالى : ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : **" تكلَّموا تُعرفوا فالمرء مخبوء تحت لسانه "**[1]، فكم من ظاهر جميل لكن محتواه فارغ، وكم من محتوى مكتنز بالحكمة والعلم و يغلفه ظاهر بسيط.

واسم المفعول في الآية الشريفة هو (مُسنَّدة) وهو على زنة (مُفعَّلة) مشتق من الفعل المضعف (سُنِّد) وهذا الفعل يدلُّ على المبالغة في التسنيد فانسحبت دلالة المبالغة على اسم المفعول المشتقِّ منه .

و في التعبير باسم المفعول دلالة إيحائيَّة على أنَّ هؤلاء لا يملكون من أمرهم شيئاً فهم واقعون تحت سلطة الشيطان وأنفسهم الأمارة بالسوء، كما يقع المفعول تحت سلطة الفاعل لا يملك من أمره شيئا إلَّا الانفعال بنوع الفعل الذي يسلِّطه الفاعل عليه .

ج- الصفة المشبَّهة

من المواضع الَّتي وردت فيها الصفة المشبهة قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ ﴾ (التوحيد)، و(الصمد) صفة مشبهة على زنة (فَعَل)، والصفة المشبهة تدلُّ على الاستمرار واللزوم[2]، **" أي أنَّ الصفة تثبت في صاحبها على وجه الدوام "**[3]، وقال الإمام الحسين(عليه السلام) مفسِّراً الصمد : **" وإنَّ الله سبحانه قد فسَّر الصمد فقال :الله أحد الله الصمد،ثمَّ فسَّره فقال : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ "**[4]، أي أنَّ الله تعالى واحد لا شريك له، ليس بأب و لا ابن، ولا يماثله في الكون شيء أبداً، فاستحقَّأن يكون السيد المطاع المصمود إليه في الحوائج[5]، وعلى الرغم من أنَّ الصمد تعني المصمود إليه أو المطاع إلَّا أنَّ هذا لا يعني أنَّه اسم مفعول لأنَّ القرآن بإمكانه أن يقول (المصمود

---

(1) شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٣٣٩ .
(2) ينظر : شرح الرضي على الكافية ، الرضي الأسترأبادي : ٣ / ٤٣١ .
(3) معاني الأبنية في العربيَّة : ٦٥ .
(4) التوحيد ، الشيخ الصدوق : ٩١ .
(5) ينظر :تفسير البحر المحيط : ٨ / ٥٣٠ ، و تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٦١٧

****

إليه)، وإنَّما جيء به على صيغة الصَّفة المشبهة للتدليل على الدوام والثبوت الذي لا تؤدِّيه صيغة اسم المفعول؛ لذا إنَّ الصفة المشبهة مقصودة في التعبير، وليس المراد بالصمد اسم المفعول .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾ **(التين)**، المراد بالبلد الأمين مكة المكرمة[١]، **"وأمانته : أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه"[٢]**، ومن دلالات صيغة فعيل الثبوت[٣]، فدلَّ استعمال الأمين على دوام الأمن والاستقرار في مكَّة المكرَّمة، حتى أنَّها لُقِّبت بالبلد الحرام. ويُلحظ من سياق الآية الشريفة دلالة المدح لهذا البلد وهو مكَّة المكرَّمة .

د- صيغة المبالغة

من مواضع صيغة المبالغة في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ **(الفاتحة)**، (الرحمن، والرحيم) **" اسمان مشتقَّان من الرحمة، وهي النعمة التي يستحقُّ بها العبادة، وهما موضوعان للمبالغة "[٤]**، و(رحمن) على زنة فعلان، وهي تدل على الامتلاء[٥]، أي **" أنَّه انتهى إلى غاية الرحمة"[٦]**، ويرى السهيلي (ت٥٨١هـ) أنَّ (فعلان) تدلُّ على المبالغة لشبهها بالمثنى، إذ يقول : **" وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون كالتثنية، فإنَّ التثنية في الحقيقة تضعيف "[٧]**، وهي صفة خاصة بالله تعالى[٨] .

و(رحيم) على زنة فعيل، وهي من صيغ التكثير و المبالغة الدالة على ثبوت الصفة في صاحبها إذ إنَّها منقولة عن الصفة المشبهة[٩]، وقد فرَّق الدارسون بين

---

[١] ينظر : الكشاف : ٦ / ٤٠١ .
[٢] المصدر نفسه : ٦ / ٤٠١ .
[٣] ينظر : معاني الأبنية في العربيَّة : ٨٣ .
[٤] التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٢٧ .
[٥] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ١٤٤ .
[٦] تفسير الثعالبي ، أبو زيد الثعالبي : ١ / ١٦٠ .
[٧] نتائج الفكر في النحو ، أبو القاسم السهيلي : ٤٢ .
[٨] ينظر : تفسير البحر المحيط : ١ / ١٢٥ .
[٩] ينظر : معاني الأبنية في العربية : ١٠٣

****

الصفتين، فقيل **" الرَّحمن بجميع الخلق، والرَّحيم بالمؤمنين خاصة "**[١] أي أنَّ الرَّحمن فيها دلالة العموم، والرحيم فيها دلالة الخصوص[٢] .

ويقول الزمخشري : **" لمَّا قال الرحمن فتناول جلائل النِّعم وعظائمها وأصولها أردفها بالرَّحيم كالتتمة والرديف، ليتناول ما دقَّ منها ولطف "**[٣] .

وميَّز الدكتور فاخر الياسري بين الصيغتين بقوله : **" إنَّ صيغة (فَعْلان) التي وردت عليها لفظة (رحمن) تفيد الحدوث والتجدد، وإنَّ صيغة فعيل التي وردت عليها لفظة (رحيم) تفيد الثبوت، فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين، إذ لو اقتصر على (رحمن) لظنَّ ظانٌّ أن هذه صفة طارئة قد تزول، نحو : عطشان وريان، ولو اقتصر على (رحيم) لظنَّ أيضاً أنَّ هذه صفة ثابتة، ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجددها إذ قد تمرُّ على الكريم أوقات لا يكرم وقد تمرُّ على الرَّحيم أوقات كذلك. والله سبحانه متَّصف بأوصاف الكمال فجمع بينهما حتى يعلم العبد أنَّ صفته الثابتة هي الرحمة وأنَّ رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع حتى لا يستبدَّ به الوهم أنَّ رحمته تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه سبحانه فجمع الله جلَّ شأنه كمال الاتصاف بالرحمة "**[٤] .

ممَّا سبق يتَّضح أنَّ (رحمن، ورحيم) لهما ثلاث دلالات هي : التَّكثير والمبالغة، و العموم لرحمن، والخصوص لرحيم، ، والتَّجدُّد والاستمرار لرحمن، والثُّبوت لرحيم .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ (الناس)، و**" الخنَّاس الكثير الاختفاء بعد الظهور "**[٥] وهو صيغة مبالغة من الخنوس[٦]، و(الخنَّاس) يدلُّ

يدلُّ

---

[١] التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٢٩
[٢] ينظر : اشتقاق أسماء الله : ٥٥ ، و تفسير البغوي ، الحسين ابن مسعود البغوي : ٨
[٣] الكشاف : ١ / ١١١
[٤] خطرات في اللغة القرآنية : ٥٤
[٥] التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٤٣٧
[٦] ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢٠ / ٥٧٨

****

علـى الوصـف والمبالـغة، فإنَّ وزن (فعَّال) منقول عن الحرفة والصنعة، فالكذَّاب كأنَّ حرفته الكذب كالنجار الذي حرفته النجارة[1]، وقد ذكره الله تعالى ليُعرِّف عباده بما يدفع الوسوسة عنهم، وهو الاستعاذة به تعالى من الشيطان، وهذه الاستعاذة تجعله يخنس[2] .

فالتعبيرعن الشيطان بالخنَّاس يجعلها حرفة له يزاولها، وتنسب إليه ، وينسب إليها .

هـ - اسم التفضيل

من المواضع الَّتي ورد فيها اسم التفضيل في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ **(الكوثر)**، في الآية الشريفة اسم تفضيل هو (الأبتر)، قال الخليل (ت١٧٥هـ) : **" والأبتر الذي لا عقب له، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ "**[3]، فالبتر في الأصل : **" قطع الذنب ونحوه إذا استأصلته "**[4]، ثمَّ استعير التَّعبير إلى المقطوع الذرية، والآية نازلة بحق العـاص العـاص
بن وائل[5]، وقد أعمَّ السيد الطباطبائي الدلالة إلى الانقطاع عن الخير كله[6] .

إنَّ اسم التفضيل يدلُّ على الدوام، وقد ورد (الأبتر) في القرآن الكريم مرة واحدة (في هذا الموضع فقط)، وفي هذا دلالة على تخصيص الوصف بشانئ الرسول (صلى الله عليه وآله) وذلك مبالغةً في ذمِّه، كما أنَّ دخول (ال) التعريف عليه يعطيه دلالة القصر، وعلى هذا فإنَّ اسم التفضيل (الأبتر) قد أفاد دلالتين هما : الدوام والثبوت، و تخصيص الوصف بموصوفه وقصره عليه .

---

[1] ينظر : معاني الأبنية في العربية: ٩٥
[2] ينظر : على طريق التفسير البياني ، د. فاضل السامرائي : ١ / ٥٣
[3] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٨ / ١١٨
[4] المصدر نفسه : ٨ / ١١٧
[5] ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٥١٧
[6] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٤٢٩

****

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (الضحى)، (خير) اسم تفضيل غير أنَّه ليس على زنة أفعل، وعُلِّل بأنَّه في الأصل (أخير)، وقد حُذفت همزته لكثرة الاستعمال[1]، ورفض الدِّكتور عبد الجبار النايلة هذا الرأي قائلاً:**"وهذا التَّعليل غير مقبول لأنَّ هناك كلمات في اللغة كثر استعمالها، ولم يحذفوا منها شيئا نحو:أحسن وأفضل وما أشبهها"**[2] .

ويضاف إلى قول الدكتور النايلة أنَّه لو كانت الهمزة قد حذفت لكثرة الاستعمال، لكثرت الشواهد في استعمال (الأخيَر) ، لكن الاستشهاد يكاد ينحصر بشاهد واحد هو قول رؤبة :

بلال خير الناس وابن الأخير[3]

فكثرة الاستعمال لا دليل عليها، ولو كانت الهمزة حذفت لكثرة الاستعمال، لحذفت من التعجب أيضاً، لكنَّنا نجدها في التعجب، يقول الصبَّان : **" ...أمَّا في التعجب فالغالب ما أخيره وما أشره، وندر ما خيره وما شرُّه "**[4] .

والذي ترتأيه الدراسة هو أنَّ (خير)، وما أشبهها[*] تستعمل في التفضيل شذوذاً على غير زنة (أفعل) .

ورد (خير) بمعنى التفضيل اثنتي عشرة مرة[*] في السور موضع الدراسة كان في عشر مرَّات منها مجرداً من (ال) والإضافة، و في واحدة مضافاً إلى معرفة، والمتأمِّل في المواضع جميعا يجد أنَّ (خير) فيها يدلُّ على التفضيل المطلق، لا في صفة محدَّدة، وفي خمسة مواضع جاء مجرداً حُذف المفضَّل عليه مع حرف الجر (من)، وفي هذا تأكيد على انفراد المفضَّل بالأفضلية فلا يضاهيه فيها شيء آخر .

---

[1] ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣ / ٤٤٧
[2] الصرف الواضح : ١٨٧
[3] الزاهر في معاني كلمات الناس ، الأنباري : ١ / ٣٢٥
[4] حاشية الصبان : ٣ / ٦٢
[*] ومثله (شر) ، و (حب) .
[*] المواضع هي : الحجرات : ٥ و ١١ ، التغابن : ١٦ ، التحريم : ٥ ، الصف : ١١ ، الجمعة : ٩ و ١١ ، المزمل : ٢٠ ، الأعلى : ١٧ ، الضحى : ٤ ، القدر : ٣ ، البينة : ٧

٢- دلالة الفعل

الفعل : هو اللفظ الدالُّ على حدث مع الاقتران بزمن[١]، **" أي أنَّ الفعل وضع للدلالة على الحدث وزمان وجوده "**[٢]، وقد أجمع القدماء والمحدثون على أنه أحد الأقسام الرئيسة التي يتألَّف منها الكلام[٣] .

وللفعل أحوال يرد عليها محمَّلا بدلالات عدة، ومن تلك الأحوال :

١- التجرد والزيادة :

التجرد والزيادة حالان من أحوال الفعل يتوزَّعان بحسب أصل حروفه، فإذا كانت أصليَّة جميعها كان مجرداً، و إذا كان فيها زيادة سُمِّي الفعل مزيدا[٤].

وفيما يلي بحثٌ في دلالة التجرد والزيادة في بنية، في السور المدروسة :

أ- دلالة التجرد

من مواضع التجرد في السور المدروسة قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ **(النصر)**

(يدخل) فعل مجرد ثلاثي، تزاد فيه الهمزة للتعدية، فيصير (أدخل - يُدخل) وفي مجيئه مجرداً دلالة على طواعية دخول الناس في دين الله برغبتهم، دون أن يجبرهم أحد، فلو قال (ورأيت الناس يدخلهم الله)، أو (يُدخَلون ....)، لأشعر بإكراه في دخولهم، ولكن مجيئه مجرداً دلَّ على طواعية الدخول.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي

---

[١] ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٣٨ ، و شرح ابن عقيل : ١ / ١٥
[٢] الفعل في نحو ابن هشام ، د. عصام نور الدين : ١١٢
[٣] ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي : ١٠٠
[٤] ينظر : شذا العرف : ١٦

﴿مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (الممتحنة)، الآية الشريفة خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله)عن بيعة المؤمنات ، وشروط البيعة .

وقد استعمل القرآن الكريم الفعل (جاء) للتعبير عن رغبة المؤمنات في البيعة، وهو فعل مجرد ثلاثي، ويُلحظ في هذا الفعل دلالته على الطواعية كما في الآية السابقة، أي أنَّهنَّ يأتين للبيعة برغبتهن دون جبر أو إكراه .

وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾﴾ (الهمزة)، (جَمَع) فعل ثلاثي مجرد، يصبح مزيداً بتضعيف عينه ليصير (جمَّع) الَّذي يدلُّ على الكثرة والمبالغة[(١)]،

وقد جاء القرآن الكريم به مجرَّداً في سياق ذم الَّذي يؤدِّي به ماله إلى الغرور، و التَّعبير بالفعل بصيغة المجرد التي تدلُّ على القلة مقارنة مع الصيغة المضعفة، فيه دلالة على التقليل من شأن المال الذي يهلك صاحبه .

وقال تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ (الزلزلة)، **" الزلزلة شدَّة الاضطراب بما يهدم البنيان زلزل يزلزل زلزالا، فكأنَّه مكرر (زل، يزل) للتَّكثير والتعظيم"**[(٢)]، و(زلزل) بمعنى حرَّك[(٣)] و يُفهم من سياق الآيات الشريفة أنَّها حركة شديدة تضطرب منها النفوس.

و الفعل (زلزل) مجرد رباعي على زنة (فعلل) وهو من الأفعال التي يتكرَّر فيها حرفان مما يزيد من قوته، و يضفي عليه دلالة الشدَّة والقوَّة.

لقد دلَّ الفعل (زلزل) على القوَّة والشدَّة في بيان حال الأرض، وتصوير أهوال يوم القيامة.

٢- دلالة الزيادة

للزيادة في الفعل صيغ عدة، ستبحث الدراسة في دلالة أكثرها وروداً في السور المدروسة.

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤ / ٨٣

(٢) التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٧٣

(٣) ينظر : لسان العرب : مادة (زل) / ١١ / ٣٠٦

****

(أفْعَلَ)

من المواضع الَّتي وردت فيها صيغة أفعل قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة)

تشرِّع الآية الشريفة مع الآية التي سبقتها علاقة المسلمين بغيرهم، القائمة على قبول الآخر وعدم الإضرار به، أو الابتداء بالعداء معه، وهذا فرق واضح بين عقيدة الإيمان التي تسعى إلى السلم والحفاظ على كرامة الآخرين، ودعوتهم بالموعظة الحسنة، إذ يقول تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل)، وعقيدة الكفر التي تعلن الحرب على مخالفها، وتلحق به أشدَّ أنواع العذاب لمجرد اعتقاده بشيء يخالف أهواء أهل الكفر، وهذا ما تحدَّث عنه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ (الممتحنة: من ١)، فهم يحاربون الرسول الأعظم (ﷺ) ومن آمن معه لمجرد إيمانهم بالله تعالى.

وإذا تأمَّلنا الفعل (أخرجوكم) وهو رباعيٌّ على زنة (أفعل) مزيدٌ بالهمزة من الثلاثي (خرج) للتعدية[1]، نلمح في التعبير دلالة القسر والإكراه فتحويل الفعل المجرد إلى مزيد بحرف يفيد التعدية يدلُّ مع القرائن السياقيَّة على الإكراه، يقول سيبويه : **" تقول : دخل وخرج وجلس . فإذا أخبرت أنَّ غيره صيَّره إلى شيء من هذا قلت : أدخله و أخرجه و أجلسه "**[2] .

---

[1] ينظر : الكتاب : ٤ / ٥٥ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٨٣

[2] الكتاب : ٤ / ٥٥

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ (الشرح)، الآيتان الشريفتان من سورة الشرح التي تتحدَّث عن فضل الله تعالى على رسوله بأن شرح له صدره و رفع عنه وزره، وهي تتضمَّن تأنيساً له بأنَّ الله معه لا يتركه في محنته فتذكِّره بشرح الصدر ووضع الوزر، وتؤنسه بأنَّ الله تعالى قادر على أن يخلصك من كل محنة .

و (أنقض) رباعيٌّ مزيد بالهمزة من (نقض) الَّذي يدلُّ على الهدم[١]، ومن معاني (أفعل) الصيرورة[٢]، فدلَّ (أنقض) على صيرورة الظهر منقضَّاً بأثر الوزر.

وفي هذا بيان لقدرة الله الَّذي رفع ذلك الوزر الذي صيَّر الظهر منقضَّاً، ونصرته لرسوله (ﷺ).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ (القدر)، الآية الشريفة في وصف إنزال القرآن الكريم، و قد استُعمل فيها الفعل الرباعيُّ المزيد بالهمزة (أنزل)، وقد دلَّ على التعدية إذ إنَّه مأخوذ من الثلاثي (نزل) ، وقد زيدت الهمزة فيه فأفادت تعديته .

ويُلحظ أنَّ هذه التعدية خالية من دلالة القسر و الإكراه التي سبق الحديث عنها في دلالة (أخرج) . فالآية الشريفة تقرِّر أنَّ القرآن الكريم مُنزل من الله تعالى، بلحاظ الضمير (نا) المتَّصل بالفعل فاعلاً له، وهو عائد على الله (عزَّ وجلَّ) إذ هو تعالى المتحدِّث في القرآن في هكذا مواضع .

(فعَّل)

من المواضع الَّتي وردت فيها صيغة (فعَّل) قوله تعالى:﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ ﴾ (البينة)، (تفرَّق) مضارع من (فرَّق) وهو

[١] ينظر : لسان العرب ، (مادة نقض) : ٧ / ٢٤٢
[٢] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٨٣

****

فعل رباعي مزيد بتضعيف العين، على زنة (تفعَّل)، والتضعيف يفيد تكثير الفعل(١)، فدلَّت الآية الشريفة على كثرة تفرُّق أهل الكتاب الموصوفين في الآية الشريفة.

ويُلحظ أنَّ في الآية الشريفة ذمَّاً لأهل الكتاب، إذ تفرَّقوا هذا التفرَّق الكبير وقد جاءتهم البيِّنة التي ينبغي أن يلتفُّوا حولها، و يتوحَّدوا تحت هداها.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ (الشمس)، (زكَّى) فعل رباعي على زنة (فعَّل)، وأصله (زكى)، وهو لازم، فأفاد تضعيف العين التعدية، وفي هذه التعدية دلالة على أنَّ الله تعالى لا يجبر الإنسان على عمل وإنَّما يبين له طريق الخير، وطريق الشر، وجزاء كل منهما، والاختيار للإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإنسان).

(فاعَل)

من المواضع الَّتي وردت فيها صيغة (فاعَل) قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ (التحريم : من ٩)، و(جاهد) فعل أمر من (جاهد - يجاهد)، وهو رباعيٌّ مزيد بألف المفاعلة، إذ إنَّ أصله (جهد)، وصيغته (فاعل)، وهي تدل على المشاركة(٢)، أي أنَّ الفاعل والمفعول به تبادلا إحداث الفعل ببعضهما(٣)، وفي التعبير بالمشاركة دلالة على أنَّ الإسلام لا يبدأ غيره بالعداء، ويدعم هذا قوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحج)

ومما يدلُّ على أنَّ الإسلام لا يبدأ الآخرين بعداء قوله تعالى - بعد الأمر بالجهاد - : ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ فالأمر بالإغلاظ طارئٌ على شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي قال عنه القرآن الكريم : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ

(١) ينظر : الكتاب : ٤ / ٨٣ ، و شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٩٢
(٢) ينظر :شرح شافية ابن حاجب : ١ / ١٠٨
(٣) ينظر : الكتاب : ٤ / ٦٨ ، و المقتضب : ٢ / ١٠٣

لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران)، وقال عنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء)، لكن نجده في هذه الآية يأمره بالإغلاظ مما يدلُّ على أنَّ الطرف الآخر في حالة من العداء لا ينفع معها اللين .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ (البينة:٧)، و (آمن) فعل رباعي على زنة (فاعل)، وهو لازم، و إذا كان (فاعل) لازماً فإنه يدلُّ على معنى (فَعَل)، إلَّا أنَّه يدلُّ على المبالغة[١]، فالقرآن الكريم يريد من المؤمنين شدَّة الإيمان وكثرته والمبالغة فيه، وقد جيء به في سياق المدح بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ ، مما يدلُّ على شدة إيمان الممدوحين و كثرته إذ أوصلهم إلى مرتبة (خير البرية) .

(افْتَعَل)

من مواضع صيغة (افتعل) في السور موضع الدراسة قوله تعالى :﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ (البلد)، و قد تقدَّم في ما مضى من هذه الدراسة الحديث عن العقبة[٢]، وبيان الآراء التي تحدَّثت عن معناها، واتَّضح أنَّ العقبة أمرٌ صعب ذو مشقة .

وُيلحظ أنَّ القرآن الكريم عبَّر عن اجتياز العقبة بالاقتحام من خلال استعمال الفعل (اقتحم) وهو فعل رباعيٌّ مزيد على زنة (افتعل)، ومن دلالات افتعل " **المبالغة في معنى الفعل** "[٣]، فدلَّ الفعل على المبالغة في الاقتحام لما تتطلبه صعوبة العقبة.

لقد جاءت دلالة الفعل (اقتحم) متناسقة مع السياق الذي وردت فيه، إذ المبالغة والقوة والشدة.

---
(١) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٩٩
(٢) ينظر : ١٠ من هذه الرسالة .
(٣) شذا العرف : ٢٥

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ (الانفطار)، (انتثر) على زنة (افتعل)، و من دلالات (افتعل) المطاوعة[١]، وقد جاء هذا الفعل في سياق الحديث عن أحوال يوم القيامة حيث تكون الخلائق منصاعةً لأمر الله تعالى لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، فدلَّ الفعل على انصياع الكواكب طائعة لأمر ربها يوم القيامة. والفعل لا يخلو من دلالة المبالغة التي تقدَّم الحديث عنها في الآية السابقة.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات: من ١٢)، و الآية الشريفة **" تأديب عظيم يبطل ما كان فاشياً في الجاهليَّة من الظنون السيئة والتهم الباطلة، وأنَّ الظنون السيئة تنشأ عنها الغيرة المفرطة والمكائد والاغتيالات، والطعن في الأنساب، والمبادأة بالقتال حذراً من اعتداء مظنون ظناً باطلاً، كما قالوا : خذ اللّص قبْلَ أن يَأخُذَك "[٢] .**

ويُلحظ في الفعل (اجتنبوا) – وهو فعل أمر من (اجتنب – يجتنب) دلالة الكثرة، وقد اكتسبها سياقيَّاً من المفعول به (كثيراً من الظنّ)، فالقرآن الكريم يريد الابتعاد عن كثير من حالات الظنِّ بالآخرين، فجاء بالفعل (اجتنبوا) للدلالة على الكثرة والمبالغة في الأمر، ولا سيَّما أنَّ من دلالات صيغة (افتعل) المبالغة .

ب- التعدِّي واللزوم

التعدِّي واللزوم حالان من أحوال الفعل يتعدد بحسبهما إلى متعدٍّ ولازم، والفعل المتعدِّي **" هو ما يتعدَّى أثره فاعله، ويتجاوزه إلى المفعول به "[٣]**، وهو متمكِّنٌ لا يحتاج واسطة لتعدِّيه[٤].

---

[١] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ١٠٨
[٢] تفسير التحرير و التنوير : ٢٦ / ٢٥١
[٣] جامع الدروس العربيَّة ، الشيخ مصطفى غلاييني : ٣٤
[٤] ينظر : الفعل في معاني القرآن للفراء دراسة نحويَّة، طالب خميس وادي، رسالة ماجستير، كليَّة التربية ابن رشد – جامعة بغداد : ٩١

****

أمَّا الفعل اللازم فهو **" ما لا يتعدَّى أثره الفاعل، ولا يجاوزه إلى المفعول به، وإنَّما يبقى مقتصراً على فاعله "**[١]، **" فإنه يحتاج إلى فاعل يفعله، ولا يحتاج إلى مفعول يقع عليه "**[٢]، ولا يتعدَّى إلَّا بواسطة[٣].

دلالة الفعل المتعدِّي

للفعل المتعدِّي دلالات عدة يحدِّدها الاستعمال، و ثمَّة ظاهرة دلاليَّة في تعدِّي الفعل تكرَّرت في السور المدروسة، ستكون محط أنظار الدراسة، وهي مجيء الفعل المتعدي مستغنياً عن مفعوله لفظاً وتقديراً، وقد عُرفت هذه الظاهرة بالحذف الاقتصاري، وهي في الواقع ليست من الحذف، وإنَّما من باب الاقتصار على الحدث وصاحبه[٤]، وقد عرَّفها الزمخشري بقوله : **" أنْ يُجعل بعد الحذف نسياً منسياً، كأنَّ فعله من جنس الأفعال غير المتعدِّية كما يُنسى الفاعل عند بناء الفعلِ للمفعول به "**[٥] .

ومن ذلك : قوله تعالى :﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ (الأعلى)، هذه الآيات الشريفة **" تصف التدبير الإلهي وهي دليل على ربوبيته تعالى المطلقة "**[٦]، وقد ورد فيها أربعة أفعال متعدية هي (خلق، وسوَّى، وقدَّر، وهدى)، ويلحظ أنَّها لم تأخذ مفاعيلها، ويرى الجرجاني أنَّ عدم ذكر المفعول في مثل هكذا تعبير إنَّما هو لإثبات معاني الأفعال لفاعليها، والاقتصار على ذلك[٧]، فالمراد من الآيات إثبات الخلق والتسوية والتقدير و الهداية لله تعالى على نحو الإطلاق إذ لا يشاركه فيها أحد، يقول الدكتور أحمد عبد الستار الجواري : **" والحقُّ أنَّ ورود الفعل المستحقِّ للمفعول بلا مفعول إنَّما يكون مقصوداً به**

---

(١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي : ٤٠٦
(٢) دروس التصريف ، محمد محي الدين عبد الحميد : ١٧٩
(٣) ينظر : الفعل في معاني القرآن : ٩٢
(٤) ينظر : حذف المفعول به في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية) ، سعد حسين العبيدي، رسالة ماجستير، كليَّة التربية – جامعة تكريت : ١٩٩
(٥) شرح المفصل : ٢ / ٣٩
(٦) الميزان : ٢٠ / ٢٩٨
(٧) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٥٣ - ١٥٤

****

إطلاق الفعل في كلِّ ما يسمح المقام بتصوُّره مفعولاً لذلك الفعل، دون النصِّ على اسم بعينه "[1] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ **(العلق)**، ورد الفعل (خلق) في الآيتين الشريفتين مرَّتين، وقد استوفى مفعوله في الثانية، ولم يستوفه في الأوَّلى؛ ذلك أنَّ الأوَّلى تتحدث عن مطلق الخلق لله (عزَّ وجلَّ)، مقترنة بقوله تعالى :﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ ، أي اقرأ باسم ربك الخالق المطلق القادر على كلِّ ما خلق، وفي هذا تشجيع لرسول الله (ﷺ) وشدٌّ لعزيمته .

وأمَّا (خلق) الثانية فإنَّها تمهيد للحديث عن تعليم الإنسان في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾، وفي هذا التعبير دلالتان مهمَّتان هما :

١- حكمة الله تعالى، إذ خلق الإنسان، ولم يتركه يتخبَّط في ظلمات الجهل، بل علَّمه ما لم يعلم .

٢- التأكيد على العلم والتعلم كغاية من خلق الإنسان فالله تعالى لم يخلقه للَّعب، واللَّهو.

ومن المواضع الأخرى قوله تعالى :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ **(الضحى)**، والآية الشريفة تنفي أن يكون الله تعالى قد ودَّع نبيه (ﷺ) أو قلاه، وقد جيء فيها بالفعل (قلى) وقد حُذف مفعوله في مقام مخاطبة الرسول الأكرم (ﷺ).

ويرى الفرَّاء أنَّ الكاف حُذفت من الفعل (قلى) لدلالة الكاف في (ودَّعك) عليها، ولمناسبة رؤوس الآيات[2]

وقال أبو السُّعود : **" وحَذفُ المفعولِ إمَّا للاستغناءِ عنْهُ بذكرِهِ من قبلُ أو للقصدِ إلى نفي صدورِ الفعلِ عنْهُ تعالَى بالكليَّةِ مع أنَّ فيهِ مراعاةً للفواصلِ "[3]**،

---

[1] نحو القرآن ، د. أحمد عبد الستار الجواري : ٣٦
[2] معاني القرآن ، الفرَّاء : ٣ / ٢٧٤
[3] تفسير أبي السعود، : ٥ / ٥٤٢

****

وذكر الرازي رأي الفرَّاء، وأضاف إليه أنَّ الحذف لإطلاق نفي (القلى) عن الرسول(ﷺ)أو أصحابه.[1]

وقد بيّنت الدكتورة عائشة عبد الرحمن دلالة هذا الاستعمال معلقةً على القول بمراعاة الفواصل بقولها : **" وأمَّا تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنَّما الحذف لمقتضى معنويٍّ بلاغيٍّ، يقوِّيه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكليُّ هو الأصل، ولو كان البيان القرآنيُّ يتعلق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١ ﴾ .**

وليس في السورة كلِّها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى : ((فخبِّر))، لتتفقَّ الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلَّقون به .

ويبقى القول بأنَّ الحذف لدلالة ما قبله على المحذوف، وتقتضيه حسَّاسيَّة معنويَّة مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك. لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدَّة البغض . أمَّا التوديع فلا شيء فيه من ذلك. بل لعلَّ الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره، مع رجاء العودة واللقاء . "[2]

[1] ينظر : تفسير الفخر الرازي : ٣١ / ٢١٠

[2] التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ٣٥

****

دلالة الفعل اللازم

ستركز الدراسة في بحث دلالة الفعل اللازم على فعلين يشكِّل استعمالهما في القرآن الكريم ظاهرة حرية بالدراسة، وهما الفعلان (صلَّى، وآمن)، فقد وردا بتصاريفهما المتعدَّدة، في القرآن الكريم بكثرة .

ومعلوم أنَّ الإيمان والصلاة من أهم ركائز الدين الإسلامي التي حثَّت مصادر التشريع عليها، وهما عملان يقوم بهما الإنسان لله تعالى.

ونظرة تأمُّل في هذين الفعلين توحي لنا بدلالة وظيفيَّة للزومهما، فإنَّ الَّذي يقع عليه فعل الفعلين في المعنى هو الله تبارك تعالى، فيُلمح في اللزوم دلالة على دفع منَّة الإنسان على ربِّه بإيمانه وصلاته، ومن الجدير بالذكر، أنَّ هذين الفعلين يتعدَّيان بحرف الجر، الباء في (آمن)، واللام في (صلَّى)، والباء للإلصاق أي أنَّ دخوله يفيد دلالة تأكيد الإيمان وقوته، أمَّا اللام فهي للملكيَّة؛ فدخولها يفيد دلالة تملِّيك الصلاة لله تعالى .

ومن مواضع دلالة الفعل اللازم أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الحجرات)، نهت الآية الشريفة المؤمنين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي (ﷺ)، وأن يجهروا له بالقول، ثمَّ ذكرت عقوبة هذين العملين وهي إحباط الأعمال، وقد استعمل القرآن الكريم الفعل اللازم (تحبط)، ولم يقل (يحبط الله أعمالكم)، وفي هذا دلالة على أنَّ الأعمال إنَّما تحبط من جراء مخالفة الإنسان لأمر ربِّه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران : من ١١٧) .

ويرى أستاذنا الدكتور فاخر الياسري أنَّ هذا الاستعمال من باب اتِّصاف الفاعل بالفعل[١] .

[١] ينظر : بحوث ودراسات في تراثنا النحوي واللغوي، أ.د فاخر الياسري : ١٤٩

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾(الحجرات: من ٩)، تحثُّ الآية الشريفة على الإصلاح بين المؤمنين إن حصل نزاعٌ بينهم، ويقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : **" وصحيح أنّ كلمة (اقتتلوا) مشتقّة من مادة القتال ومعناها الحرب، إلاّ أنّها كما تشهد بذلك القرائن تشمل كلّ أنواع النزاع وإن لم يصل إلى مرحلة القتال والمواجهة (العسكرية) "**[١] .

والفعل (اقتتلوا) فعل لازم قد دلَّ على المشاركة أي **" يقتل بعضهم بعضاً"**[٢] فكلا الطرفين المتقاتلين قد صدر منه الفعل.

ويُلحظ في الفعل أيضاً دلالة الكثرة والمبالغة فصيغة الاقتتال تدلُّ على الكثرة والمبالغة.

ومن مواضع اللزوم أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الجمعة)، والآية الشَّريفة خطاب لليهود يتضمَّن تحدياً لهم ليثبتوا ما زعموا من أنَّهم أولياءٌ لله، وقد نعتهم القرآن الكريم بالَّذين هادوا، وهادوا فعل لازم على زنة (فاعَل)، وقد دلَّ على الانتساب لليهوديَّة والاتصاف بها.

---

[١] الأمثل : ١٦ / ٥٣٦

[٢] التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ٣٤٥

٣- دلالة الحرف

الحرف هو **" ما جاء لمعنى، وليس باسم، ولا فعل "**[١]، وعرَّفه الزجاجي بقوله : **" والحرف ما دلَّ على معنى في غيره "**[٢]، وعدَّ البطليوسي هذا التعريف ناقصاً، فأضاف إليه **" ولم يكن أحد جزئي الجملة المقيَّدة "**[٣]، وقد أضاف البطليوسي هذه الإضافة احترازاً عن أسماء الاستفهام، والشرط، والأسماء الموصولة[٤] .

إنَّ الحرف يختلف عن الاسم والفعل في كونه ذا هيأة ثابتة لا تتغير، فهو في ذاته ثابت لا تتعدَّد أحواله، إلّا أنَّ الاستعمال يكسبه أحوالاً تشكِّل ظواهر دلاليَّة لها أثرها في شكل، التَّركيب ودلالته. ومن تلك الأحوال :

أ- الزيادة في استعمال الحرف

الزائد هو ما يمكن الاستغناء عنه، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ وجوده وعدمه سواء، وإنَّما يعني أنَّ الكلام بدونه يبقى تامَّاً، يحسن السكوت عليه، لكن وجوده يضفي دلالة للكلام لا توجد بدونه، أي أنَّ **" العنصر المنسوب إلى الزيادة ليس جزءاً من النَّمط التركيبيِّ للجملة، وإنَّما جيء به لزيادة المعنى "**[٥]

ومن مواضع زيادة الحرف في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ (الحجرات:من ١٤)، في الآية الشريفة تفريقٌ بين الإيمان والإسلام، فالإسلام يعني إظهار الاعتقاد بالله تعالى ورسوله (ﷺ)، أمَّا الإيمان فهو التصديق الباطني لهذا الإظهار، ودخول الإيمان

---

[١] الكتاب : ١ / ١٢
[٢] الجمل ، الزجاجي : ١٧
[٣] كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، البطليوسي : ٧٦
[٤] ينظر : أقسام الكلام العربي ، د. فاضل الساقي : ٨٥
[٥] الدلالة التركيبيَّة بين النظرية والتطبيق سورة يوسف نموذجا ، د. نادية رمضان النجار، (بحث)، مجلة علوم اللغة، مج١١، ع٢، ٢٠٠٨ : ٩

****

في القلب بمعنى الاستقرار فيه، **" واستعير الدخول في قوله﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾للتمكن وعدم التزلزل "**[١].

والحرف الزائد في الآية هو (في)، إذ إنَّ (يدخل) فعل متعدٍّ يباشر مفعوله بدون وساطة، لكن في الآية الشريفة دخل حرف الجر (في) على مفعوله (قلوبكم)، فلو كان التعبير بـ((ولمَّا يدخل الإيمان قلوبكم)) لكان الكلام تامَّاً يحسن السكوت عليه، لكن دخول (في) أفاد دلالة استقرار الإيمان في القلوب، وتوغله فيها .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ **(الفاتحة: ٧)**، الحرف الزائد في الآية الشريفة هو (لا) الواقع بين المعطوف، والمعطوف عليه، وهو لتوكيد النفي[٢]، **" ويتعيَّن دخولها في الآية لئلا يُتوَّهم عطف الضَّالين على الَّذين "**[٣]، والمعنى بدونها يحتمل وجهين، فإمَّا أن يُنفى الحكم عمَّا قبلها وما بعدها كلَّاً على حده، أو ينفيه عنهما مجتمعين، و دخولها يفيد المعنى الثاني[٤]، فقد دلَّ دخولها على نفي الكون مع المغضوب عليهم والضَّالين معاً.

ب – الانزياح في استعمال الحرف

قبل الخوض في بحث الانزياح في السور موضع الدراسة، يجدر بنا القيام بجولة سريعة في زوايا الدائرة الاصطلاحية لهذا المفهوم، فالانزياح **" مفهوم تجاذبته، وتعلَّقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة "**[٥]، وليست الدراسة بصدد

---

(١) تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٦٥
(٢) ينظر : مغني اللبيب ، ابن هشام : ٢ / ٣٠٢
(٣) الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي : ٣٠١
(٤) ينظر : معاني النحو : ٤ / ١٧٨
(٥) الانزياح وتعدد المصطلح ، أحمد محمد ويس، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، مج٢٥، ع٣، يناير/مارس، ١٩٩٧ : ٥٨

****

بصدد البحث في تاريخ المصطلح، والجدل الدائر حوله غربياً، وعربياً، فقد كُتب بهذا الشأن العديد من الدراسات(١) .

وإنَّما الذي تريده الدراسة هو تحديد الوجهة الاصطلاحية التي تنطلق منها في بحث هذا المفهوم في السور المدروسة.

والانزياح في أبسط تعريفاته هو خروج عن المألوف(٢)، وبما أنَّ هذه الدراسة هي دراسة في دلالة بنية التركيب النحوي، وأنَّ المألوف في الدرس النحوي هو القاعدة، فعليه إنَّ الخروج عن المألوف في النحو، هو مخالفة القاعدة .

من الفكرة السابقة ستنطلق الدراسة لتحديد المصطلح الذي تستعمله لهذا المفهوم وما يتعلَّق به، محاولةً الاقتراب من فكرة لتوحيد المصطلح على مستوى هذه الرسالة في الأقل، فقد كثرت المصطلحات المستعملة للتعبير عن مفهوم الخروج عن المألوف، وقد استبعد الدكتور أحمد محمد ويس بعض المصطلحات كالإخلال والشناعة والخطأ والجنون والعصيان وغيرها؛ لأنَّها لا تتناسب واللياقة الأخلاقيَّة(٣)، وحصَر البحث في ثلاثة مصطلحات هي : الانحراف والانزياح والعدول، وترى الدراسة استبعاد الانحراف أيضاً؛ لأنَّه لا يقل ابتعاداً عن اللياقة من المصطلحات التي استبعدها الأستاذ ويس، ولاسيَّما أنَّ هذه الدراسة ميدانها النصُّ القرآنيُّ، فلا يليق نعته بالانحراف؛ لذا إنَّها ستقتصر على مصطلحي (الانزياح، والعدول) مع محاولة للتفريق بينهما .

ويبدأ التفريق بين المصطلحين اللذين يُستعملان للخروج عن المألوف بتمييز نوعين لهذا الخروج، هما : خروج ضمن حدود القاعدة، وخروج مع كسر القاعدة، وتنطلق الدراسة في تسمية كلا النوعين من الجذر اللغوي لكلٍّ من العدول والانزياح .

(١) ينظر على سبيل المثال : الأسلوبية والأسلوب ، د. عبد السلام المسدي : ١٦٢ وما بعدها ، والانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب ، د. عباس رشيد الددة ، والانزياح وتعدد المصطلح : ٥٣ ، وما بعدها
(٢) ينظر : الأسلوبية والأسلوب : ١٦٣
(٣) ينظر : الانزياح وتعدد المصطلح : ٥٩

****

فالعدول من (عدل – يعدل – عدلا)، **" والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه فتميله"**[1]، والعدول عن الشيء الحياد عنه[2]، والمتكلِّم عندما يعدل من تعبير إلى آخر كأن يقدِّم ما حقه التأخير أو يؤخر ما حقه التَّقديم، فقد خرج عن المألوف القواعدي ولكن ضمن الحدود التي تسمح بها القاعدة .

ومن هنا تقترح الدراسة أن يكون العدول هو الخروج عن المألوف ضمن حدود القاعدة[*].

أمَّا الانزياح فهو صيغة انفعال من (زاح – يزيح) الذي أصله (زيح) و **"الزيح ذهاب الشيء تقول أزحت علَّته فزاحت تزيح زيحاً "**[3]، فالانزياح هو الذهاب والتَّباعد[4]، والمتكلِّم عندما يخرج عن حدود القاعدة، ويكسر قيدها يكون قد أزاحها عن طريق تعبيره، كأن ينصب الفاعل، أو يأتي به جملة وغيرها من المخالفات الصريحة للقاعدة .

ومن هنا تقترح الدراسة أن يكون الانزياح هو الخروج عن المألوف مع كسر القاعدة ، فالمتكلِّم يزيح القاعدة، ويخالفها تماما .

وقد ورد الانزياح في استعمال في السور موضع الدراسة في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾**(الصف: من ٥)**، إذ إنَّ (قد) - بحسب القاعدة - حرف يدخل على الفعل الماضي فيفيد التحقيق، وعلى الفعل المضارع فيفيد التقليل، أي تقليل إمكانيَّة حصول الفعل، لكنَّنا نجده قد دخل على المضارع، وأفادالتحقيق في هذا الموضع، ومواضع أخرى من القرآن الكريم هي : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾**(البقرة: من ١٤٤)**، و ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ **(الأنعام)**، و﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ **(الحجر)**،

---

[1] **العين : مادة (عدل) / ٢ / ٣٩**
[2] **ينظر : لسان العرب : مادة (عدل) / ١١ / ٤٣٠**
[*] **وهو موضوع الفصل الثالث من هذه الدراسة .**
[3] **العين : مادة (زيح) / ٣ / ٢٧٦**
[4] **ينظر : لسان العرب : مادة (زيح) / ٢ / ٤٧٠**

****

و﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾(النحل: من ١٠٣) ، و ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ (النور: من ٦٣)، و﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (النور: من ٦٤)، و﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾(الأحزاب: من ١٨)، والمتأمِّل في هذه المواضع يجد أنَّ (قد) دخلت على الفعلين (نرى)، و (يعلم و مشتقَّاته)، وهما فعلان

يفيدان اليقين، وإذا ضممنا إلى هذا أنَّهما وردا في المواضع جميعا في سياق الإخبار، والمخبر هو الله تعالى، والنبي موسى (عليه السلام) في سورة الصف، وكلاهما لا يخبران إلا باليقين ، فينتفي الشك فيما يخبران به، ويتعيَّن كون (قد) للتحقيق لا للتقليل .

المبحث الثاني / وسائل الترابط في البنى التركيبيَّة

في المبحث الأوَّل بحثت الدراسة في دلالة العناصر التي تشكِّل البنية التركيبية، ومعلوم أنَّ الكلمات في التركيب لا تصطف عشوائياً، وإنَّما تنتظم على وفق قوانين اللغة، ويربطها ببعضها وسائل تحفظ للنِّظام اللغوي تماسكه المطلوب.

وموضوع هذا المبحث هو هذه الوسائل محاولاً الخوض في دلالاتها وهي تؤدِّي وظيفتها في الربط بين أجزاء البنية التركيبيَّة .

و**" الربط اصطلاحاً : ما يحصل من ائتلاف وصلة واتحاد وتماسك بين أجزاء الكلام والجملة، سواء أكانت هذه الأجزاء هي عناصر أساسيَّة في بنائها أم غير أساسيَّة، وذلك بوسائل معنويَّة أو لفظيَّة "**[١]، وفي اللغة العربيَّة من وسائل الربط ما جعل الدكتور إبراهيم أنيس يصفها بـ(لغة الوصل)[٢]، و وظيفة الربط **"إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية "**[٣]

وستبحث الدراسة في دلالة أبرز وسائل الربط في السور المدروسة، وهي :

١- الإحالة :

عرَّف الدكتور أحمد عفيفي الإحالة بأنَّها : **" علاقة معنوية بين ألفاظ معينة، وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدلُّ عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدلُّ عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول ....الخ حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة قصدت عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغويَّة أو غير لغويَّة "**[٤] .

[١] بحوث نحوية في الجملة العربية ، د. عبد الخالق زغير عدل : ٤٣
[٢] ينظر : من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس : ٢٧٦
[٣] البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان : ١ / ١٢٨
[٤] الإحالة في نحو النَّص، د. أحمد عفيفي : ١٠

ومن أهمِّ فوائد الإحالة أنَّها[١] :

١- تضفي على النَّص إيجازاً وتكثيفاً دلاليَّاً .

٢- تسهم في الحفاظ على دقَّة المعنى من خلال تجنب الغموض والتناقض اللَّذين قد يحدثان بسبب إعادة ذكر اللفظ .

" ومن هنا يمكن الهروب من رتابة الأسلوب مع إحكام الاتساق النَّصي باستخدام الوسائل المتنوعة للربط، فمرَّة يتم التخالف بين العبارات بتقليبها عن طريق المترادفات أو التكرار، ومرَّة تستخدم الإحالة، وثالثة يمكن فيها توزيع الألفاظ أو المشتقات المختلفة للدلالة على ربط وصور جديدة في النص شكلا ومضموناً .... "[٢]

وتنقسم الإحالة بحسب المحيل إلى :

١- إحالة ضميرية .

٢- إحالة إشارية .

٣- إحالة موصولية[٣] .

وتنقسم الإحالة أيضاً بحسب المحال عليه إلى داخليِّة (نصيِّة) و خارجيِّة (مقاميِّة)، والداخليِّة هي التي يكون فيها المحال عليه عنصراً داخل النص، وهي تنقسم إلى قبليَّة يسبق المحال عليه فيها المحال، وبعدية يكون المحال عليه فيها بعد المحال .[٤]

و أمَّا الخارجية فيكون المحال عليه فيها عنصراً خارجياً يفهم من السياق .[٥]

---

[١] ينظر : الإحالة في نحو النَّص : ٥ - ٦

[٢] المصدر نفسه : ٧

[٣] ينظر : البيان في روائع القرآن : ١ / ١٣٧

[٤] نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د. أحمد عفيفي : ١١٧ ، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي : ١٦ - ١٧

[٥] ينظر : المصدران السابقان

****

وستتَّخذ الدراسة التقسيم الأوَّل تقسيماً رئيساً في البحث؛ لأنَّ المحيل هو العنصر المركزي في عملية الإحالة فهو الذي يصل المحال بالمحال عليه، فتنتج عمليَّة الإحالة .

أ- الإحالة الضميرية :

هي الإحالة التي ترتكز على الضمير في ربطها بين المحال والمحال عليه، وقد عرَّف الدكتور إبراهيم أنيس الضمائر(*) بأنَّها : **" ألفاظ صغيرة البنية تستعيض بها اللغات عن تكرار الأسماء الظاهرة "**[1]، والربط بالضمير بديلٌ لإعادة الذكر، وهو أسهل استعمالاً وأكثر اختصارا[2]، و**" من وظائف الإضمار العمل على الربط والاستغناء عن تكرار الاسم الظاهر "**[3] .

ومن مواضع الإحالة الضميرية في السور المدروسة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ **(الفلق)**

تكمن الإحالة في الفعل (خلق)، إذ أحال الضميرُ المستتر فيه الذي تقديره (هو) الخلقَ على (ربِّ الفلق)، وهي إحالة داخلية قبلية، فقد أحال الضمير الفعل على عنصر داخل النص مذكور سابقاً، وقد دلَّت هذه الإحالة على نسبة عمليَّة الخلق إلى رب الفلق .

و (ربُّ الفلق) يحيل بدوره إحالة خارجيَّة على الله تعالى، فالنص الشريف فيه إحالتان، داخليَّة بين الضمير وقوله (ربِّ الفلق)، وخارجيَّة بين (ربِّ الفلق)، والله تبارك وتعالى .

(*) ومن الجدير بالذكر أن د. إبراهيم أنيس يعد أسماء الإشارة ، والموصولات ضمائر أيضاً .

[1] من أسرار اللغة : ٢٤٧

[2] ينظر : البيان في روائع القرآن : ١ / ١٣٧

[3] الجملة في الشعر العربي ، د. محمد حماسة عبد اللطيف : ٦١

****

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (التحريم)

في الآية الشريفة إحالة خارجيَّة، المحال عليه فيها عنصر خارجي غير مذكور في النص، هو زوجتان من زوجات الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وقد أحالت اللاحقة الضميريَّة (كما) الدالَّة على المثنى القلوب على الزوجتين، وفي هذا دلالة على نسبة القلوب إليهما .

ويلحظ في هذه الإحالة عدم المطابقة بين عناصرها، فالمحال (القلوب) جمع، والمحال عليه (الزوجتان) مثنى، والمحيل (كما) يدلُّ على التثنية، وقد ذُكر أكثر من رأي لتوجيه هذا الاستعمال، يقول الشيخ الطوسي : **" كلُّما تثبت الإضافة فيه معنى التثنية فلفظ الجمع أحقُّ به "**[(١)]، ويرى أبو حيان أنَّ استعمال الجمع جاء لتلافي استعمال تثنيتين[(٢)].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحجرات)

تحدِّد الآية الشريفة المؤمنين، من خلال بيان صفاتهم، وهي الإيمان بالله تعالى و رسوله وعدم الارتياب و الجهاد في سبيل الله بالأموال و الأنفس، وقد خُتمت الآية بوصف المؤمنين الَّذين تتوافر فيهم هذه الصفات بأنهم هم الصادقون .

وقد أحال الضمير (هم) في الآية الشريفة صفة الصدق المتمثلة في قوله تعالى (الصادقون)، على المؤمنين المتقدِّم وصفهم في الآية الشريفة، فهي إحالة داخليِّة قبليِّة، والضمير (هم) ضمير فصل، وضمير الفصل يفيد التوكيد، فدلَّت الإحالة على التوكيد زيادة على نسبة الصدق إلى المؤمنين .

ومن مواضع الإحالة الضميريَّة أيضاً قوله تعالى:﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ (الزلزلة)

---
(١) التبيان : ١٠/ ٤٧
(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٨ / ٢٨٦ ، و الدر المصون : ١٠ / ٣٦٦

****
تتحدَّث الآية الشريفة عن جواب الأرض يوم القيامة للإنسان عندما يتساءل مستغرباً عن حالها. والضمير المراد الحديث عنه هو الكاف في (ربَّك)، والمحال في الآية هو (ربّ)، أمَّا المحال عليه فإنَّه يحتمل وجهين :

- الأوَّل / إنَّه الرسول (ﷺ)، وفي هذه الإحالة تقويَّة لرسول الله(ﷺ) وشدٌّ لعزيمته فمالك هذه الأرض الذي يزلزلها بأمرٍ منه، ولا تعصي له أمراً هو ربُّه الذي بعثه بالرسالة، وهو ناصره و حاميه.
- الثاني / إنَّه الإنسان، وتُلمح أكثر من دلالة في هذه الإحالة :

١- ردعٌ للإنسان الذي يظن أنَّ هذه الأرض ملكه بأنَّه هو وهذه الأرض ملك لله يتصرف بهما كيفما يشاء .

٢- ردٌّ على اعتراض الإنسان بقوله :﴿مَا لَهَا﴾ بأنَّ الأمر بيد الربِّ الذي يملكك، فلا يحق لك الاعتراض .

٣- تذكيرٌ للإنسان بحياته الدنيا، وتوبيخ له بأنَّ هذا أمر ربِّك الَّذي كنت تعصيه، وتعبد غيره، وتنكر أنَّه ربُّك .

ب- الإحالة الإشارية

هي الإحالة التي ترتكز على اسم الإشارة في ربطها بين المحال والمحال عليه. وأسماء الإشارة **" هي الأسماء الَّتي يشار بها إلى المسمَّى، وفيها من أجل ذلك معنى الفعل .... "**[١]، وعرَّف الدكتور عباس حسن اسم الإشارة بأنَّه : **" اسم يعيِّن مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسيَّة إليه "**[٢]، أي أنَّها تدلُّ على المشار إليه مع الإشارة إليه في الوقت نفسه، ويستعاض باسم الإشارة عن تكرير الاسم الظاهر كما في الضمير[٣]

ومن مواضع الإحالة الإشاريَّة في السور موضع الدراسة :

---
[١] شرح المفصل : ٣ / ١٢٦
[٢] النحو الوافي ، د. عباس حسن : ١ / ٣٢١
[٣] ينظر : من أسرار اللغة : ٢٤٨

****

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ (التغابن)

اسم الإشارة في الآية الشريفة هو (أولئك)، وقد ربط قوله تعالى(أصحاب النار ....) بقوله تعالى (الذين كفروا ...)، وأحال صفة صحبة النار والخلود فيها على الَّذين كفروا وكذَّبوا بالآيات الإلهيَّة، **" وجيء لهم باسم الإشارة لتمييزهم تمييزاً لا يلتبس معه غيرهم بهم ...... مع ما يفيده اسم الإشارة من أنَّ استحقاقهم لملازمة النَّار ناشيء عن الكفر والتكذيب بآيات الله، وهذا وعيد "**[١].

و (أولئك) اسم إشارة يدل على البعد، فأفاد استعماله بُعد هؤلاء عن رحمة الله، الذي يقرِّره خلودهم في النار . والإحالة هنا إحالة داخليَّة قبليَّة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الحجرات)

في الآية الشريفة إحالة إشاريَّة داخليَّة تكمن في اسم الإشارة (أولئك) الذي يربط بين (الراشدون) ، و ضمير المخاطبين في (إليكم و قلوبكم)[٢] - والضمير يحيل بدوره إحالة خارجية على المخاطبين بالآية الشريفة - وفي هذا التعبير**"التفات من الحضور إلى الغيبة"**[٣]، وعلَّل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي هذا الالتفات بقوله : **" ويبدو أنَّ التفاوت في التعبير جاء ليدلَّ على أنَّ هذا الحكم غير مختص بأصحاب النبيِّ، بل هو قانون عام ... "**[٤]، أي أنَّ الحكم لا يختص بالمخاطبين بقوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ ﴾، وإنَّما يشمل كلَّ من يغرس الله في قلبه محبة الإيمان وبغض الكفر .

---

[١] تفسير التحرير والتنوير : ٢٨ / ٢٧٨
[٢] ينظر : تفسير التحرير و التنوير : ٢٦ / ٢٣٧
[٣] البحر المحيط : ٨ / ١١٠ ، والدر المصون : ١٠ / ٨
[٤] الأمثل : ١٦ / ٥٣١

****

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (الطلاق: من ٢)

ربط (ذلكم) بين قوله تعالى : ﴿ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، والكلام السابق، وهو الأفعال الَّتي أمر الله تعالى بها المؤمنين للتعامل مع النساء اللاتي يأتين تائبات، فأحال (ذلكم) الموعظة ومستحقَّها على هذه الأفعال، أي أنَّها موعظة لمن يؤمن بالله واليوم الآخر .

ويلحظ أنَّه جاء بـ(ذلكم) للتعبير عن الجمع بإضافة ميم الجماعة إلى اسم الإشارة (ذلك)، و في هذا دلالة على تعظيم الأفعال المأمور بها، وأهميَّتها جميعاً.

وقال تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾ (البلد)

في الآية الشريفة حديث عن القسم بالبلد، والمراد به مكَّة المكرمة، وقد استعمل القرآن الكريم اسم الإشارة (هذا) للإشارة إلى (البلد) .

وفي الآية الشريفة إحالتان الأولى داخليَّة بعديَّة تكمن في إحالة اسم الإشارة القسم على (البلد). أمَّا الثانية فهي خارجيَّة أحال فيها (البلد) المعنى المراد على عنصر خارج النص هو (مكَّة المكرمة) .

وفي التعبير بـ(هذا) دلالة على القرب، فلمكَّة مكانة في قلب رسول الله (ﷺ).

ج- الإحالة الموصولية

هي الإحالة التي ترتكز على الموصولات في ربطها، وهي ألفاظ تربط بين الجمل ويستعاض به عن تكرير الاسم الظاهر[١]، وسمِّيت الموصولات بهذا الاسم **" لأنَّها توصَل بكلام بعدها هو من تمام معناها "**[٢] .

ولاستعمال الموصول أغراضٌ دلاليَّة، ومن مواضع الإحالة الموصوليَّة :

---

(١) **ينظر : من أسرار اللغة : ٢٤٨**
(٢) **معاني النحو : ١ / ١١٠**

قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ﴾ **(الممتحنة:من ١)**

ربط الاسم الموصول (الَّذين) – في الآية الشريفة - بين قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾، والفعل (آمنوا)، فأحال النداء على المؤمنين، وهي إحالة داخليَّة بعديَّة، إذ أحال الاسم الموصول على عنصر داخل النصِّ واقع بعده، ومن الأغراض الدلاليَّة للاسم الموصول إرادة العموم[١]، فالكلام في الآية الشريفة موجَّهٌ إلى عموم المؤمنين المخاطبين بالقرآن الكريم .

"ومن الملاحظ أنَّ (الَّذين) يدلُّ على العموم النوعي إذا سُبق بالنداء (يا أيُّها) فينحصر هنا بدلالة العموم المخصص لا غير "[٢]، والمراد بالعموم المخصَّص هو العموم الَّذي يُقيَّد بجهة ما، فالعموم في الآية الشريفة مخصَّص من حيث اقتصاره على المؤمنين دون غيرهم، وعموميته تكمن في عدم اختصاصه بفرد من أفراد المؤمنين، وإنَّما يشملهم جميعاً .

وقال تعالى:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ **(الصف: من ٧)**

الموصول في الآية الشريفة هو (مَن) الذي يربط بين قوله تعالى : (ومن اظلم مِن)، وقوله تعالى : (افترى على الله الكذب)، وهو موصول حرفيٌّ، والإحالة داخليَّة بعديَّة، إذ أحال الموصول صفة الظلم المعبَّر عنها باسم التفضيل للدلالة على كثرتها، أحال هذه الصفة على الَّذي يفتري الكذب على الله عز وجل، وقد دلَّ الموصول في الآية الشريفة على **" إرادة واحد من الجنس غير معين"**[٣]، أي أنَّه كلُّ من يفتري على الله الكذب هو مصداق لهذا الوصف المذكور في الآية الشريفة .

---

[١] ينظر : معاني النحو : ١ / ١١١
[٢] اسم الموصول في القرآن الكريم ، حسين عودة هاشم، رسالة ماجستير كليَّة التربية – جامعة البصرة : ٩٨
[٣] معاني النحو : ١ / ١١١

****

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾ (العلق)

الاسم الموصول في الآية الشريفة هو (الذي)، وقد أحال الاستفهام عن الرؤية على من ينهى عن الصلاة، و(الَّذي) له خصوصيَّة في التعبير تحدَّث عنها عبد القاهر الجرجاني بقوله : **" اعلم أنَّ لك في الَّذي علماً كثيراً، وأسراراً جمَّة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصوَّرتها اطَّلعت على فوائد تؤنس النفس وتثلج الصدر، بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤدِّيه إليك من حسن التَّبيين"**[١]، والتَّعبير هنا فيه دلالة على تحقير المتحدَّث عنه[٢]، والتقليل من شأنه، ولاسيَّما أنَّ استعمال (الذي) يأتي بعد قصة أو كلام معلوم لدى المخاطب[٣]، فأعرض القرآن الكريم عن ذكر الموصوف تعريضاً به، وتصغيرا له .

ومن دلالات الاسم الموصول الدلالة على العهدية[٤]، فقد دلَّ (الذي) على العهد الذهني الذي يخصُّ الكلام بذلك الكافر الذي يمنع الرسول (صلى الله عليه وآله) من عبادة ربِّه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢ ﴾ (التحريم) .

الآية الشريفة في مدح السيدة الطاهرة مريم (عليها السلام) وقد جعلها الله مثلاً للذين آمنوا في قبال زوجتي نوح ولوط (عليهما السلام) اللَّتين جعلهما الله تعالى مثلاً للَّذين كفروا . وقد أحال الاسم الموصول (الَّتي) صفة إحصان الفرج على مريم (عليها السلام)، وهي إحالة داخليَّة قبليَّة. وقد دلَّت هذه الإحالة دلالةً سياقيَّةً على المدح، فسياق الآية في مدح مريم (عليها السلام) و اصطفائها مثلاً للَّذين آمنوا .

ويُلمح في الآية الشريفة دلالة على الحث على الاقتداء بمريم (عليها السلام) من خلال ذكر عفَّتها وإحصانها فرجها .

---
[١] دلائل الإعجاز : ١٩٩
[٢] ينظر : معاني النحو : ١ / ١١١
[٣] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٠٠
[٤] ينظر : اسم الموصول في القرآن الكريم : ١٠٢

٢- التكرار

التَّكرار من أهمِّ الموضوعات الَّتي شغلت حيزاً كبيراً من النَّشاط البحثي للقدماء والمحدثين، وقد عدَّه الدكتور الأزهر الزناد شكلاً من أشكال الإحالة[١]، ولكن لأهميَّة التكرار وكثرة الدراسات حوله استقل البحث فيه عن بحث الإحالة.

عرَّف القدماء التكرار بأنَّه **" ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إيَّاه في المعنى، للتأكيد والتقرير "**[٢]، وقال السلجماسي : **" إعادة اللفظ بالعدد أو النوع، أو إعادة المعنى بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعداً "**[٣] .

أمَّا عند المحدثين فهو **" شكل من إشكال التماسك المعجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف "**[٤] .

ويرى الدكتور تمام حسَّان عن التكرار أنَّه يصنع ترابطاً بين أجزاء النصِّ بشكل واضح [٥] . فالتكرار **" يفضي إلى تكامل بين قواعد الربط وقواعد التنامي. فالجملة التكراريَّة الَّتي توجد في مكان يختتم به الكلام؛ توجد أيضاً في مكان يبتدئ به الكلام. وهذا يعني أنَّها توجد في مكان واحد وتؤدي مهمَّتين : إنَّها في الحالة الأولى بمنزلة التعقيب، وهي في الحالة الثانية بمنزلة المضمون، وهي بحكم موقعها هذا تربط بين العناصر النَّصية بضمِّ سابق إلى لاحق، ثمَّ إنَّها تفتح لما سيأتي سبيل التَّحقق والتَّنامي "**[٦] .

أكثر الأسلوب القرآنيُّ من استعمال التكرار، ويقول ابن الأثير (ت٦٣٧)- عن التكرار في القرآن الكريم - : **" وبالجملة فاعلم أنَّه ليس في القرآن تكرار لا فائدة في تكريره، فإنَّ رأيت شيئا منه تكرَّر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه،**

---

[١] ينظر : نسيج النص ، د. الأزهر الزناد : ١١٩
[٢] شرح الرضي على الكافية : ١ / ٤٩
[٣] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو القاسم السلجماسي : ٤٧٦
[٤] نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي : ١٠٦ ، ومصدره
[٥] ينظر : البيان في روائع القرآن : ١ / ١٠٩ وما بعدها
[٦] مقالات في الأسلوبيَّة ، د. منذر عياشي : ٨٨ - ٨٩ .

****

وانظر إلى سوابقه و لواحقه لتنكشف لك الفائدة منه "[١]. وستتنعم الدراسة النظر في بعض المواضع في السور المدروسة، محاولة البحث عن الفائدة الدلالية منها.

ومن مواضع التكرار : قوله تعالى:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ **(التغابن)**

تكرَّر الموصول (ما) في الآية الشريفة، وفي السورة نفسها لم يتكرر في قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ **(التغابن: من ٤)**، وبيَّن الكرماني(ت نحو ٥٠٥) الفرق بين التعبيرين بقوله : **" إنَّما كرر (ما) في أوَّل السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض، وتسبيح أهل السماء في الكثرة والقلة، والبعد والقرب من المعصية والطاعة ..... ولم يكرِّر مع يعلم**[*] **لأنَّ الكلَّ بالإضافة إلى علم الله سبحانه جنس واحد، لا يخفى عليه شيء "**[٢] .

يتَّضح مما سبق أنَّ تكرار (ما) دلَّ على المغايرة، أي مغايرة تسبيح أهل الأرض لتسبيح أهل السماء .

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ **(الإخلاص)**

تكرَّر لفظ الجلالة (الله) في الآيتين الشريفتين، ويرى النَّحاس (ت٣٣٨) أنَّ في هذا التكرار دلالة التعظيم[٣]، ويقول الكرماني : **" كرَّر لتكون كلُّ جملة منهما مستقلة بذاتها، غير محتاجة إلى ما قبلها "**[٤]، أي أنَّ فيه دلالة على استقلال الجملتين عن بعضهما؛ وذلك لاستقلال الغرض من كلٍّ منهما فالأولى (الله أحد) وصف للذات الإلهيَّة، والثانية (الله الصمد) وصف للفعل الإلهي[٥] .

---

[١] المثل السائر ، ابن الأثير : ٢ / ١٦٠

[*] أبدل المحقق د. عبد القادر أحمد عطا هذه العبارة بـ(ولم يكرِّر معها يعلم)، وقال في الهامش (٣) :" في الأصول : ولم يكرِّر مع يعلم. وما أثبتناه أوضح "، لكن هذا الاستبدال أحدث تغييراً في المعنى فالمؤلِّف يتحدَّث عن عدم تكرير (ما)، وعبارة المحقق تفيد بأنَّ الحديث عن عدم تكرير (يعلم)، ولا سيمَّا أنَّ (يعلم) قد تكرَّر في الآية الشريفة؛ لذا أثبت العبارة الأصلية في الاقتباس .

[٢] أسرار التكرار ، محمود بن حمزة الكرماني : ٢٣٧

[٣] ينظر : إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس : ٥ / ٣٠٨

[٤] أسرار التكرار : ٢٥٧

[٥] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٤٥٠

****
ومن المواضع الأخرى للتكرار :

قوله تعالى :﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ (البلد)

وقوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (العصر)

في الآيتين الشريفتين تكرَّر الفعل (تواصوا)، وعلَّل الكرماني هذا التكرار باختلاف المفعولين[١]، أي اختلاف الصبر والمرحمة في الآية الأولى، والصبر والحق في الآية الثانية .

والَّذي يلحظ أنَّ في الآيتين الشريفتين دلالة على أهميَّة التَّواصي بالأعمال الخيِّرة المذكورة، والحثِّ و التأكيد عليها، يقول الزمخشري : **" وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره "**[٢] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون)

السورة الشريفة من أكثر مواضع الخطاب القرآني التي تتجلَّى فيها المواجهة المباشرة مع معسكر الكفر على نحو التَّحدي والرفض الصارم لعبادة غير الله سبحانه وتعالى .

وقد تكرَّر في السورة الشريفة مفهوم العبادة بالنسبة للرسول(ﷺ) من جهة والكافرين من جهة أخرى مرتين، **" إرادةً للتوكيد وزيادةً في الإفهام "**[٣]، وفي التعبير أيضاً دلالة على المغايرة فعبادة الرسول (ﷺ) لله تبارك وتعالى غير عبادة الكافرين لأصنامهم .

---
(١) : ينظر : أسرار التكرار : ٤٥٤
(٢) الكشاف : ١ / ١٤٠
(٣) التبيان في تفسير القرآن : ١ / ١٤

****

ويُلحظ أنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن عبادة الرسول الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالجملتين الاسميَّة والفعليَّة، وأمَّا الكافرون فقد عبَّر عن عبادتهم بالجملة الاسميَّة فقط؛ لينَّزه الله تعالى رسوله الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في الأزمنة الثلاثة الماضي والحال والاستقبال[١]، أمَّا عبادة الكافرين فإنَّها اختصت بالماضي والحال ولم يُعبَّر عنها بالاستقبال تفاؤلاً بتوبتهم وإيمانهم بعبادة ربِّهم الأعلى الَّذي هو أولى بالعبادة من أحجار لا تضرُّ ولا تنفع .

ومن الفروق الدلاليَّة الأخرى بين التعبيرين أنَّ الجملة الاسمية نفت الاتصاف بالعبادة، وأمَّا الفعلية فقد نفت إمكانيَّة العبادة، فنفي عبادة الرسول(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) للأوثان باستعمال الجملتين يدلُّ على أنَّه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ليس عابداً لما يعبدون ولا يمكن أن يعبد غير الله تعالى . أمَّا نفي عبادتهم لله تعالى بالجملة الاسمية فقط فإنَّه يدلل على أنَّهم غير متصفين بصفة العبوديَّة لله تعالى، وأمَّا إمكانيَّة عبادتهم له فهي ممكنة ما دام باب التوبة مفتوحا[٢] .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾ **(القدر)**

تكرَّر في الآية الشريفة لفظ (ليلة القدر) ويمكن الاستغناء عنه بضميره فيكون التعبير (وما أدراك ما هي)، لكن القرآن الكريم جاء بإعادة اللفظ **" في مقام التعظيم والتهويل"**[٣]، فالسياق محفوف بقرائن العظمة إذ وصف القرآن الكريم هذه الليلة بأنَّها ((خيرٌ من ألف شهر))، وهي ليلة تَنزُل الملائكة حتى مطلع الفجر، وقد وصفها القرآن الكريم في سورة الدخان بقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **(الدخان).**

فليلة تميَّزت بهذه الخصائص يناسب تكرارها هذه العظمة التي اكتنفت الحديث عنها.

---

[١] ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢١
[٢] ينظر : المصدر نفسه .
[٣] المصدر نفسه : ٣ / ١٧

٣- العطف

العطف مصدر (عطف - يعطف)، وهو الإمالة والحني[١]، وهو تابع يربط بين المعطوف، والمعطوف عليه، (والحديث هنا عن عطف النسق)، وهو **" من التوابع فالأوَّل المتبوع المعطوف عليه، والثاني التابع المعطوف، وهذا الضرب من التوابع يخالف سائر التوابع؛ لأنَّها تتبع بغير واسطة، والمعطوف لا يتبع إلا بواسطة "**[٢]، و**" وهو تابع يتوسط بينه وبين متبوعه حرف من حروف عشرة كلٌّ منها يسمى (حرف العطف)، ويؤدِّي معنى خاصا"**[٣] .

و النسق هو النظام[٤]، فالعطف يفيد إحالة أطراف البنية التركيبيَّة على بعضها لحفظ نظامها .

وللعطف حروف يؤدي كلٌّ منها دلالة زيادة على دلالة الربط والتنظيم الَّتين يؤديهما العطف بصورة عامة[٥] .

ومن أمثلة العطف في السور موضع الدراسة :

قَالَ تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ **(الفلق)**

في السورة الشريفة يأمر الله عز وجل رسوله الكريم أن يستعيذ من شرور عدَّة، ابتدأها بالاستعاذة من شرٍ مطلق وذلك بقوله : ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، من ثَم أمر بالاستعاذة من شرور خاصة، وقد عطف القرآن الكريم الشرور المستعاذ منها على بعضها بـ(الواو) وهو حرف يفيد العطف، لمطلق الجمع[٦] .

---

[١] ينظر : لسان العرب : مادة (عطف) / ٩ / ٢٤٩
[٢] شرح المفصل : ١ / ٨٨
[٣] النحو الوافي : ٣ / ٥٥٥ - ٥٥٦
[٤] ينظر : لسان العرب مادة (نسق) / ١٠ / ٣٥٢
[٥] ينظر : بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة عبد اللطيف : ١٩٥
[٦] ينظر : معاني النحو : ٣ / ٢١٦

****

ومن المعلوم أنَّه في نظام العطف يكون المعطوف غير المعطوف عليه، فلا يعطف الشيء على نفسه، لكنَّنا نجد القرآن الكريم في الآية الشريفة قد عطف الجزء على الكل فشرُّ الليل، وشرُّ النفاثات، وشرُّ الحاسد، جزء من الشر العام الذي ابتدأت به الاستعاذة، وفي هذا دلالة على الاهتمام بهذه الشرور المذكورة، يقول السيد الطباطبائي : **" وقد ذكر شرِّ الليل إذا دخل بعد ذكر شرِّ ما خلق، من ذكر الخاص بعد العام؛ لزيادة الاهتمام، وقد اهتم في السورة بثلاثة من أنواع الشرِّ خاصَّة هي شرُّ الليل إذا دخل، وشرُّ سحر السحرة، وشرُّ الحاسد إذا حسد؛ لغلبة الغفلة فيهن"**[(1)]. والمتأمِّل في السورة الشريفة يلمح دلالة التحذير في الاستعاذة ، فتأكيد القرآن على هذه الشرور الثلاثة فيه تحذير من خطرها الكبير .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ ﴾ (العاديات)

عطف القرآن الكريم الموريات على العاديات، والمغيرات على الموريات، باستعمال حرف العطف الفاء، **" والعطف بالفاء فيه مع ملحظ السببيَّة ترتيبا دون تراخ أو تمهل وإبطاء، ما بين عدوها ضبحاً، وإغارتها صبحاً "**[(2)]، ففي استعمال الفاء دلالة على السرعة التي تناسب جو الإغارة، والانقضاض على العدو، فالقرآن الكريم كان يمكن أن يستعمل الواو بدلاً من الفاء، لكنَّه جاء بالفاء؛ لأنَّها تناسب سياق الموقف، إذ تضع المتلقي في جو الحدث الذي تصوره الآيات الشريفة، فيشعر به و كأنَّه يعيشه .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (التكاثر)

في الآية الشريفة نوعان من وسائل الربط متداخلان هما التكرار والعطف، وقد دلَّ التكرار على التأكيد على حصول العلم المخبر به .

أما العطف فقد استُعمل فيه الحرف (ثمَّ) الذي يفيد الترتيب مع التراخي، وقد تعدَّدت الآراء في دلالة استعمال (ثمَّ) في هذا الموضع، و يرى الشيخ الطبرسي أن

---
(1) الميزان : ٢٠ / ٤٥٥
(2) التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ١٠٧

****
الآية الأولى في القبر، والثانية عند البعث[١]، وقال أبو حيان:**" وثمَّ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول، وأشد "**[٢]، وقال ابن عاشور : **" وجيء بثمَّ لعطف الجملة دلالة على أنَّ هذا التأكيد ارتقاءً في الوعيد، وتهديد بأشدَّ ممَّا أفاد التهديد الأول، وتأكيده "**[٣] .

، ويمكننا الجمع بين التوجيهين، فالتِّكرار للوعيد مقصود في التَّعبير، ويمكن أن يكون على مرحلتين كما رأى الشيخ الطبرسي الأولى في القبر، والثانية عند البعث .

---
[١] ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٢٤٢
[٢] تفسير البحر المحيط : ٨ / ٥٠٦
[٣] تفسير التحرير والتنوير : ٢٩ / ٣٦٤

الفصل الثاني

أنماط البنى التركيبية

****

الفصل الثاني / أنماط البنى التركيبية

في الفصل الأول بحثت الدراسة في العناصر التي تشكل البنية التركيبية، والوسائل التي تربطها ببعضها، وقد وصل بنا المطاف إلى دراسة دلالة البنية التركيبية التي تتشكل مما دُرس في الفصل الأول .

و موضوع هذا الفصل هو أنماط البنى التركيبية إذ إنَّ الدلالة تتعدد بتعدد الأنماط التركيبية، فالمتكلم قد يخبر بأمرٍ، وقد ينشيء أمرا وهذا الإنشاء قد يكون طلبيا أو غير طلبي ، وقد يشترط أمرا لحصول أمرٍ آخر .

ولكلٍ من هذه الأغراض الدلالية صورته التي يظهر بها منطوقا محملةً بظلال دلالية تضفي عليها نكهة فنية جمالية، وتجعلها أكثر تأثيرا في المتلقي . وقد تخرج الصورة المنطوقة عن غرضها الدلالي إلى أغراض أخرى مجازية .

وستحاول الدراسة في هذا الفصل البحث في دلالة أنماط البنى التركيبية في السور موضع الدراسة .

المبحث الأول / النمط الخبري

" الخبر ما يصح أن يقال لقائله إنَّه صادق أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا "[1]، والتركيب الخبري على نوعين هما ما يعرف في النحو العربي بالجملة الاسمية والجملة الفعلية، فالجملة **" هي المركب الذي يبيِّن المتكلم به أنَّ صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع "**[2] .

الجملة الاسمية :

" يستخدم مصطلح (الجملة الاسمية) في التراث النحوي للإشارة إلى أنواع متعددة من الجمل العربية ، تجتمع معا في أن يتصدرها الاسم مع وقوعه

---

(1) في البلاغة العربية علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق : ٤٦

(2) في النحو العربي نقد و توجيه : ٣١

****

ركنا إسناديا فيها .... "[1]، وعرَّفها ابن هشام (ت ٧٦١) بقوله : **" الاسمية هي التي صدرها الاسم... "**[2] .

وقد رفض الدكتور مهدي المخزومي هذا التقسيم للجملة العربية بحسب ما يتصدرها، و يرى أنَّ التقسيم ينبغي أن يكون بحسب المسند في الجملة، فإذا كان المسند اسماً كانت الجملة اسمية، أمَّا إذا كان فعلاً فالجملة فعليَّة تقدَّم الاسم فيها أو تأخَّر، فجملة (البدر طلع) لديه فعليَّة؛ لأنَّ المسند فيها هو الفعل (طلع)[3] .

غير أنَّ تقسيم القدماء أقرب إلى روح اللغة؛ لأنَّ المستهدف من الكلام هو المتلقي فـ**" الجملة هي الصورة اللفظية للفكرة، وظيفتها هي نقل ما في ذهن المتكلم من أفكار إلى ذهن السامع"**[4]، وفي جملة (طلع البدر) عندما نقول (طلع) ونسكت، فإنَّ المتلقي سينتظر منَّا فاعلاً لـ(طلع)، وفي جملة (البدر طلع) عندما نقول (البدر) ونسكت، فإنَّ المتلقي سينتظر منَّا خبرا لـ(البدر)، وعليه فالجملة الأولى فعليَّة، والثانية اسميَّة .

ومما يمكن أن يُردُّ به على الدكتور المخزومي قول المبرد في هذا الصدد : **"ومن فساد قولهم أنَّك تقول: رأيت عبد الله قام ، فيدخل على الابتداء ما يزيله، ويبقى الضمير على حاله "**[5]، فلو كان (عبد الله) فاعلاً بـ(قام) كيف نحلُّ مشكلة مفعول (رأيت)، وعلى سبيل المثال في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ **(الحجرات)** فاعل يعلم هو لفظ الجلالة على رأي الدكتور المخزومي ، لكنه نُصب بدخول (إن) عليه ، فهل يجوز أن يكون الفاعل منصوبا .

وعليه فالدراسة ترتئي الاعتماد على تصنيف النحويين القدماء في تقسيم الجملة.

---

[1] الجملة الاسمية ، د. علي أبو المكارم : ١٧
[2] مغني اللبيب : ٥ / ١٣
[3] ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣٥
[4] أسلوبية البناء الشعري دراسة في شعر أبي تمام ، أ.د سامي علي جبار : ١٣٢
[5] المقتضب : ٤ / ١٢٨

****

دلالة الجملة الاسمية

" يعد بناء الجملة في النص قضية فنية ولغوية تستقطب كثيرا من الدلالات "[١]، وللجملة الاسمية دلالات تتناسب مع سياق الموقف الذي تتحدث عنه، ولا يخفى على الباحث في القرآن الكريم ما تفرَّد به هذا النص المتعالي من دقة في توظيف الحروف والألفاظ والجمل .

والذي يلقي نظرة فاحصة في السور موضع الدراسة يلمح ظواهر تركيبيَّة على مستوى الجملة الاسميَّة تشع بالدلالة و جمالية التعبير المحفوف بالدقة اللامتناهية .

دلالة الثبوت في الجملة الاسمية :

ذكر القزويني (ت ٧٣٩ هـ) أنَّ الجملة الاسميَّة تدلُّ على الثبوت، والفعليَّة تدلُّ على التَّجدد[٢]، وقد علَّق الدكتور فاضل السامرائي على هذا الرأي بقوله : **" وهذا من باب التجوز في القول أمَّا الصحيح فهو أنَّ الاسم يدلُّ على الثبوت والفعل يدل على الحدوث ... "**[٣]، فدلالة الجملة تكمن في المسند، إذ إنَّ المسند إليه اسم ثابت يُنسب إليه الحدث الذي هو حكم الجملة، فعندما نقول (محمد قائم، أو محمد جالس، أو محمد قام) نلحظ أنَّ التغير الدلالي حصل في المسند، وأمَّا المسند إليه فقد بقي نفسه .

ومن مواضع الثبوت في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(الممتحنة:من ١٠)، لنتأمَّل الجملة الاسميَّة ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ التي خبرها اسم، وقد شُفعت مباشرة بجملة الخبر فيها فعل تشاطرها المضمون وتغايرها اللفظ، وهي قوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، نجد القرآن الكريم يخبر عن عدم حليَّة المؤمنات للكفار بالاسم، وعدم حليتهم لهن

---

[١] أسلوبية البناء الشعري دراسة في شعر أبي تمام : ١٣٢
[٢] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢ / ١٣٣
[٣] الجملة العربية تأليفها و أقسامها ، د. فاضل السامرائي : ١٦٢

****

بالفعل ، وهذه المغايرة في التَّعبير تستمدُّ دقتها من دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد[1]، فالثبوت في الخبر الاسمي يدلُّ على الحرمة الثابتة للمؤمنات على الكفَّار وعدم تزحزح هذا الحكم، أمَّا في الخبر الفعلي فإنَّ الحرمة تتجدد ما داموا كفَّارا، والفعل يدلُّ على التَّغير لأنَّه مقترن بالزمن، **" وكل ما كان زمانيا فهو متغير ، والتغير مشعر بالتجدد "**[2]، أي أنَّهم يرجى منهم الإيمان؛ فإنَّ آمنوا حلَّت لهم المؤمنات، لذا نجد القرآن قد عبَّر عنهم بالفعل تخفيفا من الثبوت القطعي المستمد من التعبير بالاسم .

وقد يقول قائل بأنَّه يمكن أن تكفر المؤمنة، كما يمكن أن يبقى الكافر على كفره أبدا، وفي هذه الحالة ينبغي أن يكون التعبير معكوسا .

والإجابة عليه هي أنَّ القرآن الكريم إنَّما عبَّر بالاسم عن حال المؤمنات تفاؤلا باستمرار إيمانهن، كما أنَّه عبر بالفعل عن حال الكفار تفاؤلا بعودتهم إلى رشدهم ، وسلوكهم طريق الإيمان .

مما تقدم يتضح أنَّ الجملة الاسمية في الآية الشريفة دلت دلالة ظاهرة على الثبوت، ودلالة ضمنيَّة على التفاؤل باستمرار الإيمان .

ومن مواضع التعبير بالجملة الاسمية المناسب لسياق الحال قوله تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ **(الإخلاص)** ، فالله تعالى يأمر نبيه الكريم (ﷺ) بالردِّ على المنكرين لوحدانيَّة الإله، وصمديَّته بقوله (الله أحد، الله الصمد)، فدلالة الاسميَّة على الثبوت، تتناسب في هذا الموضع مع سياق الخطاب المتمثل بإصرار المخاطبين على كفرهم، الناتج من ترسخ عقيدة الشرك في قلوبهم ، فيرد عليهم القرآن الكريم بثبات عقيدة التوحيد و رسوخها ، ولا سيما أن السورة مكية[3] فالخطاب فيها ردٌّ على ما تلقته عقيدة التوحيد من مجابهة شرسة من أهل مكة .

---

[1] ينظر : دلائل الإعجاز : ١٧٤
[2] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الفخر الرازي : ٨٠
[3] ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ١ / ١٩٣

****

ويلحظ قِصَر الجملتين مع ما تحملانه من مضمون كبير، وفي هذا تكثيف دلالي يناسب ما يقتضيه المقام من سرعة في الأداء ، وإيجاز في التعبير، نظراً لما كان يتعرض له الرسول (ﷺ) من مضـايقات من المشـركين، وما يحدثونه من جلبة وتشويش عندما يقرأ عليهم آيات الذكر الحكيم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ (فصلت) .

وقد تألفت الجملة (هو الله أحد) من جملتين اسميتين ، وفي هذا دلالة على مضاعفة الثبوت ، فالتعبير بالاسم أقوى من التعبير بالفعل لأن الاسم يدل على الثبوت(١)، و أنها ابتدأت بالضمير (هو) الذي يدل على التوكيد، و قد حافظ الضمير (هو) على جرس السورة الإيقاعي ، وسرعة الأداء فيها ، فلو تصورنا التعبير بدونه أي (قل الله أحد) للحظنا حصول إبطاء في التعبير قد يخل بالجرس الإيقاعي لها . بسبب التقاء اللام في (قل) باللام في لفظ الجلالة .

و أيضا من المواضع التي تبرز فيها دلالة الثبوت في الجملة الاسمية قوله تعالى :﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾ (التحريم)، ففي جملة (الله مولاكم) نجد الدلالة على الثبوت واضحة ، فولاية الله تعالى على الخلق ثابتة منذ الأزل بالنسبة نفسها لا تتجدد ، ولا تتغير، و يفرق الدكتور محمد الأنطاكي بين الجملتين الفعلية والاسمية بقوله : **" الفرق الجوهري هو أن الأولى تضمن فكرة الزمن، وأن الثانية لا تحمل فكرة عن الزمن مطلقا"**(٢)، ولعله يريد بالجملة الاسمية أصل الباب ، وهي المتكونة من اسمين؛ لأن الجملة الاسمية التي خبرها جملة ، تُلمح فيها فكرة الزمن من خلال الفعل

وفي قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ ﴾ تبرز دلالة الثبوت المطلق للولاية الإلهية على خلقه المجردة تماما من فكرة الزمن التي تتضمنها الجملة الفعلية ، فالله تعالى هو مولى عباده في كل زمان ومكان .

---
(١) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ١٤
(٢) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، د. محمد الأنطاكي : ٢ / ٤

****

ودلالة الجملة الاسمية المتكونة من اسمين على الثبوت المطلق غير المقترن بزمن ، نجدها أيضا في الآيتين السابقتين من سورة التوحيد إذ إن وحدانية الله (عز و جل) و صمديته ثابتتان منذ الأزل ، حتى قيام الساعة ، وما بعدها .

تعدد الخبر في الجملة الاسمية

من الظواهر المتعلقة بالجملة الاسمية التي رصدتها الدراسة في السور المدروسة ، ظاهرة تعدد الخبر إذ كثر ورود الخبر متعددا مما شكل ظاهرة تركيبية تشع بالدلالة ، ومواضع هذا التعدد مبينة في الجدول الآتي :

ت	الجملة	السورة	رقم الآية
١	إن الله سميع عليم	الحجرات	١
٢	والله غفور رحيم	الحجرات الممتحنة	٥ ٧
٣	والله عليم حكيم	الحجرات الممتحنة	٨ ١٠
٤	إن الله عليم خبير	الحجرات	١٣
٥	إن الله غفور رحيم	الحجرات الممتحنة التغابن	١٤ ١٢ ١٤
٦	إنك أنت العزيز الحكيم	الممتحنة	٥
٧	فإن الله هو الغني الحميد	الممتحنة	٦

****

٨	وهو العزيز الحكيم	الصف الجمعة	١ ٣
٩	والله غني حميد	التغابن	٦
١٠	والله شكور حليم	التغابن	١٧
١١	عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم	التغابن	١٨

والذي يُلحظ في هذا التعدد أنه ورد في الإخبار عن الله سبحانه وتعالى مما يعطي مؤشرا دلالياً على أن الله جامع لأوصاف الكمال كلها في آن واحد ، ففي الإخبار عن الله بأنه (غفور رحيم) يدل هذا التعدد على أن المغفرة ناشئة من الرحمة الإلهية لا لشيء آخر ، فقد يغفر أحدنا لغيره لكنه يريد بذلك مصلحة ما ، أما المغفرة الإلهية فهي صادرة عن الرحمة الربانية ، فالله تعالى غني لا يحتاج أحدا .

وفي الإخبار عنه تعالى بأنه (عليم خبير) ، دلالة على أن الله تعالى عليم بكل شيء ، خبير بتفاصيل ما يعلمه كلها[١]، فقد يكون الشخص عليما بعلم ما، لكن قد يفوته شيء من تفاصيل ذلك العلم، لكن العليم الخبير لا يفوته من علمه شيء .

وفي (العزيز الحكيم) دلالة على اتصاف الله تعالى بحكمة العزة التي يكون الاقتدار فيها عادلا لا ظلم فيه ولا تهور، فقد قاد عدم الحكمة المنافقين الذين كانوا يظنون أنهم أعزة إلى ما أخبر به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون) ، فهو تعالى يفعل ما يشاء لا يفرض عليه احدٌ شيئا ، ولا يمنعه أحدٌ من شيء ، وهو بعزته ذو حكمة لا يصدر منه العبث أبدا[٢] .

---

[١] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٩/ ٣٤٣

[٢] ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج : ١ / ٢٩٥

****

و هذا التعدد شكلٌ من أشكال التطويل في الجملة ، وقد ورد في خمس سور هي (الحجرات، والممتحنة، والصف، والجمعة، والتغابن) وهي مدنية جميعها[1] عدا التغابن اختُلف فيها[2]، و هذا التَّطويل يناسب الجو التبليغي الذي كان يعيشه الرسول ﷺ في المدينة حيث الإصغاء له، والهدوء ، بخلاف أجواء مكة التي غلب القصر فيها على جمل الخطاب التبليغي، وذلك لما يقتضيه الحال من إيجاز و سرعة بسبب المضايقات التي كان يتعرض لها الرسول ﷺ .

وفي قوله تعالى :﴿ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الممتحنة: من ١٠)،

جاء هذا القول الإلهي بعد سلسلة أوامر ، أمر الله تعالى بها المؤمنين ، هي اختبار المؤمنات ، وعدم إرجاعهن إلى الكفار ، وسؤال النفقة ، وإعطاء الكفار ما أنفقوا للمؤمنات اللاتي حرمن عليهم ، ثم أخبر القرآن الكريم بأن هذه الأوامر إنما هي حكم الله ، وبين لهم أن الله عليم حكيم مذكرا إياهم ، ومبينا لهم بأن الله عليم بعواقب الأمور والمصلحة فيها ، فحكمه في مصلحة العباد دائما ، وهو حكيم لا تسهو أوامره فتحيد عن جادة الصواب المقتضي للمصلحة المطلوبة ، فقد تمر على العالم طيشة جهل يكبو بها جواده و يحيد عن صراط الصواب ، لكن العليم الحكيم لا يقترب الجهل من علمه ؛ لأنه حصين بسور الحكمة المانع من طيش الجهل .

وفي قوله تعالى:﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧ ﴾ (التغابن) ، نجد القرآن الكريم يقابل بين وعده لعباده بمضاعفة قرضهم إيَّاه ، فقد وصف تعالى نفسه بأنه شكور حليم بعد ذكر المضاعفة و المغفرة أي أنه " **يشكر لكم ما عملتم ، و يحلم عنكم عند استحقاقكم العقوبة على ذنوبكم** "[3] ومغفرته لذنوبهم من جهة ، و وصفه نفسه في خاتمة الآية الشريفة من جهة أخرى.

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ١ / ١٩٤

(٢) ينظر : الكشاف : ٦ / ١٣٠

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ١٨٢

****

ويلحظ أيضاً في الجمل التي تعدد فيها الخبر اختلافها من حيث التوكيد وعدمه ، فمثلا في سورة الحجرات يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ ، جاءت جملة (الله غفور رحيم) دون تأكيد ، وفي السورة نفسها جاءت الجملة مؤكدة بـ(إنَّ) ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾، والفرق بين الجملتين يتضح من خلال المخاطب بكل من الآيتين اللتين وردت فيهما الجملتان ، فالآية الأولى تخاطب النبي الأكرم ﷺ ، لذا جيء بالجملة غير مؤكدة لأن النبي موقن تمام اليقين بأن الله تعالى غفور رحيم ، أما الثانية فهي تخاطب الأعراب اللذين وصفهم القرآن الكريم في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ (التوبة)، فهؤلاء بحاجة إلى أن يتأكد الكلام إليهم أكثر لإلقاء الحجة عليهم ؛ فجيء بالجملة مؤكدة بـ(إنَّ) المشبهة بالفعل . وفي الآيتين الشريفتين جاء ذكر المغفرة والرحمة دالا على عدم التيئيس من روح الله .

وفي قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ (الحجرات) ، افتُتحت الآية الشريفة بنداء المؤمنين المتصل بنهيهم عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وبعدها أمرتهم بتقوى الله ، وبعد الأمر جاءت الجملة الاسمية (إن الله سميع عليم) التي تعدد الخبر فيها ، وقد تأكدت بـ(إنَّ) .

وقال الزمخشري - مفسرا قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ - : "**﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما تقولون ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما تعملون** "[1]، وفي هذا التفسير ربط لطيف بين مطلع الآية وخاتمتها فقد بدأت بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو

---

[1] الكشاف : ٥/ ٥٥٦

****

فعل[١]، وختمت بالإخبار بأن الله سميع للأقوال ، عليم بالأفعال .

ويقول السيد الطباطبائي : **" و في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ تعليل للنهي و التقوى فيه أي اتَّقوه بالانتهاء عن هذا النهيِّ فلا تقدِّموا قولاً بلسانكم ولا في سركم لأن الله سميع يسمع أقوالكم عليم يعلم ظاهركم و باطنكم و علانيتكم و سركم. "**[٢]، أي أن في هذه الجملة دلالة على التحذير فبعد أن نهى الله تعالى المؤمنين أمرهم بالتقوى ، وبعدها أخبرهم بأنه (عز وجل) سميع عليم ، محذرا إياهم من مخالفة أوامره ونواهيه ، و جاء بحرف التأكيد (إنَّ) ليعمق هذا التحذير ، ويرسخه في قلوبهم .

إطالة البناء في الجملة الاسمية

رصدت الدراسة ظاهرة تركيبية أخرى لها أثرها الفاعل في بنية الجملة الاسمية ، الذي يلقي بظلاله على دلالتها ، وهذه الظاهرة هي (إطالة البناء في الجملة) ، فالجملة قد تكون قصيرة ، وقد يطول بناؤها، وذلك بحسب ما تقتضيه السياقات التي تكتنف التعبير .

والجملة القصيرة هي الجملة التي تكتفي بعنصريها المؤسسين فحسب[٣]، أي أنها تتكون من مبتدأ وخبر ، أو فعل وفاعل .

وقد طال بناء الجملة الاسمية في مواضع عدة من السور المدروسة مما شكل ملمحا دلاليا حريا بالتأمل ، فالتطويل يعني دخول عناصر جديدة على بناء الجملة زيادة على عناصرها الأساسية ، ومعلوم أن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى .

---

(١) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢١٦
(٢) الميزان : ١٨ / ٣١١
(٣) ينظر : بناء الجملة العربية : ٥٧

****

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ **(الفاتحة)**، تتكون الآيات الشريفة الثلاث من جملة اسمية واحدة ، بنيتها الأساسية (الحمد لله)، وقد طال بناء الجملة بتعدد النعوت إذ أن فيها أربعة نعوت هي (رب العالمين ، والرحمن ، والرحيم ، ومالك يوم الدين)، وكلها نعوت لله تعالى، و وظيفتها النحوية في الجملة أنها توابع للفظ الجلالة .

وفي هذه الإطالة النعتية دلالة واضحة على المدح والثناء والتعظيم[١]، و قد جمع القرآن الكريم هذه النعوت وناسب بينها بأسلوبه الذي أعجز البلغاء ، ودقته التي حيرت الألباب ، يقول الغرناطي (ت ٨٠٧) : **" أن[*] أم القرآن لما كانت أول سورة، ومطلع آياته وهو المبين لكل شيء والمعرف بوحدانيته سبحانه وانفراده بالخلق والاختراع وملك الدارين ؛ فناسب ذلك من أوصافه العلية ما يشير إلى ذلك كله من أنه رب العالمين ، وأنه الرحمن الرحيم ، وأنه ملك يوم الدين؛ حتى تنقطع الدعاوي وتظهر الحقائق ويبرز ما كان خبرا إلى العيان وهذا واضح "**[٢]، أي أن هذا التوصيف الطويل الذي وصف الله تعالى به نفسه يتناسب وسورة الفاتحة ؛ لما لها من الأهمية، لا سيما وأنها جمعت علوم الكتاب الكريم كلها[٣]، ومن لطيف الالتفات لهذا التناسب بين النعوت قول الفخر الرازي : **" أنه تعالى ذكر في هذه السورة من أسماء نفسه خمسة : الله والرب والرحمن والرحيم والمالك . والسبب فيه كأنه يقول أنا خلقتك أولا فأنا إله ، ثم ربيتك بوجوه النعم فأنا رب ، ثم عصيت فسترت عليك فأنا رحمن ، ثم فغفرت لك فأنا رحيم ، ثم لا بد من إيصال الجزاء إليك فأنا مالك يوم الدين "**[٤] .

---

[١] ينظر : ملاك التأويل : ١ / ١٦٠
[*] الجملة في المصدر في محل رفع خبر لقوله : والجواب على السؤال الثالث
[٢] المصدر نفسه : ١ / ١٦٥
[٣] ينظر : مجمع البيان : ١ / ٢٣
[٤] تفسير الفخر الرازي : ١ / ٢٤٥

****

وقد جاء هذا التعدد في النعوت في سياق الحمد لله تعالى ، فأفادت النعوت المتعددة بمضامة السياق دلالة استحقاق الله تعالى للحمد واختصاصه به(١) .

ومن الجدير بالملاحظة ما بين كل نعتين من تناسب دلالي يضفي على التعبير جمالية ورونقا .

التناسب بين الربوبية والرحمة

لما وصف الله تعالى نفسه بأنه رب العالمين ، أردفه بوصف الرحمة ، فناسب الوصف بالربوبية الوصف بالرحمة؛ " **لينبسط أمل العبد في العفو إذا زل ، ويقوى رجاؤه إن هفا** "(٢)، أي أن التعبير فيه دلالة الأمان والطمأنينة للعباد .

وفي هذين الوصفين معا إشارة إلى ما ينبغي لمن مسؤوليته تدبير أمور غيره أن يتحلى به من الرحمة بالذين يرعى أمورهم(٣)، فالتعبير فيه دلالة على الوعظ والإرشاد .

التناسب بين الربوبية والملك

الرب هو السيد الذي يدبر أمور مملوكه ، وتدبير الله تعالى لأمور عباده وتقديره مصالحهم وصف تبرز فاعليته في الدنيا ، إذ إن الآخرة دار حساب وبعدها يكون مصير العبد إما نعيم دائم ، أو جحيم يدوم ، أما (مالك يوم الدين) فهو وصف تتحقق وظيفته في الآخرة(٤)، وقد جمع القرآن الكريم بين الوصفين في سياق الحمد للدلالة على أن الله تعالى هو المحمود في الدنيا والآخرة . كما أنه في هذا الجمع بين الوصفين تفصيل لقوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾(٥) فالحمد لله (عز وجل) في الدنيا على تدبيره لشؤوننا ورعايته .

---

(١) ينظر : البحر المحيط : ١ / ١٣٢
(٢) البحر المحيط : ١ / ١٣٢
(٣) ينظر: المنهج الأسلوبي في الدراسات القرآنية عن تفسير سورة الفاتحة اختيارا ، أ.م.د. عواطف كنوش مصطفى، (بحث) مجلة كليَّة الآداب – جامعة البصرة : ١٠
(٤) ينظر : ملاك التأويل : ١ / ١٧١ .
(٥) ينظر : المصدر نفسه والصفحة.

التناسب بين الرحمة والملك

إنَّ وصف الله تعالى نفسه بأنه مالك يوم الدين، ذلك اليوم الذي يعرض فيه العباد على ربهم، وتكشف السرائر، فيعاقب المسيء على إساءته، و يثاب المحسن على إحسانه ، فيه تخويف للعصاة وهم كثر ، فجاء بوصف الرحمة معه متقدما عليه ؛ ليؤنس عباده[١] بأن باب الرحمة مفتوح لمن تاب وأصلح ، فلا ييئس المذنب من رحمة ربه .

ومن مواضع الإطالة أيضا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾(**الحجرات**)

الآية الشريفة تمتدح الذين يتأدبون في حضرة الرسول الأعظم (ﷺ)، وقد طال بناؤها بأكثر من عنصر، إذ إن الجملة الأساسية فيها تتكون من المبتدأ (الذين)، والخبر (أولئك)، وقيل الخبر (لهم مغفرة) ، و(أولئك) نعت لـ(الذين)[٢] ، وأول عناصر الإطالة الحرف المشبه بالفعل (إنَّ) الذي يفيد التوكيد ، وافتتاح الكلام به **" للاهتمام بمضمونه من الثناء عليهم والجزاء لعملهم "**[٣]، والعنصر الآخر في الإطالة هو صلة الاسم الموصول (الذين) الذي ورد مرتين ، وفي هذه الصلة دلالة على التفصيل في ذكر العمل الممدوح للحث عليه ، ومن أغراض التعبير بالاسم الموصول التعريض بذكر الصلة[٤]؛ لأهميتها في المقام كما يدل الاسم الموصول على إرادة العموم[٥] أي أن غض الصوت عند الرسولﷺ أمر يشمل المسلمين جميعا على مر العصور، **" وتفيد الجملة تعليلَ النهيين[*] بذكر الإشارة"**[٦] ، فدلت الآية الشريفة في طول بنائها على المدح، والتأكيد

---

[١] ينظر : المصدر نفسه والصفحة.
[٢] ينظر : إعراب القرآن (النحاس): ٤ / ٢١٠
[٣] تفسير التحرير والتنوير : ٢٢٢
[٤] ينظر : معاني النحو : ١ / ١١١
[٥] ينظر : المصدر نفسه : ١ / ١١١
[*] المذكورين في الآية السابقة لهذه الآية .
[٦] تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٢٢

****

والتعريض بالصلة تفصيلاً، وإرادة العموم .

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ۝٤ ﴾ (الصف)، فقد طال بناء الجملة التي بنيتها الأساسية تتكون من المبتدأ المتمثل بلفظ الجلالة ، وخبره الفعل (يحب)، **" و قد ورد مقيَّداً بقيد الموصول (الذين) مع صلته (يقاتلون) إذ تتشكل وظيفيا مفعولا "**[١]، وقد عبر القرآن الكريم بالصلة، ولم يقل (يحب المقاتلين) ؛ للتدليل على التجدد في المجاهدة والقتال في سبيل الله[٢]، وقد طال بناء الصلة أيضا بعنصر التوكيد (إنَّ) الذي يفيد تأكيد مضمون الخبر المراد بيانه بالجملة ، والعنصران الآخران في إطالة الجملة هما الحالان (صفا ، وكأنهم بنيان مرصوص) ، وهما حالان متداخلان[٣]، أي أن **" معنى الأولى مشتمل على معنى الثانية "**[٤]، و(صفا) حال
من الضمير في يقاتلون، و(كأنهم ...) حال من الضمير في (صفا)[٥]، **" ويجوز أن يكونا حالين من ضمير يقاتلون "**[٦] .

وفي إطالة البناء بالحالين (صفا ، و كأنهم بنيان مرصوص) دلالة على أن الله تعالى يريد للقتال في سبيله أن يكون مثمرا مبنيا على أساس الوحدة المقتضية مصلحة المسلمين ، لا التفرقة الناشئة من البحث عن المصالح الشخصية تحت غطاء الجهاد في سبيل الله ، وهذا المعنى يتضح جليا من تكرار معنى الوحدة في الحالين ، فالقرآن الكريم بيَّن حال المقاتلين في سبيل الله بقوله (صفا) ، و أردفه بقوله (كأنهم بنيان مرصوص) ، والبنيان المرصوص هو المبني بالرصاص[٧] حيث يكون شديدا متلاحما ، وقيل معناه **" المتلائم الذي لا خلل فيه "**[٨]، فشبه الله

---

(١) بحوث ودراسات في تراثنا النحوي واللغوي : ١٧٧
(٢) المصدر نفسه والصفحة .
(٣) ينظر : الكشاف : ٦ / ١٠٤
(٤) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، أحمد بن محمد الإسكندري : ٦ / ١٠٤
(٥) ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه : محي الدين الدرويش : ٧ / ٥٠٨
(٦) البحر المحيط : ٨ / ٢٥٩
(٧) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٩ / ٥٩٢
(٨) المصدر نفسه والصفحة .

****

الله تعالى المقاتلين في سبيله صفا بالبنيان المرصوص تأكيدا على الوحدة والتكاتف .

ومن المواضع الأخرى ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾(البيّنة: من ٨) في الآية الشريفة مبالغة في مدح المؤمنين المتقدم ذكرهم في الآية التي سبقتها[١]، **" وقدَّم الثناء عليهم على بشارتهم على عكس نظم الكلام المتقدم في ضدهم ليكون ذكر وعدهم كالشكر لهم على إيمانهم وأعمالهم فإن الله شكور"**[٢]، والبنية الأساسية للجملة في الآية الشريفة هي (جزاؤهم جنات)، وقد طالت بنيتها بفعل عناصر عدة ، أولها الظرف (عند ربهم)، وفيه دلالة على عظم الجزاء الإلهي؛ لما في (عند) من دلالة على الحظوة والعناية ، وفي (ربهم) من دلالة على إجزال الجزاء لأنه صادر عن الرب تبارك وتعالى المحسن إلى مربوبه بعظيم الإحسان ، فيكون هذا الاعتراض بالظرف بين المبتدأ و الخبر دالا على تكريم المؤمنين ، ورفع منزلتهم[٣] .

والعنصر الثاني في إطالة الجملة هو إضافة (عدن) إلى (جنات) ، وهذه الإضافة تدل على التخصيص ، و(عدن) تعني الإقامة[٤]، أي أن المؤمنين مقيمين مقيمين في جناتهم ، وفي هذا دلالة على الدوام ، **" أي ليس جزاؤهم تنزهاً في الجنات بل أقوى من ذلك بالإقامة فيها . "[٥] .**

والعنصر الثالث في إطالة البناء هو جملة النعت (تجري من تحتها الأنهار) ، وهي نعت لـ(جنات عدن) ، ومن دلالات النعت التي تفرد بها القرآن الكريم دلالته على الإيذان بكمال الشيء[٦]، وتُلمح في هذه الجملة النعتية دلالة على كمال الجنات المنعوتة بها ، قال ابن عاشور : **" و وصف الجنان بـ(تجري من تحتها**

---

(١) ينظر : تفسير البيضاوي : ٥ / ٣٢٩
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٨٥
(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٣٠ / ٤٨٥
(٤) ينظر : لسان العرب : مادة (عدن) / ١٣ / ٢٧٩
(٥) تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٨٥
(٦) ينظر : النعت في التركيب القرآني : ١ / ٩٦

****

الأنهار) لبيان منتهى حسنها "[1]، ويزاد على ذلك دلالة التجدد المستمدة من فعلية الجملة ، أي أن جريان الأنهار من تحت الجنات مستمر متجدد .

والعنصر الرابع في الإطالة هو الحال (خالدين فيها) ، وقد دلت هذه الحال على تأكيد معنى الإقامة في قوله تعالى (جنات عدن)[2] .

أما العنصر الخامس في إطالة بناء الجملة فهو ظرف الزمان (أبدا) ، الذي جيء به تأكيدا لمعنى الخلود المقيم .

ونختم الحديث عن الآية الشريفة بقول الآلوسي - عنها - : **" وفي تقديم مدحهم بخير البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منح في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالإضافة وبما يزيدها نعيماً وتأكيد الخلود بالأبود من الدلالة على غاية حسن حالهم مالا لا يخفى "**[3] .

الجملة الفعلية :

الجملة الفعلية هي الجملة **" التي يتصدرها فعل "**[4]، وهي قسيم الجملة الاسمية في التقسيم المجمع عليه من قبل النحاة على أنواع الجمل في العربية ، فقد أجمع النحاة على وجود نوعين من الجمل في النحو العربي هما الاسمية والفعلية ، واختلفوا في إضافة أنواع أخرى إليهما ، فهنالك من اقتصر على هذين النوعين ، وهنالك من أضاف إليهما نوعا آخر ، كالجملة الظرفية[5] ، والجملة الشرطية[6].

دلالة الجملة الفعلية على التجدد و التغير

---

[1] تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٤٨٦
[2] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٣٩٠
[3] روح المعاني : ٣٠ / ٢٠٦
[4] مغني اللبيب : ٥ / ١٣
[5] ينظر : المصدر نفسه : ٥ / ١٣
[6] ينظر : شرح المفصل : ١ / ٨٨

****

تقدم الكلام في الجملة الاسمية على أن دلالتها على الثبوت إنما تستمد من الاسم ؛ لأنه هو المحور فيها ، أما في الجملة الفعلية فإن المحور فيها هو الفعل ؛ لذا فإن دلاتها على التغير والتجدد تكون واضحة اعتمادا على الفعل الذي لا يمكن أن تكون جملة فعلية من دونه .

وتتجلَّى الدلالة الفعلية على التغير والتجدد في أفق السور المدروسة حاملةً ظلالا دلالية تنبجس منها عيون الروعة والجمال .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ **(الفاتحة)** ، جاءت هاتان الجملتان المعطوفتان بعد جملة (الحمد لله...) التي تدل على الثبوت المناسب لسياق نسبة الحمد لله تعالى ، ونلحظ هذه المغايرة الأسلوبية بالانتقال في التعبير من الجملة الاسمية إلى الفعلية ؛ لمناسبة سياق الحال ، إذ إنَّ الجملتين الفعليتين (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين) تعبِّران عن خضوع العباد لربهم بالعبودية والاستعانة ، مؤذنتان بالدلالة على التجدد باستمرار هذه الحال من العباد تجاه ربهم .

ومن مواضع الدلالة على التجدد ، و الاستمرار قوله تعالى:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ **(الناس)** ، حيث يأمر الله تعالى رسوله الكريم بالاستعاذة من الشيطان و وسوسته، وهذا الأمر أمرٌ عام لا يختص بالرسول ﷺ، فهو يشمل عباد الله الذين يتربص الشيطان بهم الدوائر جميعا ، ودلالة الجملة الفعلية على التجدد والاستمرار مستمدة من استمرار سبب الاستعاذة ، إذ يقول تعالى :﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ **(الأعراف)** ، فالشيطان الذي يوسوس في صدور الناس باق إلى يوم البعث ، و أمر الله تعالى عباده بالاستعاذة منه متجدد مع بقائه .

وفي قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ **(الصف)** يصف القرآن الكريم إرادتين متضادتين، الأولى إرادة الظالمين الذين يسعون إلى إطفاء نور الله تعالى ، والثانية هي الإرادة الإلهية في إتمام هذا النور رغم أنوفهم ،

****

وقد عبر القرآن الكريم عن الإرادة الظالمة بقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ ، فاستعمل لها الجملة الفعلية ليعبر بدلالة الفعل على التغير عن تزلزل هذه الإرادة ، وعدم ثباتها ؛ فهي تتحدى جبار السماوات والأرض القدير المتعال ، و يذكرنا قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بقوله عز وجل : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾(إبراهيم) ، فالسعي إلى إطفاء نور الله بالأفواه استعمال للكلام الخبيث في مبارزة الله عز وجل ، وهذا التحدي المتهور مصيره أن يُجتث كما تجتث الشجرة الخبيثة من فوق الأرض ، ويذهب استقرارها هباءً منثورا

ومن عظمة القرآن الكريم وتعالي أسلوبه المعجز بدقته وكمال بلاغته ، أنه عبر عن الإرادة الإلهية التي تقابل تلك الإرادة المتزلزلة بالجملة الاسمية (والله متم نوره) ؛ ليدل بثبات الاسم على ثبات إرادة الله ونفاذ حكمه في رسوخ النور الإلهي، ودوام إشعاعه، مؤكدا بذلك قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الرعد) .

البناء للمجهول في الجملة الفعلية

يطرأ على الجملة الفعلية تحول يُحدث تغيراتٍ في بنيتها ، فيُحذف الفاعل ويقام المفعول مقامه آخذا حركته ، ويصاحب هذا تغير في بنية الفعل . و لا شك أن لهذه التغيرات آثارا تشحن النص بالدلالة .

ومن مواضع البناء للمجهول في السور المدروسة قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ (الطارق) ، بني الفعل (خلق) للمجهول في الآيتين

****

الشريفتين ، وقال ابن عاشور : " **بناء الفاعل للمجهول في قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾ يؤذن بأن الخالق معروف لا يحتاج إلى ذكر اسمه.. "**[1]، أي أن خلق الله للإنسان أمر لا ينكره حتى المشركين ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ **(العنكبوت)** . وفي الآيتين الشريفتين تركيز على حدث الخلق، ومصدره لا على فاعله و **" بناء الفعل للمجهول يدلل من خلاله التركيز على الحدث بغض النظر عن فاعله ومحدثه "**[2] ، فالمراد بالآيتين الشريفتين حث الإنسان على التفكر في خلقه ، والمادة التي خلق منها .

يتلخص مما سبق أن البناء للمجهول في الآيتين الشريفتين دل على معرفة الله خالقا للإنسان ، و التأكيد على حدث الخلق والحث على التفكر به .

وفي قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾

(الجمعة من :٥)

أُسند الفعل المبني للمجهول (حُمِّل) إلى نائب الفاعل الضمير الواو العائد على أحبار اليهود الذين لا يعملون بما هو مزبور عندهم ، وينكرون ما نبأت به التوراة ، ويلحظ في التعبير القرآني أنه يؤتى فيه بالفعل مبنيا للمجهول في مقام ذم أهل الكتاب ، ومبنيا للمعلوم في مقام المدح[3]، وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي الآيات التيتبين هذا المضمون[4]، ومنها قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ **(البقرة)** في مقام المدح ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ

---

[1] تفسير التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٦٥
[2] خطرات في اللغة القرآنية : ٩٣
[3] ينظر : معاني النحو : ٢ / ٦٦
[4] ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٦٦

****

أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (البقرة) في مقام الذم، فدلت الآية الشريفة على ذم هؤلاء الموصوفين بها، وتنزيه الله عنهم بحذف الفاعل من الجملة، وإسناد الفعل إليهم مباشرة ، لا سيما وأن ذمهم اقترن بتشبيههم بالحمار الذي تقتصر مهمته على حمل الأسفار دون الانتفاع منها ، فجاء البناء للمجهول تنزيها لله تعالى عن الاقتران لهذا الوصف .

" وهناك خط واضح وظاهرة بينة في التعبير القرآني ، وهي أن الله سبحانه يذكر نفسه ويظهر ذاته وتفضله في الخير العام بخلاف الشر والسوء فإنه لا يذكر فيه نفسه تنزيها لها عن فعل الشر و إرادة السوء...."[1]، ومن المواضع التي نزه الله تعالى فيها نفسه عن إرادة السوء قوله تعالى : ﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ ﴾(الهمزة) ، فالآية الشريفة وعيد بمن وصفته السورة فيما سبق ، بأن عاقبة أمره القذف في النار الموقدة المؤصدة على أصحابها ، فنزه الله تعالى نفسه عن الاقتران بذكر العذاب ، وأهوال النار .

ومثله قوله تعالى:﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ (الزلزلة)، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾(الانفطار)، فالآيتان الشريفتان تصوران الأحوال المهولة ليوم النشور ، و ما يحصل فيه من مناظر مخوفة ؛ فنأى الله بنفسه عن الاقتران بهذه المشاهد ، فهو تعالى رؤوف رحيم ، ولكن المقامات تقتضي العذاب والغضب ، فيتصف الله تعالى بها ، لكن لا ينسبها لنفسه مباشرة ؛ لأن سمته الأساسية لرحمة والرأفة بعباده ، وإنما الغضب والعذاب طارئان لأجل تربية العباد ، وهنالك من يجر العذاب لنفسه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الزخرف) .

إطالة البناء في الجملة الفعلية

---

[1] معاني النحو : ٢ / ٦٣

****

تتكون الجملة الفعلية من بنية أساسية يشكلها الفعل والفاعل ، وتزاد عليها عناصر أخرى يطول معها بناء الجملة ، ويستتبع هذا ملاحظ دلالية تحملها العناصر التي تسهم في إطالة بناء الجملة .

ومن مواضع الإطالة في السور المدروسة : قوله تعالى:﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ (الصف) ، لقد طال بناء الجملة بفعل عناصر عدة أولها التمييز (مقتا) الذي جاء بعد الفعل مباشرة ، مبينا ما فيه من إبهام ، و" **المقت أشد الإبغاض** "[(١)]، وقد تحدث ابن الأثير عن هذا الأسلوب قائلا : " **اعلم أن هذا النوع لا يُعمد إلى استعماله إلَّا لضرب من المبالغة ، فإذا جيء به في كلام فإنما يُفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم وإعظامه** "[(٢)]، فقد دل التمييز على بيان (الكبر) المتحدث عنه في الآية الشريفة .

أما العنصر الثاني فهو شبه الجملة (عند الله) المتعلق بـ(كبر) ، وفيه دلالة على أن المقيِّم لهذا العمل وشناعته هو الله تعالى ، و حكم الله عادل لا يجانب الصواب ، فزاد هذا في شناعة الفعل المذموم ، والحث على التنفير منه[(٣)] .

والعنصر الثالث في الإطالة هو فاعل (كبر) وهو المصدر المؤول من قوله (أن تقولوا) ، وقد جاء بهذه الصيغة الفعلية للدلالة على أن مقت الأقوال التي لا تُترجم إلى أفعال مستمر ما استمر التكليف الشرعي والحث على السير في طريق التكامل الإنساني ، فلو كان التعبير بـ(كبر مقتا عند الله قولكم) لاحتمل أن المراد به خصوص الحدث الذي وبخ القرآن عليه المسلمين ، لكن المجيء بالفاعل مصدرا مؤولا أكسب الجملة دلالة الاستمرار التي يوحي بها التعبير بالجملة الفعلية (أن تقولوا) .

---

(١) لسان العرب : مادة (مقت) / ٢ / ٩٠

(٢) المثل السائر : ٢ / ١٩٦

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ / ٦

****

والعنصر الأخير في إطالة بناء الجملة هو مفعول (تقولوا) المتمثل بـ(ما لا تفعلون) ، وهو يتكون من اسم الموصول (ما) الذي يدل على الإطلاق أي أن المذموم هو مطلق القول الذي لا يقترن بالفعل ، وصلته جملة (لا تفعلون) ، وفي هذا المفعول زيادة في تفصيل مضمون الآية . **" و الآية في مقام التعليل لمضمون الآية السابقة فهو تعالى يبغض من الإنسان أن يقول ما لا يفعله لأنه من النفاق"**[١] .وفي استعمال الفعل (كبر) دلالة على التعجب[٢] .

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ **(الجمعة)** محور الجملة في هذه الآية هو الفعل (يُسبِّح) ، والتسبيح يعني التنزيه[٣]، فطال بناء الجملة في سياق تنزيه الله تعالى والثناء عليه .

وأول عناصر الإطالة هو شبه الجملة (لله) الواقع بين الفعل وفاعله ، وفيه دلالة واضحة على نسبة التنزيه لله عز وجل من خلال حرف الجر اللام الَّذي يفيد الملك .

وفاعل الجملة هو الموصول الحرفي (ما) الذي دل على التغليب[٤]، أي تغليب غير العاقل على العاقل ، وقد أسهمت صلته في إطالة بناء الجملة .

وقد تعددت النعوت في الآية الشريفة مما زاد إطالة بنيتها ، والنعوت هي (الملك والقدوس والعزيز والحكيم) وهي نعوت لله تعالى ، وقيل إن إعرابها بدل من لفظ الجلالة[٥]، ولكن النعتية أرجح ؛ لأن البدل يقتضي إمكانية وضعه مكان المبدل منه، وهذا لا يتناسب مع التسبيح؛ لأن التنزيه يكون للذات الإلهية لا لصفاتها.

---

[١] الميزان : ١٩ / ٢٥٩
[٢] ينظر : نظم الدرر: ٢٠ / ٦ ، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني : ١ / ١٧٠
[٣] ينظر : المفردات في غريب القرآن : مادة (سبح) / ٢٢١
[٤] ينظر : البحر المحيط : ١ / ٣٧٥
[٥] ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٧ / ٥٢٠

****

وفي هذه النعوت الأربعة دلالة على المدح[1] الذي يقتضي تنزيه الله تعالى، ويُلمح فيها دلالة التعليل، أي تعليل استحقاق الله تعالى للتنزيه ، ونسبته إليه .

" و الملك هو الاختصاص بالحكم في نظام المجتمع، و القدوس مبالغة في القدس و هو النزاهة و الطهارة، و العزيز هو الذي لا يغلبه غالب، و الحكيم هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف "[2] .

ومن مواضع إطالة البناء بتعدد النعوت قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾ (التحريم)

فإن الجملة الفعلية (أن يبدله ..) قد طال بناؤها وأول عناصر الإطالة يكمن في الفعل يبدل الذي أخذ مفعولين الأول هو الضمير الهاء العائد على الرسول ﷺ ، والثاني (أزواجا) وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى قادر على نصرة نبيه و تغيير أحواله ، وإبداله أناسا خيرا ممن يؤذونه .

والعنصر الثاني في الإطالة هو كثرة الأوصاف التي وصف الله تعالى بها الأزواج البديلات في الجملة إذ أن فيها تسعة أوصاف هي (خيرا منكن ، مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، تائبات ، عابدات ، سائحات ، ثيبات ، أبكارا) والثمانية الأولى نعوت ، و التاسع (أبكارا) معطوف على النعت الثامن (ثيبات) .

ويمكننا تصنيف هذه الأوصاف في الآية الشريفة على ثلاثة أصناف :

١- (خيرا منكن) : النعت الأول في الجملة ، ويمكن أن نسميه النعت الرئيسي فيها ؛ إذ أن النعوت التي تلته هي تفصيل وتعليل له كما سيأتي ، وقد بين هذا النعت صفة الأزواج البديلات بأنهن خيرٌ من المخاطبتين ، وهو اسم تفضيل ذكر معه المفضَّل عليه مجرورا بمن ، ليؤكد وجود نساء خير من أزواج النبي (ﷺ)، وهذا يدل على أن المراد بآية التطهير هم خصوص

[1] ينظر : إعراب القرآن (النحاس) : ٤ / ٤٢٥
[2] الميزان : ١٩ / ٢٧٤

أهل البيت (عليهم السلام) ؛ لأن مقتضى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ (الأحزاب: من ٣٣) أن المطهرين هم خير البشر ، ولا يوجد من هو خير منهم ، وهذا ما أثبته الله تعالى لأهل البيت (عليهم السلام) في آية المباهلة عندما أخرج الرسول صلى الله عليه وآله عليا و الحسن والحسين و فاطمة الزهراء (عليهم السلام) مصاديقا لقوله تعالى : ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ (آل عمران) ، ولو كان في المسلمين خير منهم لأخرجه الرسول صلى الله عليه وآله ، أمَّا نساء النبي صلى الله عليه وآله فقد تبين من خلال الآية الشريفة من سورة التحريم أنه يوجد خير منهن .

٢- (مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، تائبات ، عابدات ، سائحات) الصنف الثاني من النعوت التي تبين أفضلية النساء البديلات على نساء النبي صلى الله عليه وآله و قد فصلت الأفضلية في النعت السابق (خير منكن) ، وعللت هذه الأفضلية ، أي أن القرآن الكريم يقول لنساء النبي صلى الله عليه وآله أن تلكم النسوة خيرٌ منكن لاتصافهن بهذه الصفات[1] جميعا .

و قيل في إعرابها زيادة على النعت أنها أحوال ، أو أنها نصبت على الاختصاص[2]، والأرجح أنها نعوت ؛ لأن الحال يشترط فيها أن تكون

(١) ينظر : البحر المحيط : ٨ / ٢٧٨
(٢) ينظر : الدر المصون : ١٠ / ٣٦٩

****

منتقلة[١] غير ملازمة لصاحبها ، ولا تأتي الحال ملازمة إلا بثلاث حالات هي[٢] :

أ- الحال الجامدة غير المؤولة بالمشتق .

ب- الحال المؤكدة .

ت- الحال التي دل عاملها على تجدد صاحبها .

وهذه الحالات الثلاث غير موجودة في الأوصاف المذكورة .

أما الاختصاص فهو : **" اسم ظاهر بعد ضمير متكلم يخصه أو يشاركه فيه "**[٣]، ويشترط فيه أن تصاحبه الألف واللام[٤]، وهذه الحدود لا تتوفر في الأوصاف (مسلمات ، مؤمنات .....) .

وعليه يترجح للدراسة أنها نعوت . ويلحظ أنها جاءت بصيغة اسم الفاعل ، وقد تقدم في الفصل الأول رأي أستاذنا الدكتور فاخر الياسري في أن اسم الفاعل قد جاء في القرآن الكريم نعتا على سبيل الدوام والثبوت ، فدلت هذه النعوت على دوام اتصاف تلكم الأزواج بالأوصاف التي ذكرتها القرآن .

وفي بعض هذه الأوصاف تلميح إلى من عصيت من نساء الرسول ﷺ وتعريض بفعلها ، فمعنى (قانتات) **" أي راجعات متذلِّلات لله عزَّ وجلَّ "**[٥] وفي هذه تعريض بما وقع من بعضهن من فعل تحدثت عنه السورة الشريفة[٦] . **" والتائبات : المقلعات عن الذنب إذا وقعن فيه . وفيه تعريض بإعادة التحريض على التوبة من ذنبهما التي أُمرتا بها بقوله : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ "**[٧]

---

[١] ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٢١٣

[٢] ينظر : مغني اللبيب : ٥ / ٤٢٣ ـ ٤٢٥

[٣] ارتشاف الضرب : ٢٢٤٧ ـ ٢٢٤٨

[٤] ينظر : شرح ابن عقيل : ٣ / ٢٩٨

[٥] التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٤٨

[٦] ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٨ / ٣٦١

[٧] المصدر نفسه : ٢٨ / ٣٦١

****

٣- (ثيبات و أبكارا) : الصنف الثالث من الأوصاف ، ولا يراد بهما بيان أفضلية ، وإنما أريد بهما العموم ، لأن المرأة إما أن تكون ثيبا أو باكرا ، فجاء التعبير بالجمع بينهما للدلالة على أن الأزواج البديلات من كلا الصنفين .

وجاء بحرف العطف بينهما خلافا لما سبق؛ **" لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات ، فلم يكن بدّ من الواو "**[١] . وقال ابن عاشور : **" ووجه هذا التفصيل في الزوجات المقدرات لأن كلتا الصفتين محاسنها عند الرجال؛ فالثيب أرعى لواجبات الزوج وأميل مع أهوائه وأقوم على بيته وأحسن لِعاباً وأبهى زينة وأحلى غنجاً . والبكر أشد حياءً وأكثر غرارة ودلاً وفي ذلك مجلبة للنفس، والبكر لا تعرف رجلاً قبل زوجها ففي نفوس الرجال خلق من التنافس في المرأة التي لم يسبق إليها غيرهم "**[٢]

و في الآية الشريفة موعظة لنساء النبي ﷺ ليلتزمن بطاعته[٣] وعدم التظاهر عليه ، كما أن فيها توبيخا و وعيدا واضحين على ما صدر من بعضهن من فعل آذى الرسول ﷺ .

ومن مواضع الإطالة في بناء الجملة الفعلية قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد) قال السيد الطباطبائي : **" الكبد الكد و التعب، و الجملة جواب القسم فاشتمال الكبد على خلق الإنسان و إحاطة الكد و التعب به في جميع شؤون حياته مما لا يخفى على ذي لب فليس يقصد نعمة من نعم الدنيا إلا خالصة في طيبها محضة في هنائها و لا ينال شيئا منها إلا مشوبة بما ينغص العيش مقرونة بمقاساة و مكابدة مضافا إلى ما يصيبه من نوائب الدهر و يفاجئه من طوارق الحدثان "**[٤] .

---

[١] الكشاف : ٦ / ١٦٠
[٢] تفسير التحرير والتنوير : ٢٨ / ٣٦٢
[٣] ينظر : المصدر نفسه : ٢٨ / ٣٦١
[٤] الميزان : ٢٠ / ٣٣٠

****

والبنية الأساسية للجملة هي (خلقنا الإنسان) ، وقد زيد عليها السابقة التوكيدية (لقد) التي أكدت مضمون الجملة ، وهذا التأكيد المكثف يتناسب والقسم الذي وقعت الجملة جوابا له .

والعنصر الآخر في إطالة بناء الجملة هو الجار والمجرور (في كبد) الذي حدد أن المراد بالجملة بيان حالة من حالات خلق الإنسان ، لا التعبير عن عملية الخلق ذاتها كما ورد في قوله تعالى :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ ﴾(الرحمن)، فشبه الجملة (في كبد) فيه دلالة التقييد ، أي تقييد فعل الخلق بحالة الكبد .

ومثله قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ﴾ (التين) ، فقد أكدت (لقد) مضمون الجملة ، و جاء شبه الجملة (في أحسن تقويم) مبينا لحال الخلق ، حاملا دلالة التقييد للفعل (خلق) ، إذ إن المراد بيان الحالة الحسنة التي خلق الله تعالى عليها الإنسان ، لا أن المراد عملية الخلق ذاتها .

ومن المواضع الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥ ﴾ **(الضحى)** جاءت هذه الآية الشريفة في سياق الرد على المشركين الذين زعموا أن الله تعالى قلى رسوله[(١)]، وهنا ينبأ الله تعالى بعظمة منزلة الرسول ﷺ عنده ، إذ يعده بعطاء عظيم يبلغ رضاه . وقيل أنها **" آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة في الدارين "**[(٢)]، وفيها بشارة للرسول ﷺ وتسلية لفؤاده .

وأول العناصر المزيدة في بنية الجملة هو(اللام) واختُلف فيها ، فقيل أنها لام الابتداء والمبتدأ محذوف إذ التقدير (لأنت سوف يعطيك ربك)[(٣)]، وقيل أنها لام القسم ، **" وإنما لم تدخل نون التوكيد لفصل السين بين القسم والفعل "**[(٤)] .

---

(١) **ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٦٨**
(٢) **تفسير الثعالبي : ٥ / ٦٠٢**
(٣) **ينظر : الكشاف : ٦ / ٣٩٢**
(٤) **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة : ٤ / ٧٨**

****

وهي على كلا التقديرين تفيد التوكيد ، فأفادت اللام توكيد مضمون الجملة ، زيادة في تفنيد زعم المشركين ورد تخرصاتهم .

والعنصر الثاني في إطالة بناء الجملة هو حرف التنفيس (سوف) الذي يدل على الاستقبال ، و في الجمع بين حرف التوكيد (اللام) وحرف التنفيس (سوف) دلالة على **" أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر "**[1] .

و جاء الحرف (سوف) في سياق الحديث عن أفضلية الآخرة على الدنيا في قوله تعالى : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ **(الضحى)** ، وهذا يوحي بأنَّ دلالة الاستقبال في (سوف) تفيد بأن الإعطاء العظيم الذي وعد الله رسوله ﷺ هو من عطاءات الآخرة ، لا سيما وأن (سوف) أكثر تراخيا في الاستقبال ، وأشد تنفيسا من (السين)[2] .

وبعد الفعل الدالّ على الإعطاء يأتي مباشرة الفعل الدالُّ على الرضا، مرتبطا بالفاء التي تدل على الترتيب مع التعقيب ، وهي تأتي لإفادة السببية زيادة على وظيفتها في العطفية[3]، فكأن العطاء الذي وعد الله رسوله سبب لرضاهﷺ .

وفي نظرة تدبر في الآية الشريفة نلمح تقابلا دلاليا بين (سوف) و (الفاء) في هذه الجملة يوحي لنا بمعنى لطيف ، فـ(سوف) تفيد التنفيس و التراخي ، والفاء تفيد الترتيب والتعقيب ، أي أن هنالك إبطاءً في المعنى الذي تؤديه (سوف)، وسرعةً في المعنى الذي تؤديه (الفاء) ، و قد جاءت (سوف) قبل فعل الإعطاء ، أي أنها اقترنت بالوعد بالإعطاء، أما الفاء فجاءت قبل فعل الإعطاء أي أنها اقترنت بتحقق الإعطاء و ربطت الإعطاء مباشرة بالرضا .

ومن هذا تستشف الدراسة أن طول الصبر في انتظار الوعد الإلهي تكون خاتمته اللذة السريعة بالعطاء الإلهي العظيم ، تلك اللذة التي تفضي بالعبد إلى الرضا .

---

(1) **الكشاف : ٦ / ٣٩٢**
(2) **ينظر : شرح المفصل : ٨ / ١٤٨**
(3) **ينظر : معاني النحو : ٣ / ٢٣٥**

****

النفي في بناء الجملة الفعلية

المستقريء للسور موضع الدراسة يجد اطراداً في دخول النفي على الجملة الفعلية مما شكل ظاهرة ستحاول الدراسة سبر غورها الدلالي علَّها تظفر من كنوز القرآن الكريم التعبيرية بلآليء من حسن بيانه، وجمال سبكه .

ومن مواضع النفي في السور المدروسة قوله تعالى :﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (التوحيد) في الآيتين الشريفتين ثلاث جمل فعلية دخلها النفي . **" وقوله (لم يلد) نفي منه تعالى لكونه والد إله ولد ، وقوله (ولم يولد) نفي لكونه مولود إله والد؛ لأن ذلك من صفات الأجسام وفيه رد على من قال: إن عزير والمسيح أبناء الله تعالى، وإن الملائكة بنات الله، وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) نفي من الله تعالى أن يكون له مثل أو شبيه أو نظير "[1] .**

وقد نفت السورة جميع أنواع الشرك[2]، وفي الجمل الثلاث نفي لثلاثة ادعاءات شركية ، فقد نفت (لم يلد) أن يكون لله ولد ، ونفت (لم يولد) أن الله موجَدٌ من عدم ، ونفت (لم يكن له كفوا أحد) أن يكون لله ند يشابهه .

و انمازت هذه الجمل الثلاث و السورة كلُّها بالتكثيف الدلالي، فعلى الرغم من عظم المعنى الذي تعبر عنه وأهميته جاء التعبير عنه بجمل يغلب عليها القصر والإيقاع السريع ؛ نظرا لمكية السورة ، وما تتطلبه أجواء مكة من نمط خطابي يعتمد الإيجاز وسرعة الأداء بغية الحصول على مساحة أكثر من التأثير في القلوب ، وقد فصَّل القرآن الكريم مضامين هذه السورة في السور المدنية بمساحة تعبيرية أوسع استغلالا لما تتيحه أجواء المدينة من قابلية إصغاء من المجتمع المخاطب ، و من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ

[1] التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٤٣١
[2] ينظر : تفسير المراغي : ٣٠ / ٢٦٦

****

صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ (١٠٢) ﴾ (الأنعام)، وقد تضافرت الجمل الثلاث لبيان الدلالة على وحدانية الله تعالى ، فجملة (لم يلد) نفت أن يكون لله ولد ، وردت مزاعم اليهود والنصارى في (عزير وعيسى عليهما السلام)، والمشركين في قولهم (الملائكة بنات الله) ، لكنها وحدها لم تنفِ الادعاءات الأخرى ، كما أنه يوجد من يمتلك وصف عدم الولادة كـ(عيسى ويحيى عليهما السلام) فهما لم يتزوجا فلم يلدا .

و جملة (لم يولد) نفت أن يكون الله قد وُجد من عدم ، لكنها وحدها لا تنفي أن يكون لله ولد أو يكون له شبيه ، إلا بالتعاضد مع الجملتين الأخريتين ، كما أنه يوجد من يتصف بأنه لم يولد وهو آدم عليه السلام .

فجاءت جملة (ولم يكن له كفوا أحد) لتكمل الدلالة على التوحيد المطلق وتعضد أختيها في الدلالة على انعدام شريك لله تعالى فصحيح أن (عيسى ويحيى عليهما السلام) لم يلدا ، وأن (آدم عليه السلام) لم يولد ، لكنهم لهم أكفاء ، بل يوجد من هو أفضل منهم ، وهم محمد وآله الطاهرون (عليهم الصلاة والسلام) . لكنَّ الله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وقد استعمل في الجمل الثلاث حرف النفي (لم) الذي يفيد جزم الفعل المضارع و نفي حصوله في الماضي، يقول سيبويه : **" ولم أضرب نفي لضربت "**[1]، إلا أنها في هذا الموضع قد أفادت النفي المطلق المستمر[2] الذي يدل عليه السياق العام في الخطاب القرآني والعقيدة الإسلامية في نفي هذه الإدعاءات التي رفضتها السورة المباركة ، والقطع باستحالة تحققها .

---

[1] الكتاب : ١ / ١٣٦

[2] ينظر : معاني النحو : ٤ / ١٨٩

****

وقد رد النفي المطلق في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾(الممتحنة) ترَّخص الآية الشريفة للمسلمين بر المشركين الذين لم يتعرضوا لهم بأذى والإقساط إليهم ، وهذا من رحمة الدين الإسلامي وخلق المعايشة التي يحث عليها للارتقاء بالفرد و المجتمع إلى أعلى مدارج الكمال الإنساني . فالإسلام لا يبدأ الآخرين بعداء ولا يصادر حقهم بالعيش الكريم ، وأكد هذا المعنى أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه لمالك الأشتر (رضي الله عنه) بقوله (عليه السلام) : **" و أشعر قلبك الرحمة للرعية واللطف بهم، فالناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق "**[1] .

وقد استعمل القرآن الكريم أداة النفي (لا)، ويقول المبرِّد : **" إذا وقعت (لا) على فعل نفته مستقبلا "**[2]، لكن السياق يدل على أنها في هذا الموضع لنفي الحال والاستقبال، فدل هذا النفي على استمرار التأكيد على حسن المعاملة، والسلام مع الآخرين في كل زمان ومكان ، فهذا الحكم غير مختص بزمان أو ظرف خاص .

ومن مواضع النفي بـ(لا) قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (الجمعة) تنفي الآية الشريفة أن يتمنى اليهود الموت بسبب ما اجترحوه من ظلم ، وقد تحداهم القرآن في الآية التي سبقت هذه الآية أن يتمنوا الموت ليثبتوا ما يزعمون من أنهم أولياء الله .

وقد تأكدت دلالتها على نفي الاستقبال بدخول ظرف الزمان (أبدا) على الجملة ، أي أنهم باقون على عجزهم عن إثبات زعمهم ، وتشبثهم بهذا الزعم الكاذب.

---

[1] شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٣٢

[2] المقتضب : ١ / ١٨٥

****

و قد ورد هذا التعبير في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ (البقرة) ، لكن النفي هنا باستعمال (لن) و في سورة الجمعة باستعمال (لا) ، ويرى الزمخشري أن (لن) أشد نفيا من (لا) فجاء القرآن الكريم بالتعبيرين لتشديد النفي و التأكيد عليه [1] .

ومن مواضع النفي قوله تعالى :﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ ﴾ (الهمزة)، تنفي الآية الشريفة ظنًّا نسجه الخيال المريض للمتكبر الذي وصفته السورة بـ(الهمزة اللمزة)، وهو حسبانه أن المال يخلد صاحبه ." **أي لا يخلده ماله و لا يبقى له و قيل معناه ليس الأمر كما حسب و قيل معناه حقا** ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ ﴾"[2] .

وقد استُعمل للنفي الأداة (كلا) وهي حرف يفيد الردع والزجر[3]، والمتأمل فيها يلمح أنها تتضمن معنى النفي ، فالزجر والردع يدل على نفي الأمر المزجور والمردوع .

واستعمال (كلَّا) في القرآن الكريم ينبئنا الاستعمال بميزات لـ(كلا) تتلخص في :

١- أنها تحمل دلالة الردع ، والتعنيف في رفض الأمر المنفي .

٢- أنها تنفي أمرا قبلها - وفي الغالب يكون هذا الأمر زعما - ، وتمهد لما يردفها من رفض واستهجان له ، ففي الآية الشريفة قد سبقها الإخبار بحسبان (الهمزة اللمزة) الخلود بالمال ، فجاءه الرد دامغا ليمزق عرى ظنه الواهم ، ويقذف به في النار المستعرة التي تحطم ساكنيها وتذيب أفئدتهم .

٣- أن نفيها شديد دال على استحالة حصول المنفي ، وتلحظ الشدة في الآية الشريفة من تظافر القرائن في السورة ، فالسورة مبنية على الشدة

---

(١) ينظر : تفسير الكشاف : ٦ / ١١٢

(٢) مجمع البيان : ١٠ / ٤٩٧

(٣) ينظر : مغني اللبيب : ٦ / ٦٠

****

منذ البداية، إذ افتُتحت بلفظة (ويل) المحملة بدلالة الوعيد وشدة العذاب ، من ثم نعتت الشخص المقصود بها بـ(الهمزة اللمزة) ، بعدها عبرت عن مصيره بالنبذ في الحطمة وهي النار المتوقدة التي تحطم من يُقذف فيها .

يتضح مما تقدم أن جملة (كلا لينبذن في الحطمة) قد دلت على الزجر والردع المتضمن معنى النفي للمقصود بالزجر والردع، و هي تحمل دلالة الشدة في رفضه والتأكيد على استحالة تحققه .

المبحث الثاني / النمط الإنشائي

الإنشاء **" هو الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، لأنَّه لا يخبر بحصول شيء أو عدم حصوله فيكون له واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه، وإنَّما هو طلب على سبيل الإيجاب "**[(١)] .

وللتركيب الإنشائي أساليب عدة يؤدي كلٌّ منها وظائف دلالية، وهي الأساليب الإنشائية .

١. أسلوب الاستفهام

الاستفهام من أكثر أساليب الطلب دوراناً في الكلام، فهو وسيلة معرفيَّة لغويَّة تؤدَى بواسطة أدوات مخصَّصة لهذا الغرض تُعرف بأدوات الاستفهام .

و الاستفهام في الأصل جملة خبريَّة دخلتها أداة من أدوات الاستفهام؛ فنقلتها من الخبر إلى الاستخبار[(٢)] .

" والاستفهام كما تدلُّ عليه صيغة الاستفعال هو طلب الفهم ولكن أساليب الاستعمال تجعل ذلك أقل دلالات الصيغة خطراً و بخاصَّة في السياق القرآني لأنَّ الله سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فهو منزَّه عن طلب الفهم. ومن ثمَّ يكون للاستفهام في القرآن الكريم وظائف أخرى غير ذلك . "[(٣)]، وهذا الكلام محمول على التغليب إذ إنَّ أكثر مواضع الاستفهام في القرآن الكريم صادرة عن الله تعالى أو أحد أنبيائه على نحو الاستغراب أو التوبيخ مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾(الصف:من ٥) فالنبيُّ موسى (عليه السلام) يسأل قومه مستغرباً من أذيتهم له وهم يعلمون أنَّه رسول الله إليهم .

---

(١) البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة : ١٤٦
(٢) ينظر : الأصول في النحو : ٢ / ١٣٥
(٣) البيان في روائع القرآن : ٢ / ١٩٣

ويصدر الاستفهام المجازيُّ أيضاً عن المشركين مثل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾ ﴾ (التغابن) ففي قولهم ((أبشر يهدوننا)) استفهام لا يراد به طلب الفهم وإنَّما هو استهزاء بالأنبياء و حط من منزلتهم .

وقد ورد الاستفهام حقيقيا في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ (التحريم) ، ففي الآية الشريفة استفهام حقيقي صادر عن إحدى أزواج الرسول (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مستفهمة عن الذي نبَّأه (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بالأمر الَّذي أخبرها به.

إن بنية التركيب الاستفهامي - كسائر البنى التركيبية - تضطلع بوظائف دلالية حرية بالبحث والتأمل .

ومن المواضع التي يُلحظ فيها تعدُّد في الوظيفة الدلاليَّة لأسلوب الاستفهام قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الصف) في الآية الشريفة عتابٌ للمؤمنين على عدم مطابقة أفعالهم لأقوالهم، **" والكلام مسوق للتوبيخ ففيه توبيخ المؤمنين على قولهم ما لا يفعلون"**[1]، وهو يأتي في إطار تربية المؤمنين والارتقاء بهم إلى أعلى مدارك الكمال الإنساني.

ويُلحظ في التعبير أيضاً دلالة الإنكار **" وهو أكثر ما يدلُّ عليه الاستفهام في القرآن الكريم"**[2] فالقرآن الكريم ينكر على المخاطبين هذه الصفة السيئة، وقد أطلق ابن هشام على هذا النوع من الإنكار (الإنكار التوبيخي) وهو ما كان المخاطب

---

(1) الميزان : ١٩ / ٢٨٥
(2) البيان في روائع القرآن : ٢ / ١٩٤

****

فيه ملوما[1]، ويؤكِّد معنى الإنكار والتوبيخ في الآية الشريفة قوله تعالى بعدها :﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فمخالفة الأفعال للأقوال أمرٌ يمقته الله تعالى مقتاً كبيراً، ولهذا فإنَّه (عزَّ وجلَّ) يوبِّخ عباده على صدور هكذا فعل منهم، وينكر عليهم اتِّصافهم بهذه الصفة الذميمة .

ومن التوبيخ والإنكار تتولَّد دلالة الوعظ والإرشاد فالله تعالى عندما يوبِّخ على أمر وينكره، فإنَّه يعظ المخاطبين و يرشدهم إلى تركه .

ولا يخلو التعبير من دلالة التعجب من عدم مطابقة أفعال المخاطبين لأقوالهم.

ومن مواضع الاستفهام الإنكاري قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(الحجرات:من ١٢)يرى ابن هشام أنَّ الاستفهام في الآية الشريفة للإنكار الإبطالي، أي أنَّه يُبطل وقوع ما بعده[2]، و قد دلَّ الاستفهام على إنكار أكل المؤمن لحم أخيه ميتاً، والمتأمل في الكلام يجد أن هذه الصفة ليست منكرة في هذا السياق لذاتها وإنما أريد بها إنكار فعل الاغتياب الذي تقدَّم النَّهي عنه في الآية نفسها في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ، فجاء القرآن بهذا المثال لبيان شناعة الاغتياب، فالإنكار في الحقيقة منصَّبٌ على الاغتياب، أمَّا إنكار أكل لحم الميت فهو حقيقة مسلَّمٌ بها، لذا جاء بها القرآن لتقريب شناعة الاغتياب من أذهان المخاطبين .

وعليه يمكننا القول إنَّ الاستفهام عن أكل لحم الميت هو استفهام تمثيليٌّ جيء به لإنكار المُمثَّل له أي أنَّه دلَّ على التمثيل ومن التمثيل تنبثق دلالة الإنكار.

---

(1) ينظر : مغني اللبيب : ١ / ٩٣

(2) ينظر المصدر نفسه : ١ / ٩١

وفي قوله تعالى :﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ **(التغابن)** ، يستفهم القرآن الكريم من المخاطبين عن نبأ الأمم التي سبقتهم، وما حلَّ بها من العذاب جرَّاء تكذيبهم للرسل و إصرارهم على الضلال .

وفي هذا الاستفهام دلالة على الإنكار التقريري، إذ إنَّ جملة الاستفهام الإنكاريِّ إذا تضمنت أداة نفي فإنها تدلُّ على الإنكار التقريري[1]، فالقرآن الكريم يقرِّر إتيان أنباء الأمم السابقة إلى المشركين، وعلمهم بما ذاقوا من وبال العذاب وسوء المصير، منكراً عليهم هذا الإغفال عن التدبر في حالهم والاتِّعاظ بمصيرهم .

وفي التعبير أيضا دلالة التعجب والاستغراب من أمر هؤلاء الذين علموا حال من سبقهم فلم يتَّعظوا، ولم يغيِّروا حالهم، ويخرجوا انفسهم من الضلالة إلى الهدى .

و إذا انعطف بنا الكلام إلى دلالات أخرى، تطالعنا دلالة التشويق في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ ﴾ **(الصف)** فالقرآن الكريم يريد حثَّ المؤمنين على الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، وهو ما بيَّنه قوله تعالى :﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ **(الصف)**، إذ بيَّنت هذه الآية المراد بالتجارة المذكورة في الآية السابقة .

وفي هذا الاستفهام تطبيق لمبدأ من أهم مبادىء الإسلام وهو عدم الإكراه الذي أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

[1] ينظر : البيان في روائع القرآن : ٢ / ١٩٧

﴿ ٢٥٦ ﴾ (البقرة) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإنسان)

فهاتان الآيتان الشريفتان تبيِّنان أن هنالك طريقين أحدهما يؤدِّي إلى النعيم والآخر إلى العذاب، وقد بيَّن الإسلام معالم كلا الطريقين، وترك للإنسان حريَّة الاختيار بينهما .

وجاء هذا التعبير ليجسد هذا المبدأ السامي من خلال طرح فكرة الإيمان بالله ورسوله و الجهاد في سبيله بالأموال والأنفس، والحثِّ عليها عن طريق عرضها بصورة استفهام ، **" والعرض هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض "**[١] فقد أجَّل القرآن الكريم ذكر الإيمان و الجهاد المطلوبين وعبر عنهما بـ﴿ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وفسَّرها في آية لاحقة؛ ليلهب مشاعر الشوق في المخاطبين و يذكي رغبتهم في الإقبال على الإيمان والجهاد بقناعة واعية يقودها التسليم لله تعالى والرغبة في إطاعته .

مما تقدم نخلص إلى أن الاستفهام في الآية الشريفة قد دلَّ على التشويق والترغيب، متضمِّناً دلالة العرض الذي يحمل معنى الاختياريَّة وعدم الإكراه.

وترد دلالة التشويق في قوله تعالى:﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ ﴾ (الماعون) ، إذ يقول الآلوسي : **" استفهام أريد بن تشويق السامع إلى تعرف المكذِّب وإنَّ ذلك ممَّا يجب على المتديِّن ليحترز عنه وعن فعله "**[٢]، وقيل إنَّ فيه دلالة التعجيب[٣]، فالقرآن الكريم يستفهم متعجبا من حال هذا المذموم الذي وصفت الآيات اللاحقة أفعاله المنكرة وهي : ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

---

[١] تفسير التحرير و التنوير : ٢٨ / ١٩٤
[٢] روح المعاني : ٣٠ / ٢٤١ ، وينظر : تفسير البحر المديد : ٨ / ٣٥٩
[٣] ينظر : التبيان : ١٠ / ٣٩٤ ، وروح المعاني : ٣٠ / ٢٤١ ، وتفسير الفخر الرازي : ٣٢ / ٢٠

ﭐلۡمِسۡكِينِ ٣ ﴾، فعجيبٌ أمر هذا الإنسان الذي انسلخ من إنسانيته، وتبخَّرت الرحمة من قلبه، فصار سَبُعاً ضارياً لا يرأف قلبه لليتيم والمسكين، وهما من أكثر من يحرك الرأفة في قلب الإنسان .

ويربط ابن عاشور بين الدلالتين بقوله - بعدما تحدَّث عن دلالة التعجيب - : **" وقد صيغ هذا التعجيب في نظم مشوّق لأنَّ الاستفهام عن رؤية من ثبتت له صلة الموصول يذهب بذهن السامع مذاهب شتَّى من تعرُّف المقصد بهذا الاستفهام، فإن التكذيب بالدين شائع فيهم فلا يكون مثاراً للتعجب فيترقَّب السامع ماذا يَرِد بعده وهو قوله : ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢﴾ .**

وفي إقحام اسم الإِشارة واسم الموصول بعد الفاء زيادة تشويق حتى تقرع الصلة سمع السامع فتتمكن منه كَمَالَ تَمكُّن . "[1]

وقال بعض المفسرين بأنَّ في الآية **" توقيف و تنبيه لتتذكر نفس السامع كل من يعرفه بهذه الصفة "**[2].

يُلخَّص ما سبق بأنَّ دلالة الاستفهام قد تعدَّدت في الآية الشريفة بين التشويق، والتعجيب، والتوقيف والتنبيه . وثمة ربط دلالي بين الدلالات الثلاث فالتعجيب يقتضي التشويق لمعرفة المتعجب منه ، وهما تقتضيان التوقيف عليه و التنبيه .

وفي مدار البحث عن دلالات أخرى نجد في قوله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢﴾ **(الفيل)** دلالة التقرير إذ إن حادثة الفيل حادثةُ معروفة لدى العرب حتى أنهم أرّخوا عليها ، فالاستفهام القرآني هنا يقرر هذه الحادثة لينطلق إلى دلالة أخرى تتمثل في تشجيع الرسول (ﷺ) و تأنيسه

[1] تفسير التحرير و التنوير : ٣٠ / ٥٦٤
[2] المحرر الوجيز : ٥ / ٥٢٧ ، وينظر : تفسير الثعالبي : ٥ / ٦٣٠

فربه الذي أرسله بالرسالة هو من أهلك أصحاب الفيل ، وهو قادر على إهلاك أهل الشرك الذين يحاربون الرسالة المحمدية، و مما يعضد هذه الدلالة قوله تعالى:﴿ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ ، فاستعمال رب مضافا إليه ضمير الكاف العائد على الرسول ﷺ فيه شد لعزيمته وتقوية لموقفه .

وفي التعبير أيضا دلالة التخويف والإنذار لأهل مكة الذين يعرفون حادثة الفيل جيدا ، بأن رب هذا البيت الذي تمنعون نبيه منه قادر على ان ينزل بكم ما أنزله بأصحاب الفيل .

وفيه أيضا دلالة التعجيب ، يقول أبن عجيبة : **" لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة ، دالة على عِظم قدرة الله عزّ وجل ، وكمال عِلمه وحكمته ، وعزة بيته ، وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فإنَّ ذلك مِن الإرهاصات له ، لِما رُوي أنَّ الوقعة وقعت في السنة التي وُلد فيها صلى الله عليه وسلم "**[١] .

يُلحظ في ما تقدم من دلالات التعجيب أنها مصحوبة بثبات موقف المتعجب ، وقوة تعجبه فهي صادرة من الله تعالى لتصغير حجم الفعل المُتَعجب منه ، وتقليل شأن فاعليه .

وفي سورة الزلزلة تطالعنا دلالة تعجب أخرى غير أنها مصحوبة بضعف من المتعجب ، واهتزاز في موقفه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾ (الزلزلة) فالإنسان يستفهم متعجبا من حال الأرض[٢]، لكن استفهامه مصحوبٌ بالاضطراب والذعر من هول يوم القيامة ، وصروف الحشر التي تجعل الأرض على حال لم يألفها الإنسان من قبل .

---

[١] البحر المديد : ٨ / ٣٥٤

[٢] ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٤٧٤

فالإنسان المذعور المضطرب الذي أُخرج من قبره لينال جزاءه ويرى عاقبة أعماله يكون تعجبه ناشئا من نقطة الضعف التي يتمركز فيها في ذلك اليوم الرهيب ، أما التعجيب الإلهي فهو صادر من إله الكون وجبار السماوات والأرض **" الَّذي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّماءُ وَسُكّانُها، وَتَرْجُفُ الأرض وَعُمّارُها، وَتَمُوجُ الْبِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ في غَمَراتِها "**[1] .

٢. أسلوب الأمر

الأمر من أهم أساليب اللغة التي يُلحظ استعمالها بكثرة في التعبير القرآني ، وذلك انطلاقا من كون القرآن الكريم كتاب تشريعٍ سماوي صادر من أعلى جهة تشريعية في الكون ، فالله سبحانه و تعالى المهيمن على الوجود كله يصدر كتاباً يبيِّن فيه تشريعات دينه، ويحث عباده على تطبيقها مما جعل لأسلوب الأمر شيوعاً بارزاً و حضوراً فاعلاً في كتاب الله العزيز .

إنَّ بنية التركيب الأمري بوصفها بنية شائعة في الاستعمال القرآني لا يخفى ما تحمله من دلالات أسهمت في إثراء النص القرآني ولا سيما أنها جزء من البنية العامة للقرآن الكريم النص المعجز على الأصعدة كافة .

وبما أن الدراسة تتناول سورا قرآنية فإن للأمر فيها دلالات فاعلة .

ومعلوم أن الأمر يكون من الأعلى إلى الأدنى، وفي هذه الحالة فإنه يدلُّ على الأمر الحقيقي، وقد يحمل معه دلالة أخرى ضمنية، كما يُلحظ في بعض أوامر الله تعالى إلى رسوله الكريم (ﷺ) ولا سيما التي تُبدأ بـ(قل) كما في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ ﴾ **(الناس)** و ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ ﴾ **(الفلق)** و ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾ **(الإخلاص)** و ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ ﴾ **(الكافرون)** ، فإن

---

[1] **من دعاء الافتتاح للإمام الحجة (عجل الله فرجه) ، مفاتيح الجنان : ١٨٠ - ١٨١**

الله تعالى يأمر نبيه الكريم (ﷺ) في الآيات الشريفة بقول أقوال تتناسب وسياق كل من الآيات التي ورد فيها الأمر، ويُلحظ تحقق دلالة الأمر في الفعل (قل) ، وزيادة على هذه الدلالة الحقيقية يُلمح دلالة أخرى هي دلالة الإرشاد والتوجيه ، ولا سيما أن هذه الأوامر لا تختص بالرسول (ﷺ) وإنما تشمل كل مخاطب بالقرآن الكريم إذ يرشد الله تعالى عباده ويوجهه للتعوذ من الشيطان الرجيم ، وشر ما يسيء من الخلق ، و يوجههم للرد الأمثل على الكافرين و المشركين للدفاع عن مشروعية عبادة الله سبحانه و وحدانيته .

وتوجد دلالة التوجيه والإرشاد في آيات أخرى غير آيات القول مثل قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ **(النصر)** و قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ **(الكوثر)**

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ﴾ **(الشرح)** ، تأمر الآيات الشريفة الرسول الكريم بالتسبيح و الصلاة و بذل الجهد في طاعة الله عز وجل ، والرغبة إليه سبحانه وتعالى ، ويُلحظ أن كلاً منها مسبوق بنعمة أنعمها (جلَّ جلاله) عليه ففي سورة النصر سُبق الأمر بذكر نصر الدين و دخول الناس فيه أفواجا ، وفي سورة الكوثر تقدم إعطاء الكوثر على الأمر ، وفي سورة الشرح ذُكر شرح صدر الرسول و رفع الوزر عنه قبل فعل الأمر فجاء الأمر بعد هذه النعم ليفيد دلالة التوجيه والإرشاد إلى شكرها زيادة على دلالة الأمر الحقيقية .

وفي سورة الإيلاف:﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ نجد دلالة

التوجيه إلى شكر النعمة المصاحبة للأمر ، فإن تجارة قريش لا تتم لولا فضل الله تعالى و رعايته لهم ، لذا نجد القرآن الكريم يأمرهم بعبادة الله تعالى الذي أنعم عليهم بالإطعام و الأمن شكرا له على هذه النعمة التي لولاها لكان حالهم غير حال .

و يُلحظ في التعبير دلالة الوعظ زيادة على الدلالتين السابقتين فالوعظ يكون مسبوقا بتقصير من المخاطب ، و قريش قد قصرت في تركها عبادة الله (عز وجل) فجاء هذا الأمر واعظا لهم ، وموجها لشكر النعمة .

و تُلمح في التعبير أيضا دلالة العتب في هذا الأمر إذ أن الله يعاتبهم على تركهم عبادته ، وتنكرهم لفضله عليهم ، وكفرانهم بنعمته عليهم .

وقد جاء الأمر (ليعبدوا) بصيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر لما يقتضيه حال الخطاب إذ أن القرآن عبر عن قريش بصيغة الغائب و فعل الأمر يكون المخاطب به حاضرا ، لذا جيء بالأمر على صيغة الفعل المضارع المسبوق باللام .

وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ (الحجرات) يأمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بعد ما نهاهم عن التقدم بين يديِّ الله ورسوله ويُلحظ في الفعل (اتقوا) دلالة الأمر الحقيقيَّة تصاحبها دلالة أخرى هي دلالة الوعظ والإرشاد فالقرآن الكريم يعظ المؤمنين بأن يتقوا ربهم ، ولا يعصوا له أمرا ، وقد خُتمت الآية بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ ليمكن الأمر بالتقوى من قلوبهم، ويؤكد دلالة الوعظ في الآية من خلال الإخبار بأنَّ الله تعالى سميع عليم لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض .

ومن الدلالات التي يدل عليها الأمر دلالة التحدي[١]، وهذا ما نلمسه في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ **(الجمعة)** إذ توجه الآية الشريفة الرسول (ﷺ) أن يأمر اليهود بأن يتمنَّوا الموت دليلاً على صدق دعواهم بأنَّهم أولياءٌ لله من دون النَّاس، فوليُّ الله يكون قريبا منه ، ولا يعصيه أبدا ، وهو يشتاق إلى لقاءه و الجنة التي وعده إياها فمن كان صادقا في دعواه هذه يعد اللحظات عدا منتظرا الموت الذي يرفعه من هذه الحياة المريرة إلى حياة ملؤها النعيم الدائم و الراحة الأبدية .

و القرآن الكريم يتحدى اليهود في هذه الآية[٢] إذ يأمرهم بأن يتمنوا الموت ، ليثبتوا صدق ما يزعمون .

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) **" إن في التوراة مكتوب أولياء الله يتمنون الموت "**[٣]، وهذه الرواية تقودنا إلى دلالة الاحتجاج ، أي أنَّ القرآن الكريم يحتج عليهم بما هو مكتوب لديهم في التوراة ، وقال الشيخ الطوسي : **" وقوله :﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ ﴾ - وان كان صورته صورة الأمر - المراد به التوبيخ، وإلزام الحجة "**[٤] ، يرى الشيخ الطبرسي أن الأمر في الآية دال على الاحتجاج [٥] .

وعند الجمع بين الأقوال السالفة تخلص الدراسة إلى أنَّ القرآن الكريم يحتج على اليهود بما هو موجود لديهم في التوراة من تمني أولياء الله الموت ، متحديا إياهم بتمني الموت ليثبتوا زعمهم ، موبخا لهم على ما يزعمون من كذب و افتراء .

وفي الاية الشريفة أيضاً دلالة على تكذيب ما يزعمون من خلال هذا التحدي الذي يثبت عجزهم.

---

[١] ينظر : البيان في روائع القرآن : ١ / ٣٤٣
[٢] ينظر : الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري : ١٢٣
[٣] تفسير القمي : ١/ ٩٠ - ٩١
[٤] التبيان في تفسير القرآن : ١ / ٢٥٤
[٥] ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٨

وبعد هذه الآية بيّن القرآن الكريم خسرانهم في هذا التحدي بقوله تعالى:﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾ ، فهؤلاء الظالمون الذين اجترحت أيديهم الفواحش ، لا يمكن أن يكونوا من أولياء الله فيتمنوا الموت .

و قد جاء الأمر بصيغة المضارع المسبوق بلام الأمر دالا على التحدي في قوله تعالى : ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ **(العلق)** ، فالقرآن الكريم في هذه الآية يتحدى ذلك المشرك الذي كان يؤذي رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وقد عرضت السورة المباركة لبعض من مواقفه في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ **(العلق)** بأن يأتي بمن يعتز بهم من رجال ناديه ولنرى هل ينفعونه بين يدي الزبانية الملائكة الغلاظ الشداد .

و قد ذكر المفسرون أكثر من دلالة أخرى لهذا الأمر ، يقول الشيخ الطوسي: **" وقوله (فليدع ناديه) وعيد للذي قال: أنا أكثر هذا الوادي ناديا بأن قيل له ﴿ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴾ إذا حل عقاب الله به "**[١] .

وقال السيد الطباطبائي : **" و الأمر تعجيزي أشير به إلى شدة الأخذ و المعنى فليدع هذا الناهي جمعه لينجوه منا سندع الزبانية الغلاظ الشداد الذين لا ينفع معهم نصر ناصر "**[١] .

---

[١] التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٤٢، وينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٤٥٣
[١] الميزان : ٢٠ / ٣٧٤

****

وتخلص الدراسة إلى أنَّ الأمر في الآية الشريفة يدل على تحدي أبي جهل ذلك المتكبر الذي يعادي الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يأتي بناديه في مقابل الزبانية ، و فيه دلالة الوعيد له ؛ لأن الأمر محسوم بغلبة الملائكة على الملأ الذين يجتمعون في النادي ، ويدل أيضا على تعجيزه بأن يستطيع مواجهة هؤلاء الملائكة الغلاظ الشداد.

ومن الدلالات التي تُلمح للأمر في السور المدروسة دلالة الاستحقاق في قوله تعالى :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ **(التحريم)** فالأمر في الآية الشريفة موجه إلى امرأتي النبيين نوح و لوط عليهما السلام وقد افتُتح الحديث عنهما بقوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾ ، أي تقرير كفرهما ، وما جزاء الكافر إلَّا النار ، لذا يُلمح في ختام الآية بالأمر بدخول النار دلالة استحقاقهما هذا المصير جزاءا لما اقترفتاه بحق زوجيهما .

ويخرج الأمر إلى معنى الدعاء إذا كان صادرا من الأدنى إلى الأعلى كما هو معلوم . ولم يرد هذا الأسلوب في السور المدروسة إلا في موضعين هما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ **(الممتحنة)** فالفعل (اغفر) صادر من نبي الله إبراهيم (عليه السلام) و المؤمنين الذين معه مخاطبين به الله تعالى ، وقد دل على الدعاء بالمغفرة .

وقوله تعالى :﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ (التحريم)

، إذ يدعوا المؤمنون ربهم عز وجل أن يتم لهم نورهم ، ويغفر لهم ، فالفعلان صادران من الأدنى إلى الأعلى للدلالة على الدعاء .

٣- أسلوب النهي

أسلوب النهي من أساليب الطلب المهمة، وهو يشكل معادلا موضوعيا لأسلوب الأمر فالأمر طلب القيام بالشيء، والنهي طلب عدم القيام به .

وهذا الأسلوب كبنية تركيبية لا يخلو استعماله من دلالات كما في البنى التركيبية الأخرى .

وقد ورد هذا الأسلوب في السور موضع الدراسة بصورة تبعث على التأمل لاستشراف الدلالات التي أثرى بها النص القرآني .

وكما تقدم في الحديث عن دلالة الأمر، النهي يصدر من الأعلى إلى الأدنى ليدل دلالة حقيقية على طلب ترك القيام بالفعل، وتصاحب هذه الدلالة دلالات مجازية تحددها سياقات الكلام .

ومن مواضع دلالة النهي في السور المدروسة قوله تعالى:﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ ﴾ (العلق)

، فالآية الشريفة تنهى الرسول الكريم (ﷺ) أن يطيع أبا جهل الذي ينهاه عن الصلاة ، الذي وصفته السورة الشريفة في قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾ ، ويُلحظ في هذا النهي دلالة التثبيت للرسول(ﷺ) من خلال بيان قوّة الموقف الإلهي بالمقارنة بين الملأ الذين في النادي ، والملائكة (الزبانية)، والتحدي التعجيزي الذي سبق الحديث عنه في دلالة الأمر يؤكد هذا المعنى، فتحدي القرآن الكريم أبا جهل بأن يدعو ناديه في مواجهة الزبانية يجعل يقوي من موقف

****

الرسول (صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ويثبّت موقفه بأن الله معه لا يخذله أبدا ، وجاء هذا النهي امتدادا لدلالة التحدي في الأمر وتشجيعا لرسول الله (صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وتثبيتا له .

وفي قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ (المنافقون) يُلحظ أنَّ الدلالة الحقيقية للنهي قد صاحبتها دلالة الوعظ والإرشاد وهي أكثر دلالة للنهي وردت في السور موضع الدراسة ، و في الآية الشريفة ينهى الله تعالى عباده عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكره وطاعته جلَّ جلاله .

و من ذيل الاية تبرز دلالة التهديد في هذا النهي إذ يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ ، فوصف الفاعلين للأمر المنهي عنه بالخاسرين يدل على أنَّ في النهي تهديد زيادة على الوعظ والإرشاد .

ومن مواضع النهي الدال على الوعظ و الإرشاد فيما يخص عمل المؤمنين تجاه الله ورسوله قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ (الحجرات) ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ (الممتحنة:من ١) ، فالله تعالى يعظ المؤمنين بالنهي عن التقدم على الله ورسوله بقول أو فعل ، وعن اتخاذ أعداء الله أولياء .

وفي الآية الثانية من سورة الحجرات جاء النهي ليعظ المؤمنين و يوجههم إلى كيفية التعامل مع رسول الله (صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) والتصرف بحضرته إذ يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

****

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ **(الحجرات)** فالآية الشريفة تنهى المؤمنين عن فعلين كانا يصدران منهم في حضرة النبي (ﷺ) فيسيئون إليه من خلالهما وهما رفعهم أصواتهم فوق صوته (ﷺ) و الجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض .

ويُلحظ أن الآية ختمت بتهديد مفاده أنَّ هاتين الإساءتين تحبطان الأعمال ، فتضمن النهي دلالة التهديد زيادة على الوعظ و الإرشاد .

ومن مواضع الوعظ والإرشاد التي تتكفل تنظيم حياة المؤمنين فيما بينهم قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ **(الحجرات)** ، فالقرآن الكريم يريد لأبناء الدين الإسلامي حياةً منظمة قائمة على الود والتسامح واحترام حقوق الآخرين ، وعدم المساس بكرامة المسلم بقول أو عمل ، لذا فإنه ينهى عن السخرية من الآخرين رجالا ونساءً ، والتنابز بالألقاب ، والتجسس ، والظن بالآخرين ظنون السوء ، والاغتياب الذي يفكك المجتمع و يجعل المسلم ينتقص من أخيه المسلم مما يولد ضغائن وعداوات تضعف المجتمع ، وتهد كيانه .

ومن مواضع دلالة النهي على الإرشاد قوله تعالى - مخاطبا رسوله (ﷺ) - : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ ﴾ **(الضحى)** وهذا الخطاب موجه

إلى الرسول الأكرم ﷺ لكنه يشمل المخاطبين بالقرآن جميعا ، فكفالة اليتيم ، ورعاية السائل من المباديء المهمة التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية السمحة للارتقاء بالمجتمع إلى أعلى درجات التكافل الذي يضمن توحد المسلمين و قوة كيانهم .

وقد خرج النهي عن معناها الحقيقي الصادر من الأعلى إلى الأدنى إلى معنى الدعاء في موضع واحد من السور المدروسة هو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ ﴾ **(الممتحنة)** فصيغة النهي (لا تجعلنا) صادرة من الأدنى (عباد الله إبراهيم عليه السلام والذين معه) إلى الأعلى وهو الله سبحانه وتعالى ، وقد تقدم الحديث عن هذه الآية الشريفة في دلالة الأمر على الدعاء أيضا .

٤- أسلوب النداء

أسلوب النداء من أساليب الطلب التي تحضى بأهمية دلالية كبيرة **" و أهميته تكمن في كونه البنية الخطابية الأكثر دورانا على الألسنة والأقلام، لما تتمتع به هذه البنية من قدرة على التعبير في مختلف الأغراض ، والمشاعر الإنسانية ، فالنداء هو الطريقة المثلى بصيغه الظاهرة والمحذوفة ، وأشكاله المختلفة ، وأساليبه المتنوعة للتعبير عن الغرض حين تقصر الوسائل الأخرى"(١)** وقد استعمله القرآن الكريم بكثرة، ولم تخلُ السور موضع الدراسة منه ، فقد ورد فيها محملا بدلالات عدة .

ومما يتميز به هذا الأسلوب تمازجه مع غيره من الأساليب ، فكثيرا ما يرد مع غيره من الأساليب، ليهيئ المنادى لتقبل الأمر المراد إلقاؤه إليه، **" فكأنه يعد**

(١) النداء بين النحويين و البلاغيين ، مبارك تريكة (بحث) : ١٣٧

****

النفس ويهيئ المتلقي لتلك الأساليب ، ولذا فهي تتقوى به ؛ لأن النداء يوقظ النفس ويلفت الذهن وينبه المشاعر فإذا ما جاء بعده الأمر أو النهي أو الاستفهام صادف نفسا مهيأةً يقظةً ، فيقع منها موقع الإصابة حيث تتلقاه بحسٍ واعٍ وذهن منتبه "(١)، فالمنادى ينشد من خلال النداء إلى الغرض الذي يليه لأنه هو المقصود من النداء(٢) .

وفي ظل هذا التمازج تمتزج دلالة النداء مع دلالة الأساليب التي يأتي معها .

ففي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ **(الصف)** اقترن النداء بالأمر (كونوا) الذي يحمل دلالة الوعظ والإرشاد والحث للمؤمنين على أن يكونوا مثل حواريي عيسى(عليه السلام) أنصارا لنبيهم في مواجهة أعدائه ، وهذه النصرة لله تعالى لا لمصالح أخرى دنيويَّةٍ .

ويُلحظ أنَّ الآية الشريفة قد خُتمت بالظفر لأنصار نبي الله عيسى(عليه السلام)، لتحمل دلالة الوعد الإلهي بنصرة أولياءه الذي يشجع المؤمنين على الإقبال على الأمر الذي حثَّهم القرآن عليه من خلال إخبارهم بقصة أنصار عيسى (عليه السلام)، والله تعالى يقول :﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ **(يوسف)**، لقد جاء أسلوب النداء ممتزجا مع أسلوب الأمر ليدل على الوعظ والإرشاد والحث على

---

(١) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د. بسيوني عبد الفتاح بسيوني : ٢ / ١٥٤
(٢) ينظر : النداء بين النحويين والبلاغيين : ١٤٢

الاقتداء بأنصار النبي عيسى(عليه السلام)، وقد اكتسب النداء هذه الدلالات سياقيًّاً من الأمر الذي جاء ممهدا له .

وورد النداء في السور موضع الدراسة دالا على التهديد الناشئ من الشفقة على العباد ، وقد اكتسب هذه الدلالة من اقترانه بأسلوب الأمر في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم) ، فالآية الشريفة تأمر المؤمنين أن يحفظوا أنفسهم و أهليهم من النار ، وقد ذكرت الآية الشريفة صفات هذه النار، لتثير الذعر في قلوب المخاطبين من العاقبة التي تؤدي إلى هذا المصير ، فقد دلَّ الأمر على التهديد من خلال ذكر هذه النهاية المرعبة ، ويُلحظ في هذا التهديد أنَّه صادر عن شفقة الله تعالى على عباده ، فقد يكون التهديد صادر عن غضب ، لكن القرائن في الآية الشريفة تشير إلى أنَّ هذا التهديد مصدره الشفقة على المؤمنين المنادَين في الآية الشريفة .

وقد دلَّت الآية الشريفة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ابتداءً بالنفس وعروجاً على الأهل[1]

وقد ورد النداء بعد الأمر في قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الطلاق) ، والآية الشريفة استنتاج لما ورد في الآيتين اللتين سبقتاها[1]، وهما قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ ، " و **قد وصف المؤمنين بأولى الألباب فقال: ((اتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا))**

[1] ينظر : سورة التحريم دراسة وتحليل ، د. قيس حسين مهدي أحمد الزيدي : ٣٩
[1] ينظر : الميزان : ١٩ / ٣٣٩

استمدادا من عقولهم على ما يريده منهم من التقوى فإنهم لما سمعوا أن قوما عتوا عن أمر ربهم فحوسبوا حسابا شديدا و عذبوا عذابا نكرا و كان عاقبة أمرهم خسرا ثم سمعوا أن ذلك تكرر مرة بعد مرة و أباد قوما بعد قوم، قضت عقولهم بأن العتو و الاستكبار عن أمر الله تعرض لشديد حساب الله و منكر عذابه فتنبههم و تبعثهم إلى التقوى و قد أنزل الله إليهم ذكرا يذكرهم به ما لهم و ما عليهم و يهديهم إلى الحق و إلى طريق مستقيم "[٢] .

لقد دلَّ النداء في الآية الشريفة على الدعوة إلى التفكر ، والاعتبار بحال الأمم الماضية من خلال تسمية المخاطبين بـ(أولي الألباب) لتحريك التفكير لديهم ، والحث على التأمل بحال القرى السالفة .

ومن مواضع اقتران أسلوب النداء بأسلوب النهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ **(الممتحنة:من١)** ، يُلحظ أنَّ القرآن الكريم يفتتح السورة المباركة بنداء المؤمنين ، ويتبعه مباشرة بالنهي عن اتخاذ الأعداء أولياء ، فامتزجت دلالة النداء مع دلالة النهي ليدل على الوعظ والإرشاد .

وكذا الأمر في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾ **(الحجرات)** فقد جاء النداء في الآيتين الشريفتين ممهدا للنهي الوارد فيهما عن التقدم بين يدي الله ورسوله ، ورفع الأصوات في حضرة الرسول(ﷺ)، وقد سبق الحديث في دلالة النهي عن دلالة هاتين الآيتين على الوعظ والإرشاد .

[٢] المصدر نفسه .

****

وفي قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الصف) ، جاء النداء ممهدا للاستفهام إذ يستفهم النبي موسى (عليه السلام) من قومه عن أذيتهم له وهم يعلمون أنَّه رسول الله إليهم ، فابتدأ الحديث بندائهم ، ويُلحظ في هذا النداء نغمة الألم و التحسر من نبي الله موسى (عليه السلام) على ما يفعله قومه به ، ممزوجا بالتودد لهم والاستعطاف والرقة[1] .

وهذا الاستعطاف ليس ضعفا من موسى عليه السلام وإنما ناشيء من عطفه ورحمته ، يقول الله تعالى : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (يس) فهذا التحسر ناشئ من اللطف والرحمة لا من الضعف .

ويرى الآلوسي أنَّ فيه دلالة التوبيخ ، إذ يوبخهم على قولهم ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة :من٢٤)[2].

وقال الشيخ الطبرسي : **" هذا إنكار عليهم إيذاءه بعد ما علموا أنه رسول الله و الرسول يعظم و يبجل و لا يؤذى و كان قومه آذوه بأنواع من الأذى و هو قولهم اجعل لنا إلها و اذهب أنت و ربك فقاتلا و ما روي في قصة قارون أنه دس إليه امرأة و زعم أنه زنى بها و رموه بقتل هارون ، و قيل إن ذلك حين رموه بالأدرة "[3] .**

---

[1] **ينظر : لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل دراسة أسلوبيَّة دلاليَّة ، لافي محمد محمود،رسالة ماجستير، كليَّة الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنيَّة :٨٨-٨٩**
[2] **ينظر : روح المعاني : ٢٨ / ٨٥**
[3] **مجمع البيان : ٩ / ٥١٧**

ويمكن الجمع بين الدلالات الثلاث فالنبي موسى (عليه السلام) متحسرٌ من فعل قومه ، مؤنبا لهم و منكرا هذه المعاملة التي لا تليق بالأنبياء ، وهو متودد إليهم انطلاقا من كون الأنبياء رحمة للعالمين .

إن دلالة النداء جاءت متناسقة مع دلالة الاستفهام الذي تلاه ، ليتشكل من دلالة الأسلوبين خطابا رافضا لمعاملة الأنبياء معاملة سيئة ، متضمنا وعظ المسلمين بأن لا يكونوا كبني إسرائيل في تعاملهم مع أنبيائهم . وقد صرَّح القرآن الكريم بهذا المضمون في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ **(الأحزاب)** .

وقد اقترن النداء بالاستفهام في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ **(التحريم)**، في الآية الشريفة ملاطفة في السؤال من الله تعالى لنبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله)[1]، وقد نودي الرسول (صلى الله عليه وآله) بصفة النبوة ، ولم يناده القرآن الكريم باسمه صراحة كما فعل مع غيره من الأنبياء كرامة له (صلى الله عليه وآله) وتشريفا لمقامه[2] .

و قوله تعالى : **" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ علَّق الخطاب و النداء بوصف النبي دون الرسول لاختصاصه به في نفسه دون غيره حتى يلائم وصف الرسالة "[3] .**

ويُلحظ في هذا الموضع أنَّ النداء قد دلَّ على تشريف الرسول (صلى الله عليه وآله) و تكريم مقامه ، و دلَّ على خصوصية الحكم المنوط بالآية به (صلى الله عليه وآله) ، وهاتان الدلالتان مستمدتان من استعمال وصف النبوة في النداء .

---

[1] **ينظر: مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب ،محمد مشري،أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب واللغات – جامعة منتوري - الجزائر :٤٦٦**
[2] **سورة التحريم دراسة وتحليل : ١٧**
[3] **الميزان : ٢٩ / ٣٤٤**

وقد دلَّ النداء أيضا نتيجة اقترانه سياقيا بالاستفهام على التلطف في سؤال الرسول ﷺ و معاتبته .

ويُلحظ في هذا المواضع الندائية وعموم مواضع النداء في القرآن الكريم استعمال حرف النداء (يا) فيها مقرونا بـ(أيُّها) ، وقد تحدث الزمخشري عن دلالة هذا قائلا : **" و(أي) وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام .... وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه ، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء ، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو (أيّ) والاسم التابع له صفته ، كقولك : يا زيد الظريف؛ إلا أن (أيا) لا يستقل بنفسه استقلال (زيد) فلم ينفك من الصفة . وفي هذا التدرّج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد . وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين : معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ، ووقوعها عوضاً مما يستحقه أيّ من الإضافة .**

فإن قلت : لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت : لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة : لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته و زواجره ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام ، وخطوب جسام ، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها ، وهم عنها غافلون "(١)

ومن الدلالات التي دلَّ عليها النداء دلالته على الدعاء في قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (الممتحنة)، الآيتان الشريفتان جاءتا بعد الحديث عن التأسي بإبراهيم

(١) تفسير الكشاف : ١ / ٢١١

عليه السلام والذين معه، وهما **" من تمام القول المنقول عن إبراهيم و الذين معه المندوب إلى التأسي بهم فيه، و هو دعاء منهم لربهم و ابتهال إليه إثر ما تبرءوا من قومهم ذاك التبري العنيف ليحفظهم من تبعاته و يغفر لهم فلا يخيبهم في إيمانهم "**[1] .

وفيهما نداءان اقترن الأوَّل بالجملة الاسمية (عليك توكلنا ..) ، والثاني بالطلب (لا تجعلنا فتنة ... واغفر لنا) ، وفي هذا تأدب مع الله تعالى إذ يبدأ العبد بالتوكل عليه ، ومن ثَمَّ يتوجه إليه بطلبه ، مختتما الدعاء بالاعتراف لله تعالى بالعزة و الحكمة لتوكيد التوكل عليه والتسليم لقضائه والصبر على الأذى في سبيله .

و قد ورد النداء دالًّا على الدعاء في موضع آخر من السور المدروسة هو قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ **(التحريم: من ٨)** ، إذ يخبر القرآن الكريم عن حال المؤمنين يوم القيامة حين يسعى نورهم بين أيديهم ،فيدعون ربهم (عزَّ وجلَّ) أن يتم لهم نورهم ويغفر لهم ؛ لتكتمل عاقبتهم الحسنى بفضل الله تعالى ولطفه .

ويُلحظ في هذه النداءات الدعائية حذفُ أداة النداء فيها، وفي هذا دلالة على سعي العبد للتقرب من الله تعالى في حال الدعاء ، ورجاء الاستعطاف من قبل العباد تجاه ربهم[2]. وذلك تجسيدا لما ورد في القرآن الكريم من آيات دالَّة على قرب الله تعالى من عباده كما في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ **(ق)**، ولا سيما قربه تعالى ممن يدعوه، إذ يقول تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ **(البقرة)** .

---

[1] **الميزان : ١٩ / ٢٤١**
[2] **ينظر : لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل : ٩١**

٥- أسلوب القسم

أسلوب القسم من أهم الأساليب الإنشائية التي كثر استعمالها في القرآن الكريم ، وهو يختلف عن الأساليب التي سبق الحديث عنها في هذا المبحث في كونه أسلوبا غيرَ طلبيٍّ .

و للقسم أهمية دلالية كبيرة لأنه يفيد توكيد المعنى المُقسم عليه ، قال سيبويه : **" اعلم أن القسم توكيد لكلامك "[١].**

" واللافت أنَّ الأقسام القرآنية في غاية التنوع، فقد اقسم الله تعالى في بعض الآيات الشريفة بذاته المقدسة، وفي موارد أخرى أقسم بالقرآن الكريم، وفي بعضها الآخر أقسم بيوم القيامة، روح الإنسان، الملائكة وصفوفها، وبكلمة أُقسم بالموجودات المقدَّسة في عالم الخلقة، كما نرى أنَّ العديد من الآيات القرآنية تتضمن قسما بالكائنات والمخلوقات العظيمة كالشمس، القمر، الليل والنهار، الشفق، الصبح، بلاد مكة المقدَّسة، الخيل العاديات التي تغير على الأعداء في ميادين الجهاد، وأمثال ذلك، بل هناك أقسام في بعض الآيات القرآنية بالثمار و الأطعمة كالتين و الزيتون، وعلى أية حال فالأقسام في القرآن الكريم متنوعة جدا"[٢] .

وزيادة على التوكيد فإنَّ للقسم فائدتين مهمتين هما :

١. يفيد بيان أهمية الأمر المُقسم عليه من خلال المُقسم به ، فأهمية المقسم به تبيِّن الأهمية التي يحضى بها الأمر المُقسم عليه .[٣]

---
[١] الكتاب : ٣ / ١٠٤
[٢] الأقسام القرآنية ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٦
[٣] ينظر : الأقسام القرآنيَّة : ٢٩ - ٣٠

٢. التأكيد على أهمية الموجودات المُقسم بها ، والحث على التفكر في خلقها و عظمة خالقها .[١] قال الزركشي - في حديثه عن القسم - : **" ولا يكون إلا باسم مُعظَّم "[٢] .**

" وفي الحقيقة إنَّ الأقسام من هذه الجهة تعتبر مفتاحا لجميع العلوم و المعارف لأنَّها تدفع بالإنسان لشحذ طاقاته و تفعيل قدراته الفكرية للتدبر في دقة صنع الكائنات و المخلوقات التي أقسم الله بها في كتابه الكريم ، ومن هذه القناة تنفتح له أبواب مهمة وتنكشف له أسرار دقيقة و علوم جديدة . "[٣]

لقد ورد القسم في القرآن الكريم لأغراض دلالية عدة أهمها إلزام الحجة والتأكيد عليها ، فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب ، والعرب إذا أرادوا تأكيد أمر قد أنكره المخاطب استعملوا القسم ، قال القرطبي : **" القرآن نزل بلغة العرب والعرب إذا أرد بعضهم أن يؤكد كلامه اقسم على كلامه والله تعالى أراد أن يؤكد عليهم الحجة فأقسم أن القرآن من عنده "[٤]**، والذي يُلحظ أنَّ أكثر مواضع القسم في القرآن الكريم قد وردت في السور المكية، وما هذا إلا ردٌّ على الإنكار الذي جوبهت به الدعوة الإسلامية في مكة، وقد جاء القسم في بعض المواضع من السور المدنية ردًّا على الإنكار أيضاً، كما في قوله تعالى :

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ **(التغابن)**

"ففي هذا القسم توكيد البعث والنشور والجزاء ، وفيه مجابهة للإنكار بأقوى أساليب التوكيد والتوثيق وهو القسم "[٥] . و يُلحظ في هذا القسم أنَّ المُقسم به (ربِّي)، و قد جاء هذا التعبير متناسبا مع المقسم عليه وهو (البعث) فالربوبيَّة

[١] ينظر : المصدر نفسه : ٣٠ - ٣١
[٢] البرهان : ٣ / ٤٠
[٣] الأقسام القرآنية : ٣١
[٤] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١ / ١١٠
[٥] القسم في القرآن الكريم تركيباً ودلالة ، عبد الله علي عبد الله الهتاري، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب – جامعة اليرموك : ٨٨

التي تعني الملك و التدبير تتناسب مع أجواء يوم البعث[*] ، و الربوبية أيضا تقتضي الاستمرار من بداية الخلق حتى البعث و الحساب[١] . وقد اقترن القسم بمؤكدين آخرين هما اللام ونون التوكيد الثقيلة، لإثبات البعث الذي نفاه الكافرون[٢]

والقسم بالربّ هنا مشعر بالدلالة على التحدي ، إذ إنَّ القسم موَّجه إلى الكافرين الذي ينكرون يوم البعث ، فجاء الردُّ عليهم مفتَتَحا بالقسم بالرب لما يفيده القسم من تعظيم للمقسم به .

وهذا الموضع هو الوحيد في السور المدروسة الذي أقسم الله تعالى فيه بنفسه ، و أما المواضع الأخرى فقد جاء القسم فيها بما خلق الله من تعالى مخلوقات هي دلائل قدرته ، وآيات ربوبيته .

ومن تلك المواضع قوله تعالى : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ **(العصر)**

، يقسم الله تعالى في الآية الشريفة بالعصر، وقد ذُكرت للعصر معانٍ عدة، تكاد تجتمع على معنى الزمن ، يقول النحاس : **" ويدخل فيه كل ما يسمى بالعصر؛ لأنه لم يقع اختصاص تقوم به حجة، فالعصر الدهر، والعصر العشي، و العصر الملجأ"**[٣] .

وقال الشيخ الطوسي : **" وأصل العصر عصر الثوب ونحوه، وهو فتله لإخراج مائه، فمنه عصر الدهر، لأنه الوقت الذي يمكن فتل الأمور كفتل الثوب"**[٤].

---

[*] وقد تقدم الحديث في صفحة ٨ من هذه الرسالة عن هذا التناسب .
[١] ينظر : الأمثل : ١٨ / ٣٨٤
[٢] ينظر : الميزان : ١٩ / ٣١٢
[٣] إعراب القرآن : ٥ / ٢٨٦
[٤] التبيان : ١٠ / ٣٨٤ ، و مجمع البيان : ١٠ / ٤٩١

وعلى كلا المعنيين فإنَّ ثمة تناسب دلالي بين المقسم به، وجواب القسم ((إنَّ الإنسان لفي خُسر))، فعلى المعنى الأوَّل يتناسب الزمن - بوصفه فضاءً لتطبيق الأعمال - مع عاقبة (الخسر) التي تعَدُّ أحد شقي النتيجة التي تنتهي إليها أعمال الإنسان، يقول الرسول الأعظم (ﷺ) **" إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعما اكتسبه من أين اكتسبه، وفيمَ أنفقه، وعن حبنا أهل البيت"**[1]، فالعمر هو الزمن الذي يستغرقه الإنسان في حياته الدنيا، والسؤال عنه ينتهي بالخسارة ما لم يكن الجواب متضمنا المستثنى من الخسران في السورة الشريفة وهو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ .

وأمَّا على معنى عصر الثوب فإنَّ المراد بالقسم هنا بعصر الثوب ليس حقيقة هذا العصر ، يقول السيد محمد الصدر : **" وأمَّا إذا التفتنا إلى المعنى الثاني، وهو إخراج الماء لم نجد للمعنى الحقيقي أهمية، وإنمَّا ينبغي أن نلتفت إلى المعاني المجازيّة من حيث أنَّ كل صعوبة بمنزلة العصر، ومن هنا يُقال ضغط عليه أي أحرجه "**[2]، فكأنَّ الإنسان يُعصر عند الحساب لاستخراج عاقبة حياته الدنيا فإمَّا خسارة تقود إلى النار، أو ربح يقود إلى الجنة وقد عبَّرت الأخبار عن هذا المعنى عند الحديث عن أحوال القبر فأُطلق على بعض منازل القبر (عصرة القبر). ومن هنا يتضح التناسب بين القسم بالعصر على هذا المعنى ، وجوابه المُخبر بعاقبة الخسر إلا ما استُثني .

ومن الدلالات التي يفيدها القسم دلالة التهديد[3] ، وقد دلَّ القسم بالعصر في هذا الموضع على التهديد سياقيًا من خلال اقترانه بالإخبار بالخسران الذي تلاه .

---

(1) بحار الأنوار : ٧٤ / ١٦٠
(2) منَّة المنَّان : ٢٥٢
(3) ينظر : القسم في القرآن الكريم تركيبا ودلالة : ٩٢

ويأتي القسم للدلالة على النفي[1]، كما في قوله تعالى :﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ ﴾ (الضحى) وقد اكتسب القسم دلالة النفي سياقيًا من جوابه الذي نفى فيه القرآن الكريم أن يكون الله تعالى قد قلى رسوله (ﷺ)، وهو قوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ .

ولا يخفى ما في هذا القسم من دلالة على أهمية المقسم به وهو وقتان من أوقات اليوم يمثلان أوَّل النهار حيث ارتفاع الضوء، وقوة الليل حيث هيمنة الظلام .

والقسم بهذين الوقتين يدلُّ أيضا دلالة واضحة على أهمية المقسم عليه، وهو نفي أن يكون الله تعالى قد ودَّع رسوله (ﷺ) وقلاه .

والمتأمل في هذا القسم يجد تناسبا بين المقسم به والمقسم عليه فارتفاع الضوء في الضحى، وانعدامه في الليل الساجي يتناسب مع نزول الوحي وانقطاعه الذي كان موضوع السورة ونفي ما سطَّره الكافرون بقوله تعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ ، وفي تناوب الليل والنهار تناسب دلالي مع اتصال الوحي و انقطاعه [2]، وهذا التناسب يتضمن دلالة التمثيل إذ يمثل القرآن الكريم عملية انقطاع الوحي واتصاله بتعاقب الليل والنهار ليدلل على أنَّ الأمر طبيعيٌّ، ولا توديع فيه ولا قلى كما زعم الكافرون .

والَّذي يُلحظ أنَّ القرآن الكريم قد أكثر من القسم بالأوقات فقد اقسم بالصبح في قوله تعالى : ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ ﴾ (التكوير) ، والضحى، والعصر، والليل كما مرَّ في الآيتين السابقتين، وقد تكرر القسم ببعضها في مواطن عدة، وفي هذا إيحاءٌ

---

(1) ينظر : المصدر نفسه :٩٥
(2) ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم :١ / ٢٦

دلاليٌّ على تقديس الوقت في الشريعة الإسلاميَّة و احترام المواعيد التي تترتب عليه.

وقد تحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن دلالة التعظيم في بعض المواضع، و ما فيها من تكلف ولاسيَّما أنها تتناقض فيما بينها كما في القسم بالضحى و الليل إذا سجى، فقد نُسب الإعظام في القسم بالضحى إلى سطوع الضوء وتجلي النظر فيه، وهذا يتناقض تماما مع صفات الليل ومع هذا فإنَّ القرآن الكريم قد أقسم بالليل أيضا، وقد وصفت الإعظام بالقسم بالليل بالتكلف أيضا[1].

ورفْضُ الدكتورة عائشة عبد الرحمن لفكرة التعظيم في القسم مردودٌ بقوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ (الواقعة)، فالقرآن الكريم يصرح في هاتين الآيتين الشريفتين بعظمة القسم بآية من آيات صنع الله وعظيم قدرته (جلَّ جلاله).

والذي تراه الدراسة أنَّ القسم بالضحى والليل أو الشمس والقمر كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾ (الشمس)، إنَّما يراد به تعظيم القسمين معا أي (الضحى والليل)، و(الشمس والقمر) لا كلٍّ منهما على حده، وهو تعظيم للعملية الناتجة منهما وهي تعاقب الليل والنهار وما فيها من الدقة اللامتناهية في التنظيم، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا المعنى في سورة (يس) إذ يقول (جلَّ جلاله) : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ

[1] ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٤ - ٢٦

يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ، وفي سورة (آل عمران) إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (آل عمران) فقد جعل الله تعالى اختلاف الليل والنهار آية من آيات عظمته وجلاله وحث أولي الألباب على التأمل فيها والوقوف عند حقيقتها .

ولو انعطف بنا الكلام عن القسم بالأوقات إلى القسم بمخلوقاتٍ أخرى من بدائع الصنع الإلهي يمكننا أن نقف عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الطارق)، فالله تعالى في هذه الآيات الشريفة يقسم بمخلوقين عظيمين من مخلوقاته، وهذا القسم باعثٌ على التدبر في عظمة الخالق الَّذي أتقن صنع هاتين الآيتين العظيمتين، وما تحملانه من عجائب هائلة .[1]

وهو دالٌّ أيضا على عظمة السماء والنجم الثاقب الَّذي عبَّر عنه القرآن الكريم بالطارق، والسياق في السورة الشريفة يؤكد دلالة التعظيم، إذ يقول تعالى - بعد القسم - : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ﴾ تعظيما له وتفخيما .

والمقسم عليه في السورة المباركة هو قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾ الَّذي ينبئ بأنَّ أعمال الإنسان محفوظة لدى الملائكة الموَّكلين بتدوين الأعمال، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الانفطار) .

---

[1] ينظر : الأقسام القرآنيَّة : ٤٠٥ ـ ٤١١

وفي معنى الإحاطة في المقسم عليه تناسب دلاليٌّ مع المقسم به (السماء والطارق) فهما محيطان بالأرض ومن عليها، كأنَّهما يريان كلَّ ما يجرحه من عليها . وثمة تناسب آخر يُلمح من خلال النظر إلى علاقة النجم المقسم به بالسماء فهو مع كونه نجما عظيما وصفه القرآن الكريم بالثاقب متعلق بالسماء لا ينفك عنها. وكذا الإنسان مهما تعالى شأنه وعلا بنفسه لا ينفك عن مراقبة السماء له وارتباطه بخالقه، ويعضد هذا التوجيه الآيات التي تلت تركيب القسم من السورة نفسها وهي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ فهذه الآيات الشريفة تأمر الإنسان بالنظر في أصل خلقه لكبح جماح التعالي والتكبر المقيت على قيم السماء ومن ثمَّ تُنبئ بأنَّه سوف يأتي مجردا من هالات الهيبة التي اصطنعها لنفسه ضعيفا لا قوَّة له ولا ناصر ليُكشف ما أخفته الأيَّام من سرائره ويحاسب عليها ذرةً ذرةً .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد) ،تبرز ظاهرة في استعمال أسلوب القسم وهي ظاهرة نفي القسم، وقد وردت هذه الظاهرة في القرآن الكريم في ثمانيَّة مواضع .(*)

وقد تعددت الآراء في توجيه هذا الاستعمال، يقول الفرَّاء (ت٢٠٧) : **" جاء بالرد على الذين أنكروا: البعث، والجنة، والنار، فجاء الإقسام بالرد عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه، وغير المبتدأ: كقولك في الكلام: لا والله لا أفعل ذاك؛ جعلوا (لا) وإن رأيتها مبتدأة ردًّا لكلامٍ قد كان مضى، فلو ألقيت (لا) مما ينوى به**

(*) **المواضع الستة الأخرى هي قوله تعالى :** ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الواقعة)، و﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحاقة)، و﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (المعارج)، و﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ (التكوير)، و﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾ (الانشقاق)، و﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ (القيامة) .

الجواب لم يكن بين اليمين التي تكون جوابا، واليمين التي تستأنف فرق. ألا ترى أنَّك تقول مبتدئا: والله إن الرسول لحق، فإذا قلت: لا والله إن الرسول لحق، فكأنَّك أكذبت قوما أنكروه، فهذه جهة (لا) مع الإقسام، وجميع الأَيْمان في كل موضع ترى فيه (لا) مبتدأ بها، وهو كثير في الكلام "[1]، أي أنَّ (لا) لنفي ما صدر من الكافرين من إنكار للتوحيد والمعاد وغيرها من الحقائق الإلهيَّة . وهذا الرأي بناءا على أنَّ القرآن الكريم عبارة عن جملة واحدة . وقد تقدم الإخبار بهذا الإنكارات في مواضع أخرى من القرآن الكريم؛ فجاء هذا النفي ردًّا على هذه الإنكارات .

والمتأمل في هذا القسم يجد أنَّ المقسم عليه في السورة الشريفة هو قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾، وهو ليس من الحقائق التي أخبر القرآن الكريم بوجود منكرين لها في مواضع سابقة، فلو كان المراد نفي مضمون أنكره الكافرون لكان هذا المضمون هو المقسم عليه في السورة الشريفة .

وقال ابن خالويه (ت٣٧٠) : **" (لا) صلة زائدة "**[2]، وقيل إنَّها تزاد قبل القسم[3]، ومنه قول امرئ القيس :

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أنّي أفر[4]

وقال أبو حيَّان : **" والأولى عندي أنها لام أشبعت فتحتها، فتولدت منها ألف ، كقوله : أعوذ بالله من العقراب ... وهذا وإن كان قليلاً، فقد جاء نظيره في قوله : { فاجعل أفئيدة من الناس } بياء بعد الهمزة، وذلك في قراءة هشام "**[5] .

ويؤخذ على هذا الرأي أنَّ إشباع الحركات ظاهرة لم ترد في القرآن الكريم، بل على العكس قد ورد قصر الحرف إلى حركة كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا

---

(1) معاني القرآن ، الفرَّاء : ٣ / ٢٠٧ ، وينظر : تأوّيل مشكل القرآن ، ابن قتيبة : ٢٤٧
(2) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، ابن خالويه : ٩٧ ، وينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٤٩٦/٩
(3) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٤٩٦/٩
(4) ديوانه : ٩٤
(5) البحر المحيط : ٨ / ٢١٢

****

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأنبياء) فقد حُذفت ياء المتكلم من الفعل (اعبدون) - إذ أصله (اعبدوني) - واستُعيض عنها بالكسرة .

وقد تكررت هذه الظاهرة في مواضع أُخرى هي : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنبياء)، و﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (العنكبوت)، و﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ (الدخان)، و﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (المؤمنون) . وقد استشهد أبو حيان بقراءة مُختَلفٌ فيها وليس نصا قرآنًا مُجمَعٌ عليه .

وأجرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن استقراءا لدخول (لا) على فعل القسم فوجدت أنَّ المواضع التي دخلت فيها (لا) على الفعل (أقسم) جميعها أُسند الفعل فيها إلى الله تعالى، ولم يرد الفعل مسندا إلى الله سبحانه بغير (لا) .[1] وعلَّقت على هذا الاستقراء بقولها : **" وهذا الاستقراء صريح الدلالة على أنَّه سبحانه ليس في حاجة إلى قسم، وأنَّ نفي الحاجة إلى القسم توكيد له، ومن مألوف استعمالنا أن نقول لا أوصيك بفلان تأكيدا للوصيَّة . كما نقول بغير يمين تأكيدا للثقة التي لا نحتاج معها إلى يمين . "**[2]

---

[1] ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ١٦٦

[2] التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ١٦٦.

المبحث الثالث / النمط الشرطي

يتبوَّأ الشرط مكانة مهمة في الدراسات اللغويَّة انطلاقاً من كونه أحد أهم وسائل التخاطب في عمليَّة التواصل بين المتكلمين. والقرآن الكريم هو القناة المركزيَّة للتواصل بين الله (عزَّ وجلَّ) وعباده، وهو محمَّلٌ ببشاراتٍ بالنعيم الدائم والحياة السعيدة المرَّفهة التي أعدَّها الله تعالى لعباده، إلَّا أنَّ الظفر بهذه النعم مشروط بالطاعة التي أمر بها الله تعالى، وبلَّغها رسولُه (صلى الله عليه وآله) وأوصياؤه (عليهم السلام) .

ولا يخفى ما في القرآن الكريم من أنباء الأمم السابقة التي تضمَّنت حواراتٍ بين الأنبياء وأقوامهم كان للشرط حضور في بناها؛ لذا إنَّ للشرط في القرآن الكريم حضوراً واضحاً يلوح لأدنى نظرة تأمل، فقد بلغت مواضع هذا الأسلوب التعبيريُّ في الكتاب العزيز (١٣٧٩) موضعا[١] .

والسور موضع الدراسة بوصفها جزءاً من القرآن الكريم كان لها حظٌ من اطِّراد أسلوب الشرط في تعابير آياتها .

عرَّف المبَّرد الشرط بقوله : **"ومعنى الشرط وقوع الشيء لوقوع غيره"[٢]** أي أنَّ حصول الشيء الثاني في الأصل متوقِّفٌ على حصول الأوَّل[٣]. **" وقد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني سبباً عن الأوَّل، ولا متوقفاً عليه، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾** [الأعراف: ١٧٦] **فلهث الكلب ليس متوقفا على الحمل عليه أو تركه، فهو يلهث على كل حال، وإنَّما ذكر صفته فقط .... "[٤]** وقد ورد هذا المعنى في السور موضع الدراسة في قوله تعالى : ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (الممتحنة)، فجواب الشرط (يكونوا لكم أعداءً) وما عُطف عليه ليست أحداثا متعلقةً بفعل الشرط (يثقفوكم)، فالَّذين كفروا أعداءٌ للمؤمنين باسطين

---

(١) ينظر : الشرط في القرآن، د.عبد السلام المسدي ود.عبد الهادي الطرابلسي : ٢٨
(٢) المقتضب : ٢ / ٤٥
(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٣٥٤
(٤) معاني النحو : ٤ / ٤٥

أيديهم وألسنتهم لهم بالسوء ويودُّون أن يكفروا بربِّهم في كلِّ الأحوال، وليس عندما يثقفونهم فقط.

ويَرِد الشرط أيضاً لمجرد اقتران فعل الشرط بجوابه، ولا تعلق بينهما[1] كما ورد في قوله تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ **(التغابن)** فإنَّ تكليف الرسول (ﷺ) بالبلاغ المبين ليس متوقفاً على تولي الكافرين عن طاعة الله تعالى .

وعرَّف الدكتور المخزومي الشرط بأنَّه : **" أسلوب لغويٌّ، ينبني - بالتحليل - على جزءين، الأوَّل : مُنزل منزلة السبب، والثاني : منزل منزلة المسبَّب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأوَّل، لأنَّ وجود الثاني معلَّق على وجود الأوَّل "[2]**، فالشرط في أصله جملتان يربطهما حرف[3] .

الدلالة الإيحائيَّة للتركيب الشرطي

تقدم أنَّ وظيفة الشرط الرئيسة في التعبير هي بيان تعليق المسبَّب بسببه وتوقفه عليه، فهو يدلُّ على التعلُّق أي تعلُّق جواب الشرط بفعله، وثمَّة دلالات أخرى تأتي متزامنة مع هذه الدلالة في السياقات المتعدِّدة، وهذه الدلالات تتعدَّد بحسب السياق الَّذي يكتنف التعبير .

ففي قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ ﴾ **(الحجرات : من٥)** تعلَّق حصول الخير للمتَحدَّث عنهم بصبرهم انتظاراً لخروج الرسول (ﷺ)، وقد جاء هذا التعبير بعد ذمِّ الَّذين نادوا الرسول (ﷺ) من وراء الحجرات في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾، ومن الوظائف الدلاليَّة للشرط وظيفة الاستئناف[4]، فإنَّ القرآن الكريم بعد أن ذمَّ فعلهم المسيء

[1] ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٣٥٦
[2] في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٨٤
[3] ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٤٣
[4] ينظر : الشرط في القرآن : ١٤٧

استأنف الكلام للحديث عن من ما ينبغي عليهم القيام به، وقد عبَّر عن هذا باستعمال أسلوب الشرط. ويُلحظ أنَّ فعل الشرط (صبروا) جاء بصيغة الماضي، ومن دلالات فعل الشرط إذا كان بصيغة الماضي **" إظهار الرغبة من المتكلم بوقوعه"**[١]، ورغبة الله تعالى في الشيء تعني الحث على القيام به، وهذا يضفي على الكلام دلالة الحثِّ على الصبر انتظاراً لرسول الله (ﷺ) وعدم تكرير الإساءة بمناداته من وراء الحجرات .

و تتجلى دلالة الحثِّ على طاعة الله سبحانه في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ **(الصف)**، فالآيات الشريفة تعرض على المؤمنين تجارة مع ربِّهم الكريم يشري بها الله تعالى إيمانهم وجهادهم ليهبهم غفران الذنوب والمساكن الطيِّبة في جناتٍ تجري من تحتها الأنهار في الآخرة، والنصر القريب على أعدائهم في الدنيا .

والشرط في الآية الشريفة في قوله تعالى ((تؤمنون بالله .... يغفر لكم....)) وهو شرط سياقيٌّ يُلمح من سياق الطلب[٢] الذي تضمنته الآيات الشريفة.
ومن الدلالات السياقيَّة للشرط دلالته على **" الحث والتنشيط والترغيب "**[٣] فهذه الآيات الشريفة محمَّلة بمعاني الترغيب وبعث النشاط في نفوس المؤمنين ابتداءً من طريقة العرض التي صوَّرت الإيمان والجهاد بتجارة مع الله وُصفت بأنَّها تنجي من عذاب أليم، وانتهاءً بالجزاء المعدِّ لمن قبل المتاجرة مع الله ليكون ربحه هذا النعيم المقيم الذي سطَّرت الآيات وصفه .

---

[١] البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٣٥٨
[٢] ينظر : الشرط في القرآن : ٢٣
[٣] تجليَّات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني ، د.فخريَّة غريب قادر : ٢٦٧

ويُلمح في هذا الشرط أيضاً دلالة الوعد إذ يعد الله تعالى عباده المؤمنين بمغفرة وجنات تجري من تحتها الأنهار وفتح منه تعالى ونصر قريب جزاءً لما قدَّموه في حياتهم الدنيا من تضحيات وثباتهم على إيمانهم .

ويأتي الشرط للدلالة على الأمر(١)، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن : من ١٤) في الآية الشريفة يأمر الله تعالى المؤمنين بالعفو والصفح والمغفرة عن غيرهم وسياق الحديث عن الأزواج و الأولاد، يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - في تفسير الآية - : **" واعفوا عنهم واصفحوا كما تحبُّون أن يعفوا الله عنكم "**(٢)، أي أنَّ مغفرة الله ورحمته متعلقتان بعفوكم وصفحكم عن غيركم ومغفرتكم لهم، ففعل الشرط يتحقَّق بالعفو والصفح والمغفرة معاً، يقول الجرجاني : **" الشرط(*) كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كلِّ واحدة منهما على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى، لأنَّا إن قلنا إنَّه في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين وليس معنا إلا جزاء واحد. وإن قلنا إنَّه في واحدة منهما دون الأخرى لزم منه إشراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط، وذلك ما لا يخفى فساده "**(٣) .

وهذا مذهب الأصوليِّين إذ يرى الأصوليُّون أنَّ الشرط المتعدِّد لا يتحقَّق مشروطه إلَّا بتحقُّق الشروط جميعاً(٤) .

ويُلحظ في هذا التعبير أنَّ جواب الشرط المسند إلى الله تعالى جاء جملة اسميَّة، في حين جاء فعل الشرط المسند إلى المؤمنين جملة فعليَّة مما يدلُّ على ثبات اتصاف الله تعال بالمغفرة والرحمة، وتغيُّر ذلك بالنسبة للعباد .

---

(١) ينظر : البيان في روائع القرآن : ١ / ٣٤٠
(٢) الأمثل : ١٨ / ٣٩٣
(*) يريد به فعل الشرط .
(٣) دلائل الإعجاز : ٢٤٦
(٤) ينظر : كفاية الأصول ، الشيخ الآخوند الخراساني : ٢ / ١٠٨

ويدلُّ الشرط دلالة صريحة على الأمر إذا اقترن سياقيَّاً بفعل الأمر أو ما يدلُّ عليه، وغالباً ما يكون ذلك عندما يكون جواب الشرط أمراً كما في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾(الطلاق: من ٦)، فهذان أمران من الله سبحانه يشرِّعان التعامل مع النساء المطلقات إن كنَّ أولات حمل[١]، وجواب الشرط في الآية الشريفة (فأنفقوا)، وهو فعل أمر وقد تعلَّق بفعل الشرط (كن أولات حمل)، أي الإنفاق على المطلَّقات متعلِّق بكونهن أولات حمل، وقد أكسب الفعل (أنفقوا) الشرط دلالة الأمر المستفادة منه .

وانتقالاً إلى دلالات أخرى، لنتأمَّل في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥ ﴾ (الانفطار) يُلحظ في هذه الآيات الشريفة أربعة تراكيب شرطيَّة يجمعها جوابٌ واحد، وهذه ظاهرة في الشرط تكرَّرت في القرآن الكريم في مواضع التهويل والتعظيم في وصف القيامة[٢]، فقد وردت أيضاً في سورتي التكوير والانشقاق، ومن السور المدروسة وردت في سورة الزلزلة إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ ﴾ (الزلزلة) فقد تكرر الشرط فيها ثلاث مرَّات والجواب واحد هو قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴾ ، والَّذي يُلحظ في المواضع جميعا أنَّ الجواب متعلقٌ بالإنسان ففي سورة الانفطار كان الجواب ((علمت نفس ما قدَّمت وأخَّرت))، وفي سورة الزلزلة جاء الجواب ((يومئذٍ تحدث أخبارها)) ردًّا على قول الإنسان ((ما لها)) فهو متعلق به أيضا، أمَّا سورة التكوير فجواب الشروط هو ((علمت نفسٌ ما أحضرت))،

[١] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٧ ، وفقه القرآن ، قطب الدين الراوندي : ٢ / ١٦١
[٢] ينظر : الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبيَّة دلاليَّة ، عدنان خالد فضل المرابحي، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب – جامعة البصرة : ١٩٥

وفي الانشقاق الجواب هو : ((يا أيُّها الإنسان إنَّك كادحٌ إلى ربِّك كدحاً فملاقيه))، ودلالة الشرط في هذه المواضع على التهويل الموحي بعظمة القيامة وأشراطها المخيفة تتناسب مع اقترانها بالإنسان إذ إنَّه هو المقصود بالتهويل والتخويف .

" والسبب في جعل جواب الجمل الشرطيَّة واحد هو أنَّ هذه الآيات تتحدَّث عن وصف يوم القيامة وأشراطه والَّذي يهم الإنسان هنا ليس الظواهر التي تعتري السماء أو الكواكب أو البحار وإنَّما الذي يهمه هو أنَّ ما يعمله هذا الإنسان يجده أمامه يوم القيامة "[١].

ويُلحظ أيضا أنَّ هذا التكرار في الشرط تارة يكون مع تكرار أداة الشرط كما في سورة الانفطار، وتارة يكون مع عدم تكرارها كما في الزلزلة[٢] وذلك أنَّ التركيب الشرطي إذا جاء على نسقه المعهود كما في سورة الزلزلة إذ جاء بعد أداة الشرط (فعل) فإن الأداة لم تتكرَّر، أمَّا في الانفطار فإنَّ التركيب قد حصل فيه انزياحٌ تركيبيٌّ، إذ جاء فعل الشرط جملة اسميَّة[٣] وتكرار الأداة يوحي بأنَّ ثمة تغير غير مألوف قد طرأ على الكلام .

ويُلحظ في الاستعمالين أنَّه في سورة الانفطار كان التركيز على الأسماء **" وذلك لتحضر المشهد في الذهن قبل الفعل "[٤]** فالمتلقي عندما يسمع بالسماء أو الكواكب أو البحار أو القبور يتبادر إلى ذهنه ما في السماء من هيبة وعلو، وما في الكواكب من تنظيم ودقة مسار، وما في القبور من سكون فهي جامدة جمود الموتى الراقدين بها. من ثمَّ يفاجَئ بأنَّ هذه السماء ستنفطر، والكواكب ستنتثر ويختل نظامها، والقبور ستبعثر فيقوم من فيها، عندها يضطرب الإنسان ليستشعر ذلك المنظر المهول المخيف، علَّه يعدُّ نفسه للنجاة من أهواله .

---

[١] الجملة في القرآن الكريم : ١٩٢ - ١٩٣
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٩٤
[٣] يرى الأخفش جواز مجيء فعل الشرط بعد (إذا) جملة اسميَّة وهو خلاف المشهور، ينظر : مغني اللبيب:٢/ ٧٣
[٤] الجملة في القرآن الكريم : ١٩٤

أمَّا سورة الزلزلة فإنَّ حدث التزلزل وإخراج الأثقال من الأرض هو المهمُّ من الصورة المراد بيانها؛ لأنَّ الإنسان قد عاش على هذه الأرض الذلول الميسَّرة سبلها له، فيكون الابتداء بالحديث عمَّا سيحلُّ بها صادماً له؛ فيعيش أجواء القيامة المراد بيانها .

ويأتي الشرط للدلالة على **" السبر والتقسيم "**[1] أي تقسيم حال المتحدَّث عنه بحسب احتمالات شرطيَّة يؤدي كلٌّ منها إلى نتيجة أو مصير ما، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ **(الزلزلة)** فالآيتان الشريفتان تصوِّران مصير الإنسان يوم القيامة المترتِّب على عمله فمن عمل عملاً حسناً يرى جزاءً حسناً، ومن كان عمله سيئاً يلقى جزاءه السيِّئ يوم الجزاء، وقد استعمل الشرط لتقسيم بني الإنسان إلى صنفين صنفٌ عمل في الدنيا أعمالاً صالحةً فيلقى ما عمله، وآخر عمل أعمالاً سيئة فيلقى أعماله كذلك.

التوظيف الدلالي لأدوات الشرط

تستعمل للشرط أدواتٍ عدة، ولكلٍّ من أدوات الشرط دلالة تؤديها ضمن حدود التركيب الشرطي، والتغاير الدلاليُّ بين الأدوات يُكسب المواضع التي ترد فيها دلالاتٍ مختلفة بحسب السياق الَّذي تُوظَّف فيه الأداة . والقرآن الكريم بوصفه أعلى نصٍّ لغوي في الوجود يتسم بالتوظيف الدقيق المعجز للوحدات اللغويِّة على الصُعُد كافَّة .

وقد ورد الشرط في السور موضع الدراسة في ثلاثة وستين موضعاً اثنان وستون منها باستعمال الأداة موزَّعةً على خمس أدوات هي (إن، وإذا، ومن، ولو، وأمَّا) . والمواضع مبيَّنة بالجدول :

---
[1] **البيان في روائع القرآن : ١ / ٣٣٨ ، وينظر : تجليَّات الدلالة الإيحائيِّة في الخطاب القرآني : ٢٦٧**

الأداة	إن	إذا	من	لو	أمَّا
السورة والآية	الحجرات: ٦	الممتحنة:١٠(٢)	الحجرات:١١	الحجرات:٥	الضحى :١
	الحجرات:٩(٣)	الممتحنة : ١٢	الممتحنة : ١	الحجرات:٧	الضحى :٢
	الحجرات:١٤	الجمعة : ٩	الممتحنة : ٦	التكاثر : ٥	الضحى :٣
	الممتحنة : ٢	الجمعة : ١٠	الممتحنة : ٩		القارعة :٦
	الممتحنة : ١٠	الجمعة : ١١	التغابن : ٩		القارعة :٨
	الممتحنة : ١١	المنافقون : ١	التغابن : ١١		
	الجمعة : ٦	المنافقون : ٣	التغابن : ١٦		
	المنافقون : ٤	المنافقون : ٥	الطلاق : ٢		
	التغابن : ١٢	الطلاق : ١	الطلاق : ٣		
	التغابن : ١٤	الانفطار : ١	الطلاق : ٤		
	التغابن : ١٧	الانفطار : ٢	الطلاق : ٥		
	الطلاق : ٤	الانفطار : ٣	الطلاق : ٧		
	الطلاق : ٦(٢)	الانفطار : ٤	الطلاق: ١١		
	التحريم : ٤(٢)	الشرح : ٧			
	المزَّمِّل : ١٧	الزلزلة : ١			
	الأعلى : ٩	العاديات : ٩			
		النصر : ١			

الفرق الدلالي في توظيف (إذا)، و(إن) : تشترك الأداتان (إذا) و(إن) في دخولهما على الجملة الفعلِّية ودلالتهما على الاستقبال، إلا أنَّهما تتمايزان في دقَّة المعنى الَّذي تؤدِّيه كلٌّ منهما في السياق، فـ(إذا) تدلُّ على حتميَّة الوقوع، وأمَّا (إن)

فإنها تدلُّ على احتماليَّة الوقوع، قال المبرِّد : **" و إنما منع إذا من أن يجازى بها؛ لأنَّها مؤقَّتة وحروف الجزاء مبهمة، ألا ترى أنَّك إذا قلت: إن تأتني آتك فأنت لا تدري أيقع منه إتيان أم لا؟ وكذلك من أتاني أتيته إنما معناه: إن يأتني واحد من الناس آته. فإذا قلت:إذا أتيتني وجب أن يكون الإتيان معلوماً، ألا ترى إلى قول الله عز وجل:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ ﴾ و﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ ﴾ و﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ ﴾ هذا واقع لا محالة "**[1] . وقد وردت (إن) في السور المدروسة في ثلاثة وعشرين موضعاً، وإذا في ثمانيَّة عشر موضع.

ومن المواضع الَّتي يتجلَّى فيها الفرق بين الأداتين قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾(الممتحنة : من ١٠) ففي الآية الشريفة شرطان جاء الأوَّل باستعمال (إذا) وهو ((إذا جاءكم المؤمنات .... فامتحنوهنَّ))، والثاني باستعمال (إن) وهو ((فإن علمتموهنَّ .... فلا ترجعوهنَّ))، والشرط الأوَّل يتحدث عن مجيء المؤمنات مهاجرات ليلتحقن بالمسلمين وهو أمرٌ حتميٌّ، لما كان يمر به المسلمون في تلكم الأيَّام من عناصر قوَّة ونصر، ولا يخلو التعبير من دلالة على البشارة للرسول (ﷺ) في انتشار الدين ودخول الناس فيه، ودلالة على التفاؤل بهذا النصر والانتشار للدعوَّة المحمديَّة .

ومثل هذا الشرط في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ (الممتحنة) .فإنَّ مجيء

---

[1] المقتضب : ٢ / ٥٤ ـ ٥٥

المؤمنات مهاجرات ومبايعات **" نتيجة حتميَّة لانتشار هذا الإسلام واتساع رقعته ودخول الناس فيه أفواجاً "**(١) فدلَّت إذا في الآيتين الشريفتين على الحتميَّة في مجيء المؤمنات .

وأمَّا الشرط الثاني في الآية السابقة وهو قوله تعالى : ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ ﴾ فهو مسبوق بالأمر بالامتحان، ومعلوم أنَّ الامتحان يحتمل الإيمان وعدمه فلو كان جميعهن مؤمناتٍ لما أمر الله تعالى بامتحانهنَّ، ولاسيَّما أنَّه يقول في الآية نفسها : ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ ﴾**(الممتحنة)** .

ومن المواضع التي اقترن فيها استعمال الأداتين معاً الَّتي تتجلَّى فيها دقة التوظيف الدلالي للقرآن الكريم وجماليَّة التعبير المتناسق مع سياق الموقف المراد التعبير عنه، قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ **(المنافقون)**، و يقول الدكتور فضل حسن عباس في هذه الاية : **" هذه الآية استعملت فيها (إذا) و(إن)، لكن (إذا) استعملت فيما يختص بالرؤية، و(إن) فيما يتعلق بالقول، وكلُّ من يرى المنافقين تعجبه أجسامهم، ولكن ليس كلَّ ما يقولونه حريٌّ(*) بأن يُستمع إليه"**(٢) .أي أنَّ تحقق الرؤية أمر حتميُّ الوقوع؛ لأنَّه مرتبط بنظر الرسول (ﷺ) إليهم وهو ينظر إليهم ويراهم يوميَّاً. وأمَّا سماع قولهم فهو أمر احتماليٌّ، لأنَّهم لا يتكلمون دائما بحضرة الرسول (ﷺ) و يتكلَّمون أيضاً في غير حضرته.

ومن المواضع الَّتي دلَّت فيها إذا على الحتميَّة قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عبَّاس : ١ / ٣٤٠
(*) هكذا وردت في النصِّ والصواب (حريًّا) .
(٢) المصدر نفسه والصفحة .

وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ (النصر) فقد دخلت (إذا) على الحدث المتحقق الوقوع، وهو نصر الله تعالى رسوله (ﷺ) وانتشار دينه ودخول الناس فيه أفواجاً، وفي التعبير دلالة على البشارة والوعد بالنصر من الله تعالى لرسوله الكريم (ﷺ) وفيه أيضاً دلالة على وجوب شكر النعمة المستوحى من جواب الشرط (فسبِّح بحمد ربِّك واستغفره) .

وفي مدار البحث في دلالة (إن) يطالعنا قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات) فقد جاء الشرط في الآية الشريفة مصدَّراً بـ(إن)، والسياق هو سياق التحذير من خبر الفاسق واستعمل القرآن الكريم معه (إن) التي تستعمل مع ما كان محتمل الوقوع للتدليل على أنَّ الأنباء الكاذبة أمرٌ ينبغي أن يكون نادراً، وغير متوقع الحدوث في المجتمع الإسلامي[1]

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجرات) ثلاثة مواضع للشرط تتحدَّث عن القتال بين المؤمنين وتحثُّ على الإصلاح وحلِّ النزاعات بينهم ومحاربة الباغي على أخيه بعد الصلح .

ويُلحظ في التعبير أنَّ القرآن الكريم قد استعمل الأداة (إن) في مواضع الشرط الثلاثة، مما يقلِّل من احتماليَّة وقوع القتال بين المؤمنين وهذا يحمل دلالة الحثِّ على الوحدة الإيمانيَّة وحفظ الكيان الإسلامي من التمزق، يقول الفخر الرازي : **" قوله تعالى : { وإِنْ } إشارة إلى ندرة وقوع القتال بين طوائف المسلمين، فإن**

---

[1] ينظر : تفسير الفخر الرازي : ٢٨ / ١٢٧

قيل فنحن نرى أكثر الاقتتال بين طوائفهم؟ نقول قوله تعالى : { وإنْ } إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يقع إلا نادراً، غاية ما في الباب أنَّ الأمر على خلاف ما ينبغي"(١)

ويُلحظ أنَّ الشرط الثالث ((فإن فاءت فأصلحوا بينهما)) يدلُّ على أمر محبوب ينبغي أن يحصل وهو الرجوع إلى طريق الأخوَّة وترك سبيل البغي، لكن اقترانه بسياق الاقتتال والبغي جعله محتمل الحدوث مثلهما؛ لأنَّ حصوله متعلق بحصولهما .

التوظيف الدلالي للأداة (من) : (من) اسم شرط جازم يدلُّ على العاقل قال سيبويه : **" ويكون بها الجزاء للأناسي "**(٢)، وقد ورد في السور المدروسة في (ثلاثة عشر) موضعاً، ودلالتها مطلقة على عموم الإفراد والتثنيَّة والجمع، ولكن السياق يحدِّدها في بعض المواضع .

ومن مواضع دلالتها في السور موضع الدراسة قوله تعالى :﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الحجرات: من ١١) في الآية الشريفة شرط مصدَّرٌ بالأداة (من) وهو يبيِّن تعلُّق صفة الظلم بمن يذنب فلا يتوب، وقد سُبق هذا الشرط بالنهي عن التعدِّي على الآخرين بالسخرية والتنابز بالألقاب، فجاء هذا التعبير بعدها ليدلَّ على الأمر بالتوبة عن هذه الذنوب، يقول الفخر الرازي : **" أمرهم بالتوبة عمَّا مضى وإظهار الندم عليها مبالغة في التحذير وتشديداً في الزجر "**(٣)، ودلَّ أيضاً على قصر صفة الظلم على مرتكبي تلك الذنوب الَّذين لم يتوبوا مبالغةً في زجرهم .(٤)

ويُلحظ أنَّ الأداة (من) قد دلَّت على الجمع في هذا الموضع بدلالة سياق الجمع الَّذي وردت فيه فقد اقترنت بالوصف (الظالمين) وهو جمع كما هو معلوم .

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٢٨ / ١٢٧
(٢) الكتاب : ٤ / ٢٢٨
(٣) تفسير الفخر الرازي : ٢٨ / ١٣٣
(٤) ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٥٠

زيادة على افتتاح الآية التي ورد فيها الشرط بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (الحجرات:من ١١) فالخطاب موجهٌ إلى عموم المؤمنين، ولاسيَّما أنَّها اقترنت بالفعل (تنابزوا) وهو على صيغة (تفاعل) وهي تدلُّ على المشاركة أي صدور الفعل من أكثر من طرف يتعاورون على صفة الفاعليَّة والمفعوليَّة، فدلَّت (من) في الشرط على عموم الجمع .

وعروجاً على دلالة الحكم الإفرادي للأداة لنقف عند قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ (الممتحنة) الآية الشريفة في النهي عن مولاة الكافرين والميل إليهم بالمودة سراً، وجاء الشرط في خاتمتها ليبيِّن النتيجة الوضعية لمخالفة النهي الوارد فيها[(١)]، وفي الشرط دلالة على التحذير والتخويف، والتهديد الشديد[(٢)] من مغبَّة اتخاذ أعداء الله أولياء.

والآية مرتبطة بقصة حاطب ابن أبي بلتعة الَّذي أرسل رسالة إلى أهل مكة يحذِّرهم فيها من غزو المسلمين لهم بعدما نقضوا عهدهم مع الرسول (ﷺ)[(٣)] .

ويُلحظ أنَّ جواب الشرط (ضلَّ) قد رجَّح دلالة الإفراد في (من) لارتباطها بسبب النزول من جهة، ومن جهة أخرى ليكون هذا النهي شاملاً لكل المسلمين، أي أنَّ كلَّ من يصدر منه هذا فقد ضلَّ.

وقد وردت (من) في السورة نفسها في سياق النهي عن موالاة الكافرين أيضاً لكن بدلالة الجمع، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ

---

(١) ينظر : تفسير سورة الممتحنة ، السيد محمد باقر الحكيم : ٣٤
(٢) ينظر : الأمثل : ١٨ / ٢٣٤
(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير: ٨ / ٨٢

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ وفي هذا دلالة على أهميَّة حكم موالاة الكافرين والنهي عن برهم والإقساط إليهم، فقد جاء النهي عن موالاتهم بصيغتين الأولى على مستوى الأفراد كلٌّ على حده، والثانيَّة على مستوى الجماعة ككلٍّ.

وانتقالا من دلالة التحذير والوعيد والتأنيب إلى دلالة الحث على العمل الصالح والوعد عليه بالحسنى، نستشرف البعد الدلالي في استعمال (من) في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ **(التغابن)** فالآية الشريفة تصف يوم القيامة الَّذي أسماه القرآن الكريم (يوم التغابن)، ومعنى التغابن **"هو التفاوت في اخذ الشيء بدون القيمة، والذين اخذوا الدنيا بالآخرة بهذه الصفة في أنهم اخذوا الشيء بدون القيمة، فقد غبنوا أنفسهم بأخذ النعيم المنقطع بالدائم واغبنهم الذين اشتروا الآخرة بترك الدنيا المنقطَع إليها من هؤلاء الذين تغابنوا عليها "**[1]، والشرط المصَدَّر بـ(من) في الآية الشريفة هو ((ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفِّر عنه سيئاته ....)) وفيه دلالة على التبشير بالجنة والوعد بنعيمها المتضمن دلالةً الحث على الإيمان والعمل الصالح والترغيب فيهما، فهما الطريق الموصل إلى هذا النعيم الموعود .

وقرائن السياق المتمثلة بالأفعال (يؤمن، ويعمل، ويكفِّر، ويدخل) تخلص (من) إلى دلالة الإفراد لتؤكِّد توزيع التكليف على المؤمنين جميعاً ولكلِّ منهم جزاءٌ معدٌّ، ليجمعهم الله تعالى تحت ظلِّ رحمته، فجاء التعبير في خاتمة الآية بصيغة الجمع (خالدين) لتوحي بأنَّ العمل الصالح يجمع صاحبه بإخوانه المؤمنين الَّذين شابهوه الجهد في جنَّات الخلد، فائزين فوزاً عظيماً .

---

[1] التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٢١

والآية السابقة كانت في حيِّز دلالة النعيم في الآخرة، ومن مواضع النعيم في الدنيا المتعلقة بالأداة (من) قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ (التغابن) ذكرت الآية جزاء الإيمان في الدنيا وهو هداية القلوب، وقد اقترن هذا الجزاء بأسلوب الشرط الَّذي تصَدَّرته الأداة (من) وفيه إيحاءٌ بالحث على الصبر وجعله من الإيمان إذ سُبق الشرط بالحديث عن المصائب وجعلها من القضايا المرتبطة بإذنه تبارك وتعالى .

ومن الشواهد الَّتي تمَّ تحليلها تخلص الدراسة إلى أنَّ أداة الشرط (من) الدالَّة على العاقل تأتي في سياق النهي عن الذنوب والآثام للدلالة على التحذير والتهديد والوعيد سواء ارتبط بالحكم بالمفرد أو بالجماعة. وتأتي في سياق مدح العمل الصالح وبيان جزائه للدلالة على الحث عليه والترغيب فيه والوعد الحسن بمن يستجيب لأمر ربَّه ويمتثل أوامره .

التوظيف الدلالي للأداة (لو) : (لو) حرف يفيد امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع الشرط، قال سيبويه : **" وأمَّا لو فلما كان سيقع لوقوع غيره"**[1] .

وقد جاءت (لو) في ثلاثة مواضع من السور المدروسة الأوَّل في قوله تعالى:﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ (الحجرات) ودلَّت في هذا الموضع على امتناع تحقق الخير للمتحدَّث عنهم، لامتناع تحقق الصبر الَّذي كان مطلوباً منهم وقد تقدَّم الحديث عن الدلالة المستوحاة من هذه الآية في موضوع الدلالات الإيحائيَّة للشرط .

وتأتي (لو) للدلالة على استحالة الوقوع، يقول أبو البقاء (ت١٠٩٤) : **" والأصل في فرض المحالات كلمة (لو) دون (إن) لأنها لما لا جزم بوقوعه ولا وقوعه والمحال "**[2].

---

[1] الكتاب : ٤ / ٢٢٤

[2] الكليَّات معجم في المصطلحات، أبو البقاء الكفوي : ١٢٥

وقد وردت بهذا المعنى في السور موضع الدراسة في قوله تعالى – وهو الموضع الثاني لها - : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ (التكاثر) أي **" لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر و التباهي بالعزِّ والكثرة"**[1]، فقد دلَّت (لو) على استحالة حصول المخاطبين على علم اليقين لانشغالهم بالتكاثر عن طاعة الله وذكره .

أمَّا الموضع الثالث فهو قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ (الحجرات: من ٧) وقد دلَّت الأداة (لو) فيه على الامتناع أي امتناع وقوع الجواب لامتناع وقوع فعل الشرط، فالعنت وهو الجهد وتعسر الأمور، لم يقع لعدم وقوع فعل الشرط وهو إطاعة الرسول (ﷺ) لهؤلاء المخاطبين، وفي الآية دلالة على أنَّ الرسول (ﷺ) رحمة للعالمين، ومصدر يسر لا عسر بما يحمله من تعاليم إلهيَّة وتشريعات تكفل للإنسان كرامته وعيشه الرغيد.

التوظيف الدلالي للأداة (أمَّا) : (أمَّا) أداة شرط تفصيليَّة تتضمن أداة الشرط وفعله، ومعناها مهما يكن من شيء[2]، وقال ابن هشام : **" وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد "**[3].

وقد وردت في السور المدروسة في خمسة مواضع من سورتي الضحى والقارعة .

ففي سورة الضحى يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ (الضحى) في الآيات الشريفة سلسلة تكاليف موجهة من الله تعالى إلى رسوله الأعظم (ﷺ) تتضمَّن رعاية اليتيم وإعانة السائل واستشعار نعمة الله والحديث بها في مقام الشكر.

---
[1] مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٩
[2] ينظر : المقتضب : ٣ / ٢٧
[3] مغني اللبيب : ١ / ٣٥٢

وقد جاءت هذه التكاليف بعد ذكر نعم أنعم الله تعالى بها على الرسول (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ ، قال أبو حيَّان : **" ويظهر أنَّه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة، أمره بثلاثة : فذكر اليتيم أولاً وهي البداية، ثم ذكر السائل ثانياً وهو العائل، وكان أشرف ما امتن به عليه هي الهداية، فترقى من هذين إلى الأشرف وجعله مقطع السورة، وإنَّما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة، لأنَّه بعد اليتيم هو زمان التكليف، وهو عليه الصلاة والسلام معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله عز وجل في القول والفعل والعقيدة، فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتيم وحالة التكليف، وفي الآخر ترقى إلى الأشرف، فهما مقصدان في الخطاب "**[1] .

فجاءت (أمَّا) التي تحمل دلالة التوكيد في صدارة الشرط متضمنةً فعله، لتؤكد المعنى الَّذي يريد القرآن الكريم التأكيد عليه، وقد تكررت في الآيات الثلاث لتوحي بأهميَّة الأوامر الثلاثة، وعدم ارتباط بعضها ببعض فكلٌّ منها تكليف مستقل بذاته .

ويكثر استعمال (أمَّا) في مواضع التكرار المرتبط بقضايا قبلها لتدلَّ على السبر والتقسيم، ففي الآية الشريفة قسمَّ القرآن الكريم التكاليف الموجهة إلى الرسول (ﷺ) على ثلاثة حقول الأوَّل متعلِّق بالنهي عن قهر اليتيم، والثاني متعلِّق بالنهي عن نهر السائل، والثالث متعلق بالأمر بالتحدِّيث بنعمة الله (عزَّ وجلَّ)، لتشكِّل بمجموعها منظومة إسلاميَّة من الخلق الرفيع والروح الرحمانيَّة الساميَّة التي تجمع بين رعاية المخلوقين وشكر الخالق .

وفي الموضعين الآخرين الَّذين وردت فيهما الأداة في سورة القارعة، يقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

---

[1] تفسير البحر المحيط : ٨ / ٤٨٢

مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ تبيِّن الآيات الشريفة مصير الإنسان يوم القيامة والفيصل في ذلك عمله، وقد دلَّ الشرط فيها على السبر والتقسيم إذ تقسِّم مصير الإنسان بحسب عمله إلى عاقبتين، فمن كان عمله صالحاً أثقل عمله ميزانه وقاده إلى عيشة راضية، وعاقبة حسنة، ومن كان عمله سيئا جعل ميزانه خفيفاً تعصف به رياح الخسران، يقول السيد الطباطبائي : **" فالآيات - كما ترى - تثبت الثقل في جانب الحسنات دائماً و الخفة في جانب السيئات دائماً. و من هناك يتأيَّد في النظر أن هناك أمراً آخر تقايس به الأعمال و الثقل له فما كان منها حسنة انطبق عليه و وزن به و هو ثقل الميزان، و ما كان منها سيئة لم ينطبق عليه و لم يوزن به و هو خفة الميزان كما نشاهده فيما عندنا من الموازين فإنَّ فيها مقياساً وهو الواحد من الثقل كالمثقال يوضع في إحدى الكفتين ثمَّ يوضع المتاع في الكفة الأخرى فإن عادل المثقال وزناً بوجه على ما يدلُّ عليه الميزان أخذ به و إلَّا فهو الترك لا محالة، و المثقال في الحقيقة هو الميزان الذي يوزن به، و أمَّا القبان و ذو الكفتين و نظائرهما فهي مقدَّمة لما يبينه المثقال من حال المتاع الموزون به ثقلاً و خفة كما أنَّ واحد الطول وهو الذراع أو المتر مثلاً ميزان يوزن به الأطوال فإن انطبق الطول على الواحد المقياس فهو وإلَّا ترك "**[1] .

ويُلحظ ترابطاً بين الشرطين الَّذين وردت فيهما الأداتان؛ لترابط الموضوعين الَّذين يعالجانهما إذ الجمع بينهما يشكِّل عاقبة الإنسان يوم القيامة وحصيلة حياته الدنيا الَّتي يحدِّدها عمله الَّذي اجترحه فيها .

---

(1) الميزان : ٨ / ٥

الفصل الثالث

العدول في البنى التركيبية

الفصل الثالث / العدول في البنى التركيبيَّة

تقدَّم في الفصل الأوَّل الحديث عن مفهوم العدول الَّذي تستعمله الدراسة، وقد عرَّفت الدراسة العدول على أنَّه ((خروج عن المألوف القواعديِّ ضمن الحدود الَّتي تسمح بها القاعدة))(١) أي أنَّه خروج جزئيٌّ لا طرحٌ للقاعدة برمَّتها، ويمكننا الاستئناس برأي ابن جنِّي في هذا المقام عندما قسم التقديم والتأخير إلى نوعين، الأوَّل ما يقبله القياس، والثاني ما يسهله الاضطرار.(٢)

وستتناول الدراسة ظاهرتين لغويَّتين هيمن حضورهما في السور موضع الدراسة على عمليَّة الخروج الجزئي عن القاعدة النحويَّة . وهما (التقديم والتأخير، والحذف) .

المبحث الأوَّل / التقديم والتأخير

التقديم والتأخير ظاهرة لغويَّة دلاليَّة ترتبط بالنظام الَّذي على ضوئه تنتظم عناصر الجملة، ويتسق ترتيبها بحسب الحال الَّذي يُلقى فيه الكلام والسياق الَّذي تنسجم فيه الألفاظ، **" وهو يمثِّل بؤرة الأسلوب الَّذي يدور حوله التركيب فيما يتعلَّق بترتيب الأجزاء داخل الجملة، وإنَّ أيَّ تغيير يطرأ على الجملة من حيث تنظيم الكلمات أو ترتيبها ينبني على معنى "**(٣)، وقد عدَّه الدكتور أحمد محمد ويس أهم ظواهر المستوى التركيبي(٤) وقد تناول علماء العربيَّة موضوع التقديم والتأخير

(١) الصفحة ٥٣ من هذه الرسالة .
(٢) ينظر : الخصائص ، ابن جنِّي : ٢ / ٣٨٢ وما بعدها
(٣) مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة ، د.هديل عبد الحليم داوود ، (بحث)، مجلة أبحاث كليَّة التربية الأساسيَّة – جامعة الموصل ، مج٩ ، ع٤: ٢٠٥
(٤) ينظر : جماليَّات التركيب بين الشعر في التراث البلاغي والنقدي ، د. أحمد محمد ويس ، (بحث)، مجلة علامات ، ج٥١ ، م١٣ ، محرم ١٤٢٥ - مارس ٢٠٠٤ : ٤٦

****

بالبحث والدراسة فلا يكاد يخلو مصدر من الحديث عنه وتناوُلِ جوانب ممَّا يتعلَّق به، ابتداءً من كتاب سيبويه الَّذي أعطى قاعدة عامَّة في الحيِّز الدلالي للظاهرة بقوله - في حديثه عن التقديم والتأخير بين الفاعل والمفعول - **" كأنَّهم إنَّما يقدِّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يهمَّانهم ويعنيانهم"**[١]، وقال في موضعٍ آخر : **" والتقديم ههنا والتأخير فيما يكون ظرفاً أو يكون اسماً، في العناية والاهتمام، مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول"**[٢] غير أنَّ دراسات القدماء اقتصرت في تركيزها على جانب القاعدة النحويَّة من الموضوع ولم تُعرِ الجانب الدلاليَّ أهميةُ كما في الجانب القواعدي[٣]، وأوَّل من تناول الموضوع بصورة موسَّعة وأعطاه أهميَّةً في البحث وأعار الدلالة أهميَّة لم يعرها سابقوه هو عبد القاهر الجرجاني[٤]، وقال - في بيان أهميَّة التقديم والتأخير - **" هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قدِّم فيه شيء وحوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان "**[٥]، وقد توسَّع الجرجاني في بيان مقولة سيبويه ودعا إلى التعمُّق فيما بعدها إذ يقول : **" وقد وقع في ظنون الناس أنَّه يكفي أن يقال: إنَّه قُدم للعناية، ولأنَّ ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبمَ كان أهم؟ ولتخيُّلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونَّوا الخطب فيه، حتى إنَّك لترى أكثرهم يرى تتبُّعه والنظر فيه ضرباً**

---

(١) الكتاب : ١ / ٣٤
(٢) المصدر نفسه : ١ / ٥٦
(٣) ينظر على سبيل المثال : الأصول في النحو : ٢ / ٢٢٢ -٢٥٧ ، الخصائص : ٢ / ٣٨٢ - ٣٩٠
(٤) ينظر : التقديم والتأخير بين الإمام عبد القاهر والمتأخرين ، د.الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت، (بحث) ، مجلة حوليَّة كليَّة اللغة العربيَّة بالقاهرة، جامعة الأزهر : ٧
(٥) دلائل الإعجاز : ١٠٦

****

من التكلف ولم تر ظنًّاً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه "[1]. وأخذ الجانب الدلاليُّ في بحث التقديم والتأخير بعد عبد القاهر الجرجاني يكسب حيِّزاً كبيراً من البحث والدراسة[2] .

وستبحث الدراسة دلالة التقديم والتأخير من حيث العناصر الَّتي تحصل بينها الظاهرة، وقد توزعت على قسمين هما :

التقديم والتأخير في العناصر الإسناديَّة

من المعلوم أنَّ للعربيَّة نظاماً في ترتيب عناصرها الأساسيَّة الَّتي تعرف بالعناصر الإسناديَّة يقتضي تقديم المسند إليه وتأخير المسند في الجملة الاسميَّة، وتأخير المسند إليه وتقديم المسند في الجملة الفعليَّة، أي أنَّ المبتدأ يتقدم في الجملة الاسميَّة على الخبر، والفعل يتقدم على الفاعل في الجملة الفعليَّة . إلَّا أنَّ هذا النظام القواعدي يتعرض لخرق مشروع تحت ظل السياقات المختلفة، يؤدي إلى تقديم المتأخر وتأخير المتقدِّم، ممَّا يولِّد دلالاتٍ لطيفةً استشعرها المتكلِّم، فبثَّها إلى المتلقي ليتذوَّق حسَّها الجماليَّ، وروعتها التعبيريَّة . والعنصر الوحيد من العناصر الإسناديَّة الَّذي يتقدم عن رتبته هو الخبر فالفاعل ونائبه إذا تقدَّما تتحول الجملة من الفعليَّة إلى الاسميَّة؛ لذا سُميَّ تقديمهما بـ(التقديم لا على نيَّة التأخير)، لأنَّهما ينتقلان من رتبة إلى أخرى فتصير رتبتهما الابتداء . وقد تقدَّم الخبر في أكثر من نمط من أنماط الجملة الاسميَّة .

خبر المبتدأ : تقدَّم خبر المبتدأ في السور موضع الدراسة محمَّلا بدلالات ستحاول الدراسة استشراف تجليَّاتها الجماليَّة من خلال الآيات الشريفة، ونبدأ البحث من قوله تعالى:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ **(التغابن)**

---

[1] **دلائل الإعجاز : ١٠٨**

[2] **ينظر : مفتاح العلوم ، السكاكي : ٣٨٨ ، وينظر : الإيضاح : ٢ / ٥٠ ، ٥٣ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ١٣٥ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٣٩ - ٢٨٨**

****

التقديم والتأخير في الآية الشريفة في قوله ((له الملك وله الحمد)) وقد تقدم الخبر (له) مرَّتين الأولى على المبتدأ (الملك) والثانية على (الحمد) وقد تحدث الزمخشري عن دلالة هذا التقديم قائلاً : **" قُدِّم الظرفان ليدلَّ بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عزَّ وجلَّ، وذلك لأنّ الملك على الحقيقة له، لأنَّه مبديء كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد؛ لأنَّ أصول النعم وفروعها منه . وأمَّا ملك غيره فتسليط منه واسترعاء، وحمده اعتداد بأنَّ نعمة الله جرت على يده "**[١]، وقد حدَّد الزركشيُّ دلالة الاختصاص بتقديم الظرف إذا كان مثبتا[٢] ويُلحظ أنَّ تقديم خبر (الملك) قد توَّسط تسبيح ما في السماوات والأرض لله تعالى، واختصاص الحمد به تباركت أسماؤه فعلَّل تقديم الخبر مع دلالته على الاختصاص تسبيح ما في السماوات والأرض لله سبحانه وتعالى، فهو (عزَّ وجلَّ) أهلٌ لأن يُسبَّح في السماوات والأرض باختصاصه بالملك وتفرُّده فيه دون شريك أو منازع، وهذا الاختصاص بالملكيَّة لما في السماوات الأرض يعلِّل اختصاصه سبحانه وتعالى بالحمد، قال الآلوسي : **" وتقديم (لَهُ الملك) لأنَّه كالدليل لما بعده "**[٣]، فدلَّ السياق بأجمعه على اختصاص الله تعالى بالملك وأهليَّته للحمد والتسبيح واختصاصه بهما .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ **(الحجرات)** تقدَّم الخبر (لهم) على المبتدأ، وقد دلَّ تقديم الخبر على الاختصاص مبالغة في مدح المؤمنين الَّذين يحترمون نبيَّهم

---

[١] الكشَّاف : ٦ / ١٣٠ ، وينظر : المثل السائر : ٢ / ٢١٧
[٢] ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٣٦
[٣] روح المعاني : ٢٨ / ١١٩ ، و ينظر : الأمثل : ١٨ / ٣٧٩ - ٣٨٠

****

ولا يجهرون له بالقول، والمتأمِّل في السياق الَّذي وردت فيه جملة ((لهم مغفرة وأجر عظيم)) يجد أنَّها اقترنت بمدح المؤمنين الَّذين يغضون أصواتهم عند رسول الله (ﷺ)، وقد توسَّط هذا المدح النهيَّ عن رفع الصوت بحضرته (ﷺ)، وذمَّ الَّذين يرفعون أصواتهم بمناداته من وراء الحجرات، فجاء التقديم مع ما فيه من المبالغة بالمدح وتأكيد الجزاء العظيم لمن يمتثل أمر الله في احترام رسوله متناسباً مع سياق الكلام الَّذي وردت فيه الجملة .

وقد ظهرت دلالة الاختصاص أيضاً في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ (التغابن) فقد تقدَّم الخبر (إليه) على المبتدأ في جملة (إليه المصير) للدلالة على عائديَّة الخلق إلى الله تعالى مهما طال بقاء الدنيا فلا بدَّ لهذا الكون من نهاية، ورجوعٍ إلى خالقه ومبتدعه ولا خالق آخر في الكون إلَّا الله تعالى فالإياب منحصر إليه، قال تعالى :﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾(الغاشية)، وهذا المقطع من الآية هو نتيجة لما تقدَّمه من معانٍ في الآيات السابقة وهذه الآية[1] **" فكأنَّه يقول لهم : هو الذي خلقكم وخلق لكم آيات قدرته على بعثكم، من ذلك خلق السماوات والأرض، ومن ذلك خلقكم وتصويركم في أحسن تقويم، فكأنَّ موجب ذلك الإيمان بقدرته تعالى على بعثكم بعد الموت، وبالتالي إيمانكم بما بعد البعث، من حساب وجزاء وجنَّة ونار، ولكن فمنكم كافر ومنكم مؤمن "**[2]، فالرجوع يوم القيامة ومصير الخلق فيه مختصٌّ بالله تعالى لا ينازعه فيه أحد، ومن هنا تُلمح دلالة التوحيد في هذا التقدِّيم فحصر المصير بالله تعالى دليل على أنَّه لا إله في الكون غيره؛ لأنَّ الأشياء تعود لصانعها .

---

[1] ينظر : الميزان : ٩ / ٣٠٩

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي : ٨ / ٣٣٥ - ٣٣٦

****

وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الطارق) تقدَّم في الآية الشريفة الخبر (له)، و " **الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره في الدنيا إمَّا بقوَّة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنَّه يعدمها يوم القيامة** "[1]، ويرى الزركشي أنَّ في تقديم الظرف مع النفي دلالة على التفضيل، إذ يقول : " **وأمَّا تقديم الظرف ففيه تفصيل فإن كان في الإثبات دلَّ على الاختصاص كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ وكذلك : ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ وقوله: ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فإنَّ ذلك يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى وقوله : ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي لا إلى غيره ...... وإن كان في النفي فإنَّ تقديمه يفيد تفضيل المنفى عنه ....** "[2] .

وقد اعترض الدكتور فاضل السامرائي على رأي الزركشي بأنَّ تقديم الظرف يحصل في مقام الذمِّ ولا ينحصر في المدح، ويرى أنَّ تقديم الظرف مع النفي يدلُّ على نفي الحكم عن المنفي عنه وإثباته لغيره[3]، غير أنَّ الدلالة في الآية أقرب لرأي الزركشيِّ؛ لأنَّ نفي القوة والنصر عن الإنسان تعني إثباتها لغيره على رأي الدكتور السامرائي، وهذا يُدخل الجنَّ أيضاً في حدود الإثبات للغير فيكون للجنِّ قوَّة وناصر وهو مردود بأنَّ الجنَّ مكلَّفون كالإنس إذ يقول تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات)، وسورة الجنِّ مليئة بدلالات التكليف بالعبادة والطاعة بالنسبة للجنِّ، فهم مشمولون بنفي القوَّة والنصر عنهم يوم الحساب . أمَّا رأي الزركشي فلعلَّ مراده بالتفضيل معنى المفاضلة، والمفاضلة تحصل حتَّى في الأمور المذمومة فنقول (أقبح، وأكذب، وأنجس)، فتكون دلالة التقديم في الآية الشريفة أنَّ الإنسان أكثر ضعفاً من غيره يوم القيامة بسبب فقدان القوَّة والنصر،

---
[1] التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي : ٢ / ٥٦٠
[2] البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٣٧
[3] ينظر : معاني النحو : ١ / ١٤٢- ١٤٣

****

ولعلَّ سبب ذلك أنَّ الحجة كانت عليه أبلغ فالأنبياء من جنسه، واحتكاكه بهم كان أكثر من الجنِّ .

ويُلحظ في الآية الشريفة أنَّ المبتدأ قد جاء مرفوعاً محلَّا مجروراً لفظاً بحرف الجر الزائد (من) وهو يدلُّ على التبعيض مما أسهم في تكريس دلالة الضعف من خلال نفي أقل القوَّة والنصر عن الإنسان .

ومن مجيء الخبر ظرفا للدلالة على الاختصاص قوله تعالى:﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البلد) فقد تقدَّم الخبر الظرف (عليهم) ليدلَّ على اختصاص عقوبة النار المؤصدة بالَّذين كفروا بآيات الله تعالى وقد وصفت الآية الَّتي سبقت هذه الآيـة كفرهم بآيات الله (عزَّ وجلَّ) .

والأمر نفسه في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم) فالآية الشريفة تحذِّر المؤمنين من النار وتحثُّهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذابهـا، وقـد تقدَّم الخبر (عليها) وأفاد دلالة اختصاص الملائكة الغلاظ الشداد بهذه النار الَّتي حذَّر القرآن الكريم المؤمنين من عذابها . وسياق التهويل والتخويف الَّذي تقدَّم فيه الخبر يكسب هذا التقديم دلالة التهويل والتخويف فتقدُّم الإخبار بوجود هؤلاء الملائكة الشداد على النار يحرك الرعب في قلوب المخاطبين .

أمَّا قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ (التغابن) فقد تأكدت دلالة الاختصاص فيه بدخول (إنَّما) الَّتي تفيد الحصر على الجملة الَّتي تقدم فيها الخبر وهي ((على رسولنا البلاغ المبين)) .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون) أفاد تقدِّيم الخبر دلالة تخصيصه بالمبتدأ، فالله تعـالى يأمر رسوله الأعظم (ﷺ) بأن يخاطب الكافرين بأنَّ

دينه غير دينهم فلا يتعبَّد بعبادتهم ولا يتعبَّدون بعبادته فكلٌّ اختص بدين، والله يهدي من يشاء .

خبر النواسخ : تقدَّم الخبر في جملة النسخ في ثمانية مواضع من السور المدروسة، وقد توَّزعت هذه المواضع على (كان، وإنَّ)، والدلالة الَّتي يفيدها التقدِّيم والتأخير يضفي عليها سياق النواسخ دلالة أخرى بحسب الناسخ الَّذي اقترنت به عمليَّة التقديم.

ففي قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾ (الحجرات من : ٧) يُلحظ أنَّ الخبر (فيكم) قد تقدَّم. وهو ظرف، والخبر الظرف يفيد الاختصاص كما تقدَّم، وهذا الاختصاص هو اختصاص وجود الرسول (ﷺ) بينهم، وليس اختصاصه نبياً لهم، فهو نبيٌّ للعالم أجمع، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء)، **" وتقدِّيم خبر (أنَّ) على اسمها في قوله : ((أنَّ فيكم رسولَ الله)) للاهتمام بهذا الكون فيهم وتنبيهاً على أنَّ واجبهم الاغتباط به والإخلاص له لأنَّ كونه فيهم شرف عظيم لجماعتهم وصلاح لهم "**[1]، وفيه أيضاً دلالةٌ على التشدد عليهم بأن لا يُملوا على الرسول (ﷺ) ويريدوا منه اتِّباع آرائهم[2]، فهم مكلَّفون بطاعة الرسول (ﷺ) وامتثال أوامره، قال تعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الحشر: من ٧)، وقال (عزَّ وجلَّ) :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأحزاب). ويُلحظ أنَّ التعبير جاء بـ(فيكم) ولم يقل (بينكم) وفي هذا دلالة على

[1] تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٣٥
[2] ينظر : إعراب القرآن الكريم وبيانه : ٧ / ٢٤٩

شدَّة اتصال الرسول (ﷺ) بالمسلمين وتعايشه معهم حتَّى كأنَّه في داخلهم، وفيه أيضا إشارة إلى أنَّه يطَّلع على سرائرهم بإخبار الله تعالى إياه بها، قال الطبري (ت٣١٠) : **" يقول تعالى ذكره: لأصحاب نبيّ الله (ﷺ) : واعلموا أيُّها المؤمنون بالله ورسوله، (أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فاتقوا الله أن تقولوا الباطل، وتفتروا الكذب، فإنَّ الله يخبره أخباركم، ويعرّفه أنباءكم، ويقوّمه على الصواب في أموره "**[1]، ففي هذا الإخبار تحذير لهم وإيقاظ، فإنَّهم يعلمون بوجود الرسول (ﷺ) بينهم، وإنَّما جاء بهذا الكلام تحذيراً لهم[2] .

وقد اقترن هذا التقدِّيم بالحرف الناسخ (إنَّ) الَّذي يفيد التوكيد ليضفي على التعبير دلالة التوكيد في المعاني الَّتي تمَّ الحديث عنها .

وفي قوله تعالى :﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾ **(المزمل)** جاء التأكيد بتقدِّيم الخبــر المقتــرن بــ(إنَّ) التوكيديَّة لزيــادة التأكيد على حث الرسول (ﷺ) على بذل جهده في التبليغ والتعليم وقضاء حوائجه، ويُلحظ أنَّ السياق العام في سورة المزَّمِّل هو مخاطبة الرسول (ﷺ)، فتقدم الخبر (لك) المتضمن ضميراً يعود على الرسول (ﷺ)؛ لأهميته في السياق .

ولا يخفى ما يوحي به التعبير من دلالة الاختصاص في تقديم الخبر، إلا أنَّه اختصاص في حدود السياق، فـ**" ليس بالضرورة أن يكون التقدِّيم مفيداً الاختصاص الحقيقي دائما "**[3] فإنَّ السبح الطويل، والمراد به التفرغ لأمور المعاش ليس مختصاً في حقيقته بالرسول (ﷺ) لكن سياق الآيات يختص به (ﷺ) **" و المعنى أنَّ لك في النهار مشاغل كثيرة تشتغل بها مستوعبة لا تدع لك فراغاً**

---

[1] **جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري : ٢٢ / ٢٩٠**
[2] **ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٦ / ٢٣٤**
[3] **ظواهر أسلوبيَّة وفنيَّة في سورة النحل ، أسامة عبد المالك إبراهيم عثمان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة النجاح الوطنيَّة : ٧٢**

****

تشتغل فيه بالتوجه التام إلى ربِّك و الانقطاع إليه بذكره فعليك بالليل و الصلاة فيه"[١] . فيمكن أن نسمِّي هذا الاختصاص (اختصاص سياقي) .

وتتجلى دلالة الاختصاص في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ **(المزمل)** فقد تقدم الخبر الظرف (لدينا) وهو في سياق الوعيد مقترنا بـ(إنَّ) ليؤكِّد القدرة الإلهيَّة، واختصاص الله تعالى بالعذاب الشديد والانتقام من الظالمين، وهذا الوعيد تعليلٌ للأمر الَّذي سبقه في قوله تعالى : ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ **(المزمل)**[٢]، فتقدم الخبر في سياق الوعيد تأكيداً لقدرة الله تعالى وتفخيما لها، وبيان اختصاصها به (عزَّ وجلَّ) .

وما زلنا في دلالة الاختصاص، ونتأمل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ **(الانفطار)** تقدَّم في الآيات الشريفة خبر إنَّ (عليكم) على اسمها، وهو ظرف يفيد الاستعلاء، وقد دلَّ الاستعلاء في هذا التعبير على دقة المراقبة وشدة التفحص من الملائكة المكلَّفين بتسجيل أعمال ابن آدم.

وقد دلَّ هذا التقديم - في سياق الإثبات - على الاختصاص، يقول ابن الأثير: **" فأمَّا الظرف فاعلم أنَّه كان الكلم مقصوداً بـه الإثبـات، فإنَّ تقديم الظرف فيه أبلغ من تأخيره . وفائدته إسناد الكلام الواقع بعده، إلى صاحب الظرف دون غيره "**[٣] .

ولاقتران التقديم بـ(إنَّ) أثرٌ واضحٌ في دلالته على التوكيد .

ولعلَّ أكثر موضع تتجلى فيه دلالة الاختصاص في تقديم خبر (إنَّ) قوله تعالى :﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ **(العلق)** فقد دلَّ على اختصاص رجوع الخلائق بربِّ

---

[١] الميزان : ٢٠ / ٧٠
[٢] ينظر : التفسير الأصفى ، الفيض الكاشاني : ٢ / ١٣٦٨
[٣] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير : ١١٠

****

العالمين فلا رجوع لغيره (عزَّ وجلَّ)، وفي تقديم الخبر أيضاً دلالة على التشويق إذا نظرنا إليه من جانب الرسول(صلى الله عليه وآله فتقديم الخبر (إلى ربِّك) المتضمن ذكر ربِّه سبحانه وتعالى تشويق إلى ذلك اليوم الَّذي يرجع فيه إليه ويرى حساب من آذوه .

أمَّا إذا نظرنا إليه من جهة الطغاة الَّذين آذوا الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنَّه يدلُّ على الوعيد والتهديد[1] **" أي فهذا الطاغي كيف يطغى بماله و يعصي ربَّه و رجوعه إليه و هو قادر على إهلاكه و على مجازاته إذا رجع إليه "**[2]، ودلالة الوعيد هذه مستفادة من سياق الآيات اللاحقة[3] وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ **(العلق)** .

أمّا قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ **(الممتحنة: من ٤)** فقد تقدم فيه خبر كان (لكم) على اسمها (أسوة)، ليبيِّن أنَّ المؤمنين المخاطبين هم أولى الناس باتباع سنَّة إبراهيم (عليه السلام) والمؤمنين به، والتأسِّي بهم في رفض الكفر وتحدي الكافرين، وقد ورد هذا التقدِّيم في سياق النهي عن موالاة الكافرين ومودتهم إذ يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

---

[1] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٦٤

[2] مجمع البيان : ١٠ / ٤٥٢

[3] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٣٧١

****

(الممتحنة)، فجاء تقديم الخبر المتضمن ضميراً يعود على المؤمنين الَّذين تخاطبهم الآيات الشريفة متناسبا مع سياق الخطاب الموجه إليهم .

وقد اقترن هذا التقديم بالفعل الناقص (كان) الَّذي يدلُّ على حصول الحدث في الماضي، وصيغة الماضي عندما تستعمل في الحال تدلُّ على توكيد حصول الحدث من خلال إنزاله منزلة ما وقع فعلاً، وفي هذا الاستعمال دلالة على أهميَّة التأسِّي المندوب إليه في الآية الشريفة .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ (الإخلاص) تقدم خبر كان على اسمها، واختُلف في الخبر بين (له)، و (كفواً)، فقيل إنَّ الخبر (كفواً) و(له) متعلقٌ به، وقيل إنَّه (له) و(كفوا) حال من (أحد)[1] .

والجار والمجرور ليس تامَّاً فهو لا يصلح أن يكون خبراً لكان وإنَّما هو متعلِّق بـ(كفوا)[2]، وقد بيَّن الزمخشري سبب تقدم الظرف (له) على متعلَّقه في الآية الشريفة بقوله : **" هذا الكلام إنَّما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه؛ وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهمَّ شيء وأعناه، وأحقه بالتقدم وأحراه "**[3] .

ويُلحظ من سياق الآيات في السورة الشريفة التأكيد على وحدانيَّة الله تعالى، فجاء تقديم الخبر مؤكِّدا لهذه الحقيقة، ومرسِّخا للتحدي الَّذي جابهت به السورة الشريفة مجتمع الشرك المعادي للدعوة الإسلاميَّة .

وقد اقترن تقديم الخبر هنا بالفعل الناقص (يكن) الَّذي انتقلت دلالته من الحاليِّة إلى المضي بتأثير الأداة (لم)، والتعبير بالماضي مع النفي يدلُّ على القطعيَّة

---

(1) ينظر : مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي : ٢ / ٥١٠ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن، أبو البقاء العكبري : ٢ / ٢٩٧

(2) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٨ / ٥٣٠

(3) الكشاف : ٦ / ٤٦١

بعدم الحدوث، فنفت الآية وجود شريك لله تعالى في الماضي، وانسحبت هذه الدلالة على الحاضر والمستقبل بقرينة سياق الحال الَّذي تتحدى فيه السورة المشركين القائلين بوجود شريك له (عزَّ وجلَّ)، وتنفي ذلك منذ الأزل إلى فناء الأشياء .

التقدِّيم والتأخير في العناصر غير الإسناديَّة

إلى جانب العناصر الإسناديَّة توجد في النظام اللغوي عناصر متممة لبنية الجملة تعرف بالعناصر غير الإسناديَّة، ولهذه العناصر رتب في نظام البنية اللغويَّة تنتظم فيها، وعادة ما تكون بعد العناصر الإسناديَّة، إلا أنَّ العدول في البنيَّة التركيبيّة يطال رتبة هذه العناصر، فيخضعها لظاهرة التقديم والتأخير، ليحمل التعبير المعدول فيه بمضامة السياق دلالات ترقى بالنص إلى مدارج الكمال التعبيريِّ، ولاسيَّما إذا كان النصُّ نصَّاً إعجازيَّاً متناهي الدقة كالقرآن الكريم .

وقد تقدَّم في السور موضع الدراسة نوعان من العناصر غير الإسناديِّة هما : المفعول به ، والجار والمجرور .

تقديم المفعول به

تقدَّم المفعول به في السور موضع الدراسة في أربعة مواضع هي : قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ **(الفاتحة: ٥)**، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ **(المنافقون)**، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ **(الضحى)**

وفي قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ **(الفاتحة: ٥)** تقدم المفعول (إيَّاك) مرَّتين على فعله، وفي هذا التقدِّيم دلالة على الاختصاص[1] أي " **نخصَّك**

---

[1] **ينظر : الكشَّاف : ١ / ١٠٢**

****

بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصُّك بالاستعانة منك لا نستعين أحداً سواك "[1]، وقد اضطرب موقف ابن الأثير من دلالة هذا التقديم، فقد ردَّ على الزمخشري، في المثل السائر بقوله : **" وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أنَّ التقديم في هذا الموضع قُصد به الاختصاصِ، وليس كذلك فإنَّه لم يقدَّم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وإنَّما قدم لمكان نظم الكلام لأنَّه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) ألا ترى أنَّه تقدَّم قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) فجاء بعد ذلك قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النونِ ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوةِ وزال ذلك الحسنِ وهذا غير خافٍ على أحد من الناسِ فضلاً عن أرباب علم البيان "**[2]، وقد ذهب إلى دلالة الاختصاص في الجامع الكبير إذ يقول : **" فإنَّ قوله (إيَّاك نعبد) تخصيص له بالعبادة، دون غيره، وكذا (إيَّاك نستعين)، وهذا بخلاف ما لو قال (نعبد ونستعينك) فإنَّه يحتمل أن تكون العبادة والاستعانة لغيره "**[3]، ويبدو أنَّه قد تراجع عن رأيِّه بدلالة التقدِّيم على الاختصاص، فقال باقتصار ذلك على السجع؛ لأنَّه ألَّف المثل السائر بعد الجامع الكبير[4] .

والدلالة على الاختصاص أرجح؛ لأنَّ القرآن الكريم لا يحصر التعبير بقضايا لفظيَّة فقط فهو ليس شعراً تُراعى فيه أواخر الأبيات للحفاظ على القافية . يقول الدكتور فضل حسن عبَّاس : **" ولا تلتفت إلى ما يقال من أنَّ هذا التقديم لرعاية الفاصلة، فمع تقديرنا لجمال الإيقاع، وحلاوة الجرس، لكنَّه في كتاب الله لن يستقل بتقدِّيم أو**

---

[1] مفتاح العلوم ، السكَّاكي : ٤٤٠
[2] المثل السائر : ٢ / ٢١٢
[3] الجامع الكبير : ١٠٩
[4] ينظر : الجامع الكبير : ٤ من مقدمة التحقيق .

****

تأخير، أو حذف أو ذكر، وإنَّما - إن كان ذلك – فلابدَّ أن يكون تابعاً لمعنى أراده القرآن الكريم "[١] .

لقد دلَّ تقديم المفعول في هذه الآية الشريفة على اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى وقصرها عليه . ويرى ابن فارس (ت ٣٩٥) أنَّ في الآية دلالة الطلب، قال : **"معناه فأعِنّا على عبادتك "**[٢] .

ويُلحظ أنَّ القرآن الكريم قدَّم المفعول مع فعلي العبادة والاستعانة ولم يقدِّمه مع فعل الهداية في قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ (الفاتحة)، وذلك أنَّ العبادة والاستعانة تختصان بالله تعالى، أمَّا الهداية فهي ليست لعبد دون آخر، وإنَّما هي للعباد جميعا[٣] .

وفي الضمير (إيَّاك) التفات من الغيبة إلى الخطاب، فالآيات السابقة لهذه الآية كان الحديث فيها بصيغة الغيبة، وفي هذه الآية حصل التفات إلى الخطاب باستعمال الضمير (إيَّاك)، والتعبير بصيغة الغيبة كان في سياق الحمد لله تعالى والثناء عليه، وهو أمرٌ بعيد المنال لا يمكن لعبد أن يؤدي حقَّ الله بالحمد والثناء يقول الإمام السجاد (عليه السلام) : **" فَكَيْفَ لي بِتَحْصيلِ الشُّكْرِ وَشُكْري إيّاكَ يَفْتَقِرُ إلى شُكْر، فَكُلَّما قُلْتُ لَكَ الْحَمْدُ وَجَبَ عليَّ لِذلِكَ اَنْ أقول لَكَ الْحَمْدُ "**[٤]، أمَّا هذه الآية الشريفة فإنَّ الحديث فيها عن العبادة المقترنة بالاستعانة فجاءت مخاطبة الله تعالى بضمير الحاضر للإيحاء بقرب الله تعالى ممن استعانه، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ (البقرة)، فـ **" فَائِدَةُ هذا الالتفات التحوُّلُ من موضوع الثناء على**

---

[١] البلاغة العربيَّة فنونها وأفنانها : ٢٣٦
[٢] الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس : ١٨٥
[٣] ينظر : التعبير القرآني ، د.فاضل السامرائي : ٤٩ - ٥٠
[٤] الصحيفة السجاديَّة ، الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) : ٢٣٥ (مناجاة الشاكرين)

****

الله عزّ جلّ إلى موضوع التوجُّهِ له بالعبادة والدُّعاء، فالثناء يحْسُنُ فيه الإِعلانُ العامّ، وهذا يلائمه أسلوبُ الحديث عن الغائب، والعبادةُ الدّعَاءُ يَحْسُنُ فيهما مواجهة المعبود الْمَدْعُوّ بالخطاب "[١] .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (المنافقون) **" قدَّم المفعول به على الفاعل، فقال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) ولم يقل: (يأتي الموت أحدكم) ذلك لأنَّ المفعول به هو المهمُّ هاهنا، إذ هو المعنيُّ بالتوبة والصلاح، وهو المدعوُّ للإنفاق وهو المتحسِّر النادم إذا عاجله الموت "[٢]**، واستعمال (من) مع قبل يوحي بقرب الموت من الإنسان[٣]، فجاء تقديم المفعول في هذا السياق لدلالة على التحذير والتنبيه، فالله تعالى ينبِّه المخاطبين ويحذِّرهم من التباطؤ في أداء حقوق الله تعالى، والموت منهم قريب .

أمَّا قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ (الضحى)، ففي تقديم المفعول دلالة على التوجيه والإرشاد، لأنَّ النهي عن قهر الآخرين ونهرهم لا يختص باليتيم والسائل، وإنَّما يشمل جميع عباد الله[٤]، **" فقدَّمها للاهتمام بشأنهما و التوجيه إلى عدم استضعافهما "[٥] .**

ويمكن أن تكون في هذا التقدِّيم دلالة على الاختصاص السياقي، فقد تقدم في سياق الآيات السابقة على هاتين الآيتين بيان نعمة الله تعالى على رسوله (ﷺ)والتذكير بها في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾

(١) البلاغة العربيَّة أسسها وعلومه وفنونها : ٤٩٢
(٢) لمسات بيانيَّة في نصوص من التنزيل ، د. فاضل السامرائي : ١٨٦
(٣) المصدر نفسه : ١٨٥
(٤) ينظر : معاني النحو : ٢ / ٧٩
(٥) التعبير القرآني : ٥١

****

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ (الضحى) ، ومن ثمَّ جاءت هاتان الآيتان للمقارنة بين النعم الإلهيَّة المتقدِّمة والتوجيه الَّذي تلاها .

تقدِّيم الجار والمجرور

أكثر العناصر تقديماً في السور موضع الدراسة هو الجار والمجرور فقد تقدَّم في مواضع كثيرة على متعلقه، ولا يخفى ما لهذا التقدِّيم من أثر دلاليٍّ حريٍّ بالدراسة .

وللبحث في القيمة الدلاليَّة لهذا التقديم نبدأ بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ (الحجرات)، فقد تقدَّم شبه الجملة (على ما فعلتم) على متعلِّقه الخبر (نادمين)، ومن الوجوه الَّتي يحسن فيها التقدِّيم والتأخير أن يكون أليق بما اتَّصل به من الكلام[1]، والسياق في الآية الشريفة يركِّز على تحاشي الاعتداء على الآخرين بجهالة نتيجة التصديق بخبر كاذب، فتقدم شبه الجملة المتضمِّن إشارة إلى الفعل المذكور للدلالة على أهميَّته، وتفخيم الحدث الَّذي تصف الآية الشريفة عاقبته.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ (الحجرات) تقدَّم شبه الجملة (إليكم)، على (الإيمان) وهو مفعول (حبَّب)، وعلى (الكفر) وهو مفعول (كرَّه)، وأصل الجملتين ((حبَّب الإيمان إليكم))، و((كرَّه الكفر إليكم))، ويُلحظ أنَّ سياق الآيات الشريفة في خطاب المؤمنين وتوجيههم، فناسب هذا التقدِّيم السياق إذ إنَّ الضمير في (إليكم) عائد على المؤمنين، فتقدَّم

[1] ينظر : نهاية الإيجاز : ١٩٣

****

لأهميته في السياق، وفي هذا دلالة على فضل الله تعالى على عباده، وتذكيرهم به، تمهيدا للأوامر والنواهي الَّتي جاءت بها الآيات الَّتي تلت هذه الآية المتضمنة الأمر بالإصلاح بين المؤمنين، ومقاتلة من يبغي، والنهي عن الغيبة والتجسس والسخرية والتنابز بالألقاب وسوء الظن .

وهذا التذكير بفضل الله تعالى على عباده فيه إشارة لهم أن لا يمنوا على الله بإيمانهم، وقد تجسد هذا المعنى في السورة نفسها إذ يقول تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحجرات) .

وقد جاءت الدلالة على فضل الله تعالى على عباده في قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾(المزَّمّل) فقد تقدَّم شبه الجملة (إليكم) على (رسولاً)، وأصل الجملة ((أرسلنا رسولاً إليكم))، فتقدَّم (إليكم) للدلالة على فضل الله تعالى على عباده، وقد تضمن التعبير دلالة التحذير عن طريق وصف الرسول بأنَّه شاهدٌ عليهم، ويؤكد هذه الدلالة تشبيه إرسال الرسول إليهم بإرسال الرسول إلى فرعون، وفي الآية الَّتي تلتها جاء وصف حال فرعون مع الرسول المرسل إليه وعاقبة عصيانه، إذ يقول تعالى:﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ (المزَّمّل)، أي أنَّه سبحانه وتعالى يحذِّرهم من مغبَّة عصيانهم رسوله (صلى الله عليه وآله) من خلال بيان حال من عصى من قبلهم .

ويُلحظ في قوله تعالى : ﴿ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ الّذي وصِف به الرسول (صلى الله عليه وآله) أنَّ المتعلق (عليكم) قد تأخَّر عن (شاهداً) وذلك أنَّ الحديث فيه عن الرسول (صلى الله عليه وآله) فتقدَّم الوصف العائد عليه على شبه الجملة العائد على المخاطبين .

****

ومن مواضع الدلالة على فضل الله تعالى قوله تعالى :﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ ﴾ (الطلاق)، فقد تقدَّم شبه الجملة (إليكم)، والأصل ((أنزل الله ذكراً إليكم))، فأفاد التقديم الدلالة على أنَّ لله تعالى فضلاً على عباده بما أنزله إليهم من ذكر يبيِّن لهم سبل الهداية والطريق الموصلة إلى الله تعالى . ويُلحظ من سياق الآية الشريفة المنبئ بالعذاب الشديد المعَّد لمن عصى الله وحاد عن صراطه أنَّ التعبير فيه دلالة التحذير للمخاطبين بعد إلقاء الحجة عليهم من خلال إنزال الذكر إليهم .

وقد تقدَّم شبه الجملة للدلالة على فضل الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (الشرح) فقد تقدَّم المتعلَّقان(لك)، و(عنك)، وقد تقدَّم (لك) مرَّتين، وفي هذا دلالة على فضل الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) في شرح صدره، وحط وزره، ورفع ذكره . وفيها أيضا دلالة على مكانة الرسول (صلى الله عليه وآله) وقيمة عند ربِّه عزَّ وجلَّ.

وفي استعمال هذه المتعلقات بين الفعل ومفعوله دلالة على التشويق لما بعدها فـ**" إضافة (لَكَ) في موضعَيْن و (عَنْكَ) في موضِعٍ، تُفيد الإبهام أوّلاً فتَسْتَشْرِفُ النفس للإِيضاح، وتَتَشوَّقُ للتفسير، وبعبارات: (صَدْرَك - وِزْرَكَ – ذِكْرَكَ) يرتَفعُ الإِبهام ويرتوي ضمأ النفس للمعرفة الذي أثاره التشويق، مع ما في (لَكَ) و (عَنْكَ) من تأكيد وتمكين، لأنّ المقام مقام امتنانٍ سبَقَتْ دواعيه"** [1] .

وجاء بعدها قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾ (الشرح) ليدلَّ على اختصاص الله تعالى بأن يرغب إليه رسوله صلى الله عليه وآله ويتوجَّه إليه[2]، قال الطبري :

---

[1] ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها : ٦٨-٦٩

[2] ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ٧٦

****

" يقول تعالى ذكره: وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد "(١) .

" ووصل الآية بما قبلها هو الَّذي يطَّرد به النسق وتتمُّ وحدة السياق في السورة كلِّها فتتعلق رغبة المصطفى بالله وحده، الذَّي أفرغ بال رسوله مما كان يشغله من ضيق الصدر، ووضع عنه الوزر الّذي انقض ظهره، وبشَّره بيسر قريب، على وجه اليقين لا شك فيه "(٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ ﴾ **(الطلاق)** تَعِد الآية الشريفة من يتقي الله بأن يجعل له مخرجاً ويكون له ناصراً .

وقد تقدَّم شبه الجملة (له) المتعلِّق بالفعل (يجعل) على المفعول (مخرجاً)، وأصل الجملة ((يجعل مخرجاً له))، فتقدَّم المتعلِّق في سياق ذكر المؤمن الطائع لله تعالى، المسلِّم أمره له، المتوكِّل عليه، لتنبثق من أهميته في السياق دلالة المدح والثناء عليه .

وتكررت هذه الدلالة في السورة نفسها في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥ ﴾ **(الطلاق)**، فتقدم فيه المتعلقان (عنه)، و(له) على مفعولي فعليهما، وقد دلَّ تقديمهما على المدح والثناء أيضاً .

وقد جاء تقديم شبه الجملة على متعلِّقه للدلالة على الاختصاص في قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ ﴾ **(الممتحنة)** فقد تقدَّم المتعلِّقان (عليك)، و(إليك) على الفعلين المتعلَّقين بهما وهما (توكَّلنا)، و(أنبنا)، ويُلحظ أنَّ

(١) جامع البيان : ٢٤ / ٤٩٧
(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم : ١ / ٧٦

الآية الشريفة قد افتُتحت بالدعاء (ربنا)، فناسب هذا تقدِّيم المتعلِّقين المتضمِّنين ضميراً يعود على الله تعالى، وقد دلَّ هذا التقديم في الآية الشريفة على اختصاص الله تعالى بالتوكُّل عليه والإنابة إليه، فهو تعالى مولى عباده المؤمنين وموئلهم، لا شريك له في هذا، ولا بديل عنه .

وجاء التقديم للدلالة على الاختصاص أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (التغابن)، فقد تقدَّم شبه الجملة (على الله) على فعله المتعلِّق به (يتوكَّل)، لإفادة اختصاص التوكُّل على الله تعالى، وقد جاء هذا التقديم في سياق الأمر فأكَّد أهميَّة هذا الأمر والحثَّ عليه . وجملة ((وعلى الله فليتوكَّل المؤمنون)) توكيد لما سبقها، وهي جملة ((الله لا إله إلا هو))[1]، وقد عزَّز التقديم دلالة التوكيد في جملته .

ومن مواضع الدلالة على الاختصاص قوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (الطارق) فقد تقدَّم شبه الجملة (على رجعه) على متعلقه خبر إنَّ (لقادر)، وأفاد هذا التقديم دلالة اختصاص الله بالقدرة على إرجاع الأشياء إلى أصلها، والإحياء بعد الموت للبعث والحساب . و قد دلَّ هذا التقديم أيضاً على التوكيد، " **فقد أراد تعالى توكيد حقيقةً مهمةً طالما أنكرها مشركو مكَّة وهي حقيقة البعث والرجوع إلى الله تعالى. ولذلك قدَّم الله تعالى شبه الجملة من الجار والمجرور: (على رجعه) على متعلِّقه (لقادر) لأنَّه محل إنكار من المشركين** "[2]

وفي قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق: من : ٣)، الأصل في التعبير ((قد جعل الله قدراً لكلِّ شيء))، فتقدَّم شبه الجملة على المفعول، وفي هذا

[1] ينظر : الميزان : ١٩ / ٣١٩

[2] قصار السور دراسة أسلوبيَّة، كريم طاهر عباس البعَّاج، رسالة ماجستير، كلية التربيَّة – جامعة بابل : ٩٦

دلالة على تأكيد سعة قدرة الله تعالى وإحاطتها بكلِّ شيء، فتقديم شبه الجملة أفاد توكيد المعنى المراد بيانه أكثر مما لو تأخَّر . ولاسيَّما أنَّ الآية الشريفة في سياق الوعد برزق الله تعالى لمن اتَّقاه، إذ يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: ٢-٣) .

ومثله في الدلالة عل سعة قدرة الله تعالى وعلمه قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ (الطلاق) فقد ذكرت الآية الشريفة خلق الله تعالى للسماوات والأرض وتنزل الأمر بينهنَّ، وتقدَّم شبه الجملة في الآية مرَّتين الأولى على (قدير)، والثانية على (عليم) وفي هذا دلالة على سعة علم الله تعالى بما في السماوات و الأرض وقدرته عليهما مع سعتهما الَّتي يعجز الفكر البشري عن الإحاطة بهما .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ (الشمس) تقدَّم الظرف (عليهم) على الفاعل (ربُّهم)، وقد ناسب هذا التقدِّيم سياق السورة الَّذي يصف حال قوم صالح وعاقبة أمرهم، فتقدَّم الجار والمجرور المتضمِّن ضميراً يعود عليهم؛ وذلك لأهميَّة شبه الجملة في السياق . ويُلحظ أنَّ هذا التقدِّيم قد فصل بين فعل العذاب (دمدم) وفاعله (ربُّهم)، وفي هذا دلالة على أنَّ العذاب بسببهم لا عدواناً من الله تعالى عليهم، وصرَّحت الآية الشريفة بهذا المعنى في قوله تعالى : ((بذنبهم))، أي أنَّهم أُهلكوا بسبب ما أقدموا عليه من ذنب وهو عقرهم الناقة، الَّتي أمرهم الله تعالى بعدم المساس بها .

****

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ (العاديات) في الآيات الثلاث تقدَّم الجار والمجرور على متعلقه، ففي قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ تقدَّم (لربِّه) على (كنود)، والآية الشريفة **" إخبار عمَّا في طبع الإنسان من اتبَّاع الهوى و الانكباب على عرض الدنيا و الانقطاع به عن شكر ربِّه على ما أنعم عليه. و فيه تعريض للقوم المغار عليهم، و كان المراد بكفرانهم كفرانهم بنعمة الإسلام التي أنعم الله بها عليهم و هي أعظم نعمة أوتوها فيها طيب حياتهم الدنيا و سعادة حياتهم الأبدية الأخرى"**[1]، وجاء هذا التقدِّيم للدلالة على شدَّة هذا الكفران الموصوف في الآية الشريفة[2] .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ فقد تقدَّم شبه الجملة (على ذلك) على متعلِّقه (شهيد)، وذلك المراد به وصفه بالكنود، **" فقدَّم السياق القرآنيَّ ما هو أعنى به من وصف كفران الإنسان وجحوده "**[3]، وقد دلَّ هذا التقدِّيم على تأكيد مضمون الآية السابقة كفران الإنسان لنعمة ربِّه وعدم شكرها . أي أنَّه **" يشهد على كنوده، ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره "**[4] .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ فقد تقدَّم فيه الجار والمجرور (لحبِّ الخير) على متعلِّقه (شديد) للدلالة عل توكيد مضمون الآيتين السابقتين اللَّتين وصفتا تعلُّق الإنسان بالدنيا وكفرانه لنعمة الله تعالى عليه .

---

(1) الميزان : ٢٠ / ٣٩٨

(2) ينظر : قصار السور دراسة أسلوبيَّة : ٩٧

(3) قصار السور دراسة أسلوبيَّة : ٩٧ .

(4) تفسير البحر المحيط : ٨ / ٥٠٢

****

وفي السورة نفسها تقدم متعلِّقان في جملة واحدة وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (العاديات) فقد تقدَّم شبه الجملة (بهم)، وظرف الزمان (يومئذٍ) على الخبر (خبير) وفي هذا دلالة على توكيد علم الله تعالى بعباده وسرائرهم ومدى خبرته في ذلك، وفيه أيضاً دلالة على تحذير الإنسان من سرائره الَّتي يظنُّها خافية بأنَّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء.

****

المبحث الثاني / الحذف

الحذف من الظواهر اللغويّة المهمَّة الَّتي تميزت بها اللغة العربيَّة، وقد وصفها ابن جنِّي مع التقديم والتأخير وغيرهما بأنَّه من شجاعة العربيَّة[١] وقد بيَّن ابن جنِّي ضابطة الحذف بقوله : **" قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة . وليس شيءٌ من ذلك إلَّا عن دليل عليه، وإلَّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته "**[٢]، فالحذف لا يجوز إلَّا عندما يدلُّ دليلٌ على وجود محذوف من الكلام؛ كيلا يتحول الكلام إلى فوضى لا يُعلم الحذف فيه من غيره فتشيع التقديرات والتأويلات الَّتي تفقد التعبير دقته ورونقه .

وقد وصفه الجرجاني بقوله : **" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن "**[٣]، وهو أسلوبٌ تعبيريٌّ يجعل للمتلقي دوراً أكثر في استنباط المعنى من تلقيه المباشر بالألفاظ الجاهزة الظاهرة، ويشحذ ذهنه لاكتشاف المعنى[٤]، فهو يحرك تفكيره للبحث عن المعنى المتواري خلف غطاء الحذف . وهو **" أحد المطالب الاستعماليَّة فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكوِّنة لهذا البناء ...... وقد يحذف أحد العناصر لأنَّ هناك قرائن معنويَّة أو مقاليِّة تومئ إليه وتدلُّ عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره "**[٥] .

---

[١] ينظر : الخصائص : ٣ / ٣٦٠ وما بعدها

[٢] المصدر نفسه : ٣ / ٣٦٠

[٣] دلائل الإعجاز : ١٤٦

[٤] ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د.عبد الفتَّاح لاشين : ٢٠٧

[٥] بناء الجملة العربيَّة : ٢٥٩

****

والحذف ظاهرة سياقيَّة يقررها النظام الكلامي، يقول الدكتور تمام حسَّان : **"المعنى الَّذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي .."**[١]

لقد وقع الحذف في السور المدروسة على ثلاث وحدات لغويَّة هي : (الأداة والمفرد، والجملة) وستبحث الدراسة في كلٍّ منها محاولةً استكناه الدلالة في كلِّ شكل من أشكال الحذف المتقدمة .

١- حذف الحرف

لم يرد هذا الشكل من الحذف في السور موضع الدراسة كثيراً فقد حُذف فيها حرفان الأوَّل هو حرف النداء في قوله تعالى :﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ **(الممتحنة)** فقد حُذف حرف النداء في الآية الشريفة مع المنادى (ربَّنا)، وكثر في القرآن الكريم حَذف حرف النداء مع (ربّ) المضافة[٢] . وقد علل مكي ابن أبي طالب القيسي (ت٤٣٥) هذه الكثرة بقوله : **" ونداء الربّ قد كثر حذف (يا) النداء منه في القرآن وعلة ذلك أنَّ في حذف يا من نداء الربّ تعالى معنى التعظيم له والتنزيه وذلك أنَّ النداء فيه طرف من معنى الأمر لأنك إذا قلت يا زيد فمعناه تعال يا زيد أدعوك يا زيد فحذفت يا من نداء الربِّ ليزول معنى الأمر وينقص؛ لأنَّ يا تؤكِّده وتظهر معناه وكان في حذف (ياء) التعظيم والإجلال والتنزيه للربّ فكثر حذفها في القرآن والكلام في نداء الربّ لذلك المعنى "**[٣] . أي أنَّ في هذا الحذف دلالة على التنزيه والتعظيم .

---

[١] اللغة العربيَّة معناها ومبناها : ٢٩٨
[٢] التأويل النحوي في القرآن الكريم ، د.عبد الفتَّاح أحمد الحمُّوز : ١ / ٨٢٤
[٣] مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٠٨

****

وهذا الحذف مشعر بقرب الله تعالى من عباده ورأفته بهم ولاسيَّما أنَّ المنادى (ربّ) فناسب الحذف بما يحمله من دلالة على القرب الرأفة في الربوبيَّة والرعاية من الربِّ المنادى لعباده الَّذين ينادونه .

يقول الشيخ الطوسي : **" وإنَّما حذف حرف النداء، لما كان أصله تنبيه المنادى، ليقبل عليك، وكان الله عز وجلَّ لا يغيب عنه شيء - تعالى عن ذلك -، سقط حرف النداء للاستغناء عنه"**[1] . ويُلحظ أنَّ حذف حرف النداء في الآيتين قد جاء في سياق التوكُّل على الله من قبل المنادِين، والله تعالى يقول : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(الطلاق: من ٣)، فأكَّد الحذف دلالة قرب الله تعالى من عباده الَّذين يتوكَّلون عليه ويسلمون له أمرهم في السرَّاء والضرَّاء .

حُذف حرف النداء مع (ربّ) في قوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾(المنافقون: ١٠) والحذف في قوله ((فيقول ربِّ لولا أخرتني))، وسياق الآية الشريفة يحثُّ على استغلال الوقت بالنفقة والعمل الصالح قبل حلول الموت، فيتمنى الإنسان أن يبقى لحظة ليعمل فيها صالحا . ومن السياق يُلمح دلالة الاستعجال في هذا الحذف فـ**" لم يقل: (يا ربّ) لأنَّ الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام فيأتي بـ (يا) بل يريد أن يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا حاجة له به ليفرغ إلى مراده "**[2] . وقد حُذف في النداء نفسه ضمير المتكلم (الياء) المضاف إلى (ربّ) وهذا يعضد القول بالدلالة على الاستعجال

---

[1] **التبيان في تفسير القرآن : ٢ / ١٧٠**
[2] **لمسات بيانيَّة في نصوص من التنزيل : ١٨٦ - ١٨٧**

****

والسعي لاستغلال الوقت بعد فوات الأوان، فهو يقتصد بالكلام قدر المستطاع لعلَّ طلبه يُستجاب قبل استحكام حلقة الموت وانقضاء الأمر .

أمَّا الحرف الثاني فهو (الباء) في قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ (الأعلى) ، فالتقدير ((سبِّح باسم ربِّك الأعلى)) والدليل على حذفه أنَّ التسبيح يعني التنزيه، والتنزيه إنَّما يكون لله تعالى لا لاسمه فالاسم غير المسمَّى، قال الزجَّاج (ت ٣١١) : **" أي نزِّه ربَّك عن السوء وقل سبحان ربِّي الأعلى "**[١] . وقد ورد في القرآن الكريم عدم حذف الباء مع فعل التسبيح في قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦ ﴾ (الواقعة)، فالمراد توظيف اسم الله تبارك وتعالى في عمليَّة التسبيح إذ نقول (سبحان الله)، وقد أكَّد القرآن الكريم على ذكر الاسم المقدَّس في الأذكار العباديَّة إذ يقول تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾ (المزمل)، ويقول (عزَّ اسمه) :﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ ﴾ (الإنسان)، وقد ذُكر التسبيح في القرآن الكريم لله لا لأسمائه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ ﴾ (الروم)، وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ ﴾ (الجمعة)، وغيرها من الآيات الَّتي جعلت التسبيح لذات الله لا لأسمائه .

وقال الفرَّاء : **" قوله عز وجل: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ و (باسم ربك). كل ذلك قد جاء وهو من كلام العرب "**[٢] ، أي أنَّ حذف حرف الجر محتمل .

ويُلحظ أنَّ السياق في السورة الشريفة يصوِّر قدرة الله تعالى وأعماله الَّتي يعجز البشر عن الإتيان بمعشار منها، فناسب حذف حرف الجر ودخول الفعل على اسم الله مباشرة هذا السياق الموحي بالتعظيم والتفخيم والتنزيه .

---

[١] معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٣١٥

[٢] معاني القرآن : ٣ / ٢٥٦

٢- حذف المفرد

حُذف المفرد في السور موضع الدراسة في مواضع عدة، ليفتح حذفه نافذة البحث في الملامح الدلاليَّة لهذه الظاهرة المهمَّة الَّتي توسِّع من دائرة المعنى على الرغم من أنَّها تضييق لدائرة اللفظ .

ومن مواضع حذف المفرد في السور موضع الدراسة قوله تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ **(الفاتحة)** فقد حُذف فيه متعلق الجار والمجرور (بسم الله)، وقد ذكر السهيلي من فوائد هذا الحذف **" أنَّه موطن ينبغي أن لا يقدَّم فيه سوى ذكر الله تعالى فلو ذُكر الفعل، وهو لا يستغني عن فاعله، لم يكن ذكر الله مقدَّماً، وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى، كما تقول في الصلاة الله أكبر، ومعناه من كلِّ شيء، ولكن يحذف ليكون اللفظ في اللسان مطابقاً لمقصود القلب، وهو أن لا يكون في قلبٍ ذكر إلا لله عز وجل "**[١] أي أنَّ في الحذف دلالة على التبرك بذكر الله تعالى من خلال افتتاح الكلام باسمه (عزَّ وجلَّ) .

وقد ذهب البصريُّون إلى أنَّ المتعلق المحذوف اسم تقديره ابتدائي، أمَّا الكوفيُّون فيرون أنَّه فعل تقديره ابتدأت[٢] .

وتعددت الآراء في تقدير المحذوف فالزمخشري صرَّح بأنَّه (أقرأ، أو أتلو)، وألمح على أنَّه (أبتدأ)[٣]، وقد ردَّ الشيخ البلاغي تقدير (أقرأ، أو أتلو أو أقول) بأنَّه يجعل السورة كلَّها مفعولاً لفعل القراءة، وعلى هذا يتعيَّن تقدير عامل آخر تتعلَّق به الباء ومجرورها[٤]

---

[١] نتائج الفكر في النحو : ٤٣
[٢] ينظر : كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ابن خالويه : ٩
[٣] ينظر : الكشَّاف : ١ / ٩٩ - ١٠٢
[٤] ينظر:آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي:١/ ٥١، والبيان في تفسير القرآن :٤٣٣

****

وقيل إنَّ الجار والمجرور متعلِّق بالاستعانة[1]، وقد ردَّ السيد الخوئي هذا القول بتقدير الاستعانة؛ لأنَّ المتحدث إمَّا أن يكون الله عزَّ وجلَّ أو العبد، فإن كان الله فهو تعالى لا يستعين حتَّى بأسمائه فالاستعانة من الحاجة وهو تعالى الغنِّيُّ الحميد . وأمَّا إذا كان المتحدث هو العبد فإنَّ استعانة العباد إنَّما تكون بالله تعالى لا بأسمائه؛ لأنَّ الاسم غير المسمَّى، والدليل أنَّ الله تعالى يقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾(الفاتحة)، ولم يقل ((نستعين باسمك))، وإنَّما جعل الاستعانة به هو تباركت أسماؤه[2] .

فتعيَّن لدى الشيخ البلاغي والسيد الخوئي أن يكون المحذوف (أبتدأ)، **"وطبيعي أنّ البدء باسم الله الذي تفوق قدرته كل قدرة، يبعث فينا القوة، والعزم، والثقة، والاندفاع، والصمود والأمل أمام الصعاب والمشاكل، والإخلاص والنزاهة في الحركة. وهذا رمز آخر للنجاح، حين تبدأ الأعمال باسم الله "**[3] .

وقد جعل الزمخشري تقدير الابتداء بعد (بسم الله) لا قبلها، وعلل هذا بقوله : **" لأنّ الأهم من الفعل والمتعلِّق به هو المتعلَّق به؛ لأنَّهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم اللات، باسم العزَّى، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزّ وجلّ بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله : ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ)) ، حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص "**[4] .

ويمكن تقدير (أسبِّح) لأنَّ الله تعالى يقول ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٩٦﴾(الواقعة)، أو أدعو، فالله تعالى يقول :﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ

---
[1] ينظر : روح المعاني : ١ / ٤٧
[2] ينظر : البيان في تفسير القرآن : ٤٣٣
[3] الأمثل : ١ / ٢٨
[4] الكشَّاف : ١ / ١٠١ ـ ١٠٢

****

سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الأعراف) . ويمكن تقدير هذه الأفعال جميعهاً أي (أبتدأ، أو أقرأ، أو أتلو) فالله تعالى كريم قادرٌ على كلِّ شيء .

ومن مواضع حذف الفعل في السور موضع الدراسة قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾ (الشمس) إذ حُذف الفعل الناصب لقوله ((ناقة الله وسقياها)) أي فاحذروا التعرض لها[١]، وقال الزمخشري : **" و (نَاقَةَ الله) نُصب على التحذير، كقولك الأسد الأسد، والصبي الصبي، بإضمار : ذروا أو أحذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها "**[٢] وذكر السيوطي أنَّ حذف الفعل في الآية الشريفة للتحذير والإغراء، أي احذروا ناقة الله والزموا سقياها[٣]، وعلَّق محقق الإتقان على هذا الرأي قائلا : **" لم نقف على من أشار إلى نصب (سقياها) بالإغراء، ولا يناسب المعنى، بل يعطي عكس المراد، والمقصود والله أعلم التحذير من أن يسقوا إبلهم من الماء في يوم نوبتها، فـ(سقياها) معطوف على التحذير "**[٤]، وقد ذكر ابن خالويه هذا الرأي إذ يقول : **" (ناقة الله) نُصب على التحذير والإغراء "**[٥]، وذكره أيضا ابن معصوم[٦] (ت١١٢٠)، وعلى هذا الرأي يكون المحذوف من الجملة فعلين هما (احذروا، والزموا) .

ولعلَّ الرأي الأوَّل أرجح أي تقدير التحذير فقط دون الإغراء؛ وذلك أنَّ القرآن الكريم قد أخبر بقصة ناقة صالح (عليه السلام) في ثلاث آياتٍ أُخر، وبتفصيل أكثر ولم تنبأ الآيات الشريفة بأمر من الله لهم بسقاية النـاقة، وإنَّما أشارت إلى التحذير من

---

[١] ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٠٤ ، و التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٤٧
[٢] روح المعاني : ٣٠ / ١٤٥
[٣] ينظر : الإتقان : ١٦٠٠ ، والطراز ، يحيى بن حمزة العلوي : ٢ / ١٠١ ،
[٤] المصدر نفسه : هامش : ٤
[٥] إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ١٠٤
[٦] ينظر : أنوار الربيع في ألوان البديع ، ابن معصوم : ٦ / ٢٤٢ - ٢٤٣

****

الاعتداء عليها والمساس بها، والآيات هي : قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾ (الأعراف)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) ﴾ (هود)، وقوله تعالى :﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦) ﴾ (الشعراء) وهذه الآيات تشير إلى الأمر بتركها والتحذير من المساس بها، ولم يرد فيها أمرٌ بأن يلزموا سقايتها .

ولاسيَّما أنَّ قوله ((لها شربٌ ولكم شربٌ)) أقرب إلى التحذير من الإغراء فالنبي صالح (عليه السلام) يقسِّم وقت السقي بينهم وبين الناقة، والكلام يتضمَّن أمراً بعدم التعدِّي على يوم سقاية الناقة وهذا ما توحي به كلمة (معلوم) .

وسياق الكلام " **يشير إلى أنَّ هذا المفعول المذكور منهي عن المساس به، بأي نوع من أنواع الأذى، ففي حذف الفعل تعميم، لا يتأتى إذا ذكر فعل بعينه**"[١] .

يتضح مما سبق أنَّ الحذف في الآية الشريفة دلَّ على التحذير من التعدي على الناقة بأيِّ فعل كان، وأنَّ في التعبير دلالة على التحذير والعموم.

ومن مواضع الحذف الأخرى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) ﴾ (الجمعة) الآية الشريفة تصف نعمة الله تعالى على (الأميِّين) إذ بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وآله يعلِّمهم ما لم يكونوا يعلمون، ويخرجهم من الضلالة إلى الهدى . والحذف في قوله ((من قبلُ لفي ضلال مبين))، فقد حُذف المضاف إلى (قبل) على غير نيَّة التقدير اللفظي

[١] من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي : ٩٧

****

إذ إنَّ (قبل) من الظروف الَّتي يسميها النحاة (الغايات) ولها أربع حالات في الإضافة، تُبنى في ثلاث منها، وتعرب في الرابعة وهي هذه الحالة الَّتي يحذف فيها المضاف إليه ويُنوى تقديره معنى لا لفظا، قال المبرِّد : **" فأمَّا الغايات فمصروفة عن وجهها؛ وذلك أنَّها مما تقديره الإضافة؛ لأنَّ الإضافة تعرِّفها وتحقق أوقاتها، فإذا حذفت منها، وتركت نياتها فيها، كانت مخالفة للباب معرَّفةً بغير إضافة، فصرفت عن وجوهها، وكان محلُّها من الكلام أن يكون نصباً أو خفضاً. فلمَّا أزيلت عن مواضعها ألزمت الضمَّ، وكان ذلك دليلاً على تحويلها، وأنَّ موضعها معرفة . وإن كانت نكرةً أو مضافةً، لزمها الإعراب وذلك قولك: جئت قبلك، وبعدك، ومن قبلك، ومن بعدك، وجئت قبلاً وبعداً، كما تقول أولاً وآخراً. فإن أردت قبل ما تعلم فحذفت المضاف إليه قلت: جئت قبل وبعد، وجئت من قبل ومن بعد . قال الله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾، و﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ وكذلك جئت من علو، وصب عليهم من فوق، ومن تحت يا فتى إذا أردت المعرفة. وكذلك من دون يا فتى "**[1] .

والغايات من الوحدات اللغويَّة الَّتي يكثر فيها حذف المضاف إليه[2] . والمراد من الآية الشريفة **" وإن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته، ((لفي ضلال مبين)) "**[3]، ومن دلالات الحذف التعظيم والتفخيم، لأنَّ الذهن يكدُّ في البحث عن المحذوف ومحاولة تصوره فيدرك عظمته وسمو مكانته[4]، والمتأمِّل في هذه الآية الشريفة يحار للوهلة الأولى في المحذوف المضاف إلى (قبل)، وبعد تأمُّلٍ في سياق الآية ومضمونها يكتشف المراد ويصل إلى المقصود، ففي هذا الحذف دلالة على تعظيم البعثة النبويَّة .

---

(1) المقتضب : ٣ / ١٧٤ ـ ١٧٥
(2) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي : ٢ / ١٦٢٥
(3) جامع البيان : ٧ / ٣٦٩
(4) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٠٤

****

وسياق الآية الَّذي يصف حالهم من الضلال المبين، يوحي بدلالة التنزيه للرسول (ﷺ) وبعثته المباركة، إذ نزَّه الله تعالى رسوله الكريم ورسالته الطاهرة من الاقتران بذكر الضلال المبين، فعمد إلى حذف ما يدلَّ على هذا، والاكتفاء بقرائن السياق الَّتي تدلُّ على المحذوف فذكر البعثة في مُفتتح الآية وبيان الغاية منها وهي التزكية وتلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة، كلُّها قرائن يمكن من خلالها معرفة المضاف إلى (قبل) المحذوف من الجملة .

وقد ورد حذف المضاف إليه أيضا في قوله تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ (التين) **" والخطاب في قوله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ للإنسان، على طريقة الالتفات، أي : فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع، والبرهان الساطع بالجزاء، والمعنى : إنَّ خلق الإنسان من نطفةٍ، وتسويته بشراً سويًّا، وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، ثمّ تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلاً أوضح منه على قدرة الخالق، وأنَّ مَن قدر على خلق الإنسان على هذا النمط العجيب لم يعجز عن إعادته، فما سبب تكذيبك بالجزاء؟! أو : بالرسول (ﷺ) : أي : فمَن ينسبك إلى الكذب بعد هذا الدليل القاطع "**[1]، وقد حذف في الآية الشريفة المضاف إلى (بعد) وفي هذا دلالة على تعظيم المحذوف وتفخيمه، وهو قدرة الله تعالى ودلائل ربوبيَّته الَّتي وصفتها السورة الشريفة في الآيات الَّتي سبقت هذه الآية. والمتأمِّل في سياق السورة الشريفة يجده يؤكد دلالة التعظيم والتفخيم بالنسبة للمحذوف، إذ إنَّ المحذوف هو ما بيَّنه قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ (التين) ويُلحظ أنَّه المقسم عليه في الأقسام الأربعة الَّتي افتُتحت بها السورة

---

[1] البحر المديد : ١ / ٧

****

الشريفة، وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ (التين) فهذه الأقسام تدلُّ على عظمة المقسَم عليه وأهميته، ومن ثمَّ جاء قوله تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ الدالُّ على عظمة المحذوف، لتتعاضد الدلالتان على بيان عظمة قدرة الله على خلق الإنسان وتقليبه لحاله من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين .

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ﴾ (التغابن) الآية الشريفة تحمل تحذيراً للمخاطبين من خلال التساؤل بإنكار عن حال الَّذين كفروا من قبل وعلم المخاطبين بما آلَ إليه أمرهم من وبال مهلك في الدنيا وعذاب أليم في الآخرة فهي تحمل تحذيراً بأن يصيب الكافرين ما أصاب غيرهم، وتعجباً بعدم الاتِّعاظ بأحوال الأمم السابقة .

وقد **" حُذف ما أضيف إليه (قبلُ) ونوي معناه، والتقدير : من قبلِكم، أي في الكفر بقرينة قوله: ((فمنكم كافر)) "**[1]، وفي المحذوف إشارة إلى الأزمنة الَّتي مضت من قبل وعاث بها الكافرون فساداً، وفي هذا الحذف دلالة على العموم أي عموم الأزمنة الَّتي مضت والأمم الَّتي كفرت بالله في كلِّ زمان من تلك الأزمنة.

ويُلمح من السياق دلالة التحقير والتصغير لهؤلاء الكافرين الَّذين دعت الآية الشريفة المخاطبين إلى الاتِّعاظ بمصيرهم، من خلال حذفهم وعدم ذكرهم .

وقد حُذف الضمير الواقع في محلِّ جرٍّ بالإضافة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ (الصف: من٥) والحذف في قوله ((يا قوم)) إذ حذف ضمير المتكلم (الياء)، وقد علل الشيخ

---

[1] تفسير التحرير والتنوير : ٢٨ / ٢٦٨

****

الطوسي حذف الياء بقوله : **" وحذفت ياء الإضافة من قوله (يا قوم) اجتزاءً بالكسرة منها وهو في النداء أحسن من إثباتها لقوَّة النداء على التغيير "**(١)، ويُلحظ أنَّ هذا الحذف جاء في سياق تعبير موسى (عليه السلام) عن تأذيه من قومه ومعاتبته إياهم بتحسر، وحذف الضمير العائد على النبي موسى (عليه السلام) من (قوم) والمراد به بنو إسرائيل الَّذين آذوه، يوحي بدلالة الانفصال والتباعد بين النبي (عليه السلام) وقومه الَّذين يعاتبهم في الآية الشريفة وتجرع منهم غصصاً كثيرةً .

وأكثر العناصر حذفا في القرآن الكريم هو المفعول به، إذ **" يَكْثُرُ كثرةً مفرطةً يَصْعبُ على من يرومُ جمعه أن يحوي جميع ما جاءَ منه "**(٢) وقال الجرجاني في حديثه عن حذف المفعول : **" فإن الحاجة إليه أمسُّ، وهو بما نحن بصدده أخصّ، واللطائفُ كأنَّها فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجبُّ وأظهر "**(٣)، وقال السلجماسي : **" ..فحذفه مهيع(*) من كلام العرب، طافحة به اللغة والقرآن، وليس يحصى كثرة "**(٤) .

وللسور المدروسة نصيبها الوافر من حذف المفعول، ممَّا ولَّد دلالات تزخر بالجمال التعبيري والدقة في توظيف الظواهر اللغويَّة لتملأ أفق النص رونقا وجمالاً تعبيريًّا يبرهن على إعجازه وسمو بلاغته .

وأكثر ما يحذف المفعول في القرآن الكريم مع فعل المشيئة(٥)، وقال الجرجاني في دلالة هذا الحذف : **" وإذا استقريت وجدت الأمر كذلك أبداً متى كان**

---

(١) التبيان في تفسير القرآن : ٥ / ٤١٤
(٢) حذف المفعول به في القرآن الكريم دراسة نحويَّة دلاليَّة ، سعد حسين عبد الله العبيدي ، رسالة ماجستير ، كليَّة التربية – جامعة تكريت : ٢
(٣) دلائل الإعجاز : ١٥٣
(*) من هاع يهيع اي انتشر.
(٤) المنزع البديع : ٢٠٢
(٥) ينظر : البرهان : ٣ / ١٦٨

****

مفعول المشيئة أمراً عظيماً أو بديعاً غريباً، كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر. يقول الرجل يخبر عن عزة : ((لو شئت أن أرد على الأمير رددت))، و((لو شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيت)). فإذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف كقولك: ((لو شئت خرجت))، و ((لو شئت قمت))، ولو شئت أنصفت، ولو شئت لقلت. وفي التنزيل:﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾"[١] .

وقول الجرجاني هذا لا يطَّرد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ (المزمل) فقد حُذف في الآية الشريفة مفعول (شاء)، والمحذوف هو اتخاذ السبيل إلى الله تعالى، قال الآلوسي : " أي فمن شاء اتخاذ سبيل[*] إلى ربِّه تعالى اتخذ "[٢]، وقال السيد الطباطبائي : " مفعول (شاء) محذوف و المعروف في مثل هذا المورد أن يقدر المفعول من جنس الجواب و السياق يلائمه، و التقدير فمن شاء أن يتخذ إلى ربِّه سبيلاً اتخذ إلخ، و قيل: المقدَّر الاتِّعاظ، و المراد باتِّخاذ السبيل إليه اتِّخاذ السبيل إلى التقرب منه، و السبيل هو الإيمان و الطاعة هذا ما ذكره المفسرون "[٣] . فالمحذوف (اتِّخاذ السبيل إلى الله) أمرٌ عظيم له مكانة عالية في النِّهج الإسلامي وأهميَّة كبيرة في حياة المسلمين، وهذا يتناقض تماماً مع قول الجرجاني : " فإذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف"[٤] ، وقد دلَّ الحذف في الآية الشريفة على الاختصار والإيجاز إذ إنَّ المحذوف واضح من خلال السياق، وزيادة على هذه الدلالة أفاد الحذف أيضاً دلالة التعظيم للمحذوف والإكبار من شأنه . وهو يفيد أيضاً اتِّساق النص من

---

(١) دلائل الإعجاز : ١٦٥ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٧٢ - ١٧٣

(*) هكذا في المصدر، والصواب (سبيلا) .

(٢) روح المعاني : ٢٩ / ١١٠

(٣) الميزان : ٢٠ / ٧٦

(٤) دلائل الإعجاز : ١٦٥

****

خلال ربط فعل المشيئة بما سبقه من معنى يتعلق به المحذوف، ويُقدَّر من جنسه[١] .

والآية الشريفة **" إنذار للناس بأنَّ التذكر بالقرآن يحصلُ إذا شاؤوا التذكر به. والمشيئة تستدعي التأمل فيما يخلِّصهم من المؤاخذة على التقصير وهم لا عذر لهم في إهمال ذلك "**[٢] .

ومن مواضع حذف مفعول المشيئة في السور موضع الدراسة قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ (الجمعة) وقد اختُلف في من يعود عليه اسم الإشارة؛ فيكون المقصود بالفضل ويتعلق به فعل المشيئة، فذهب النحَّاس (ت٣٣٨) إلى أنَّ المقصود به الأميين الَّذين بُعث الرسول محمد (ﷺ) إليهم[٣]، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (آل عمران)[٤]، فالآية الشريفة تؤيد أن يكون فضل الله تعالى الوارد في سورة الجمعة مقصودا به الَّذين بعث الله سبحانه وتعالى إليهم نبيَّه (ﷺ) .

وقال الشيخ الطوسي : **" (ذلك) إشارة إلى بعث الرسول بيَّن الله تعالى إنَّ إرساله الرسول (فضل) من (الله) ونعمة (يؤتيه) أي يعطيه (من يشاء) بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة، وتحمل أعباء الرسالة (والله ذو الفضل العظيم) على عباده بما يفعل بهم من التفضل والإحسان ساعة بعد ساعة "**[٥] . وقد ورد هذا المعنى

---

(١) ينظر : القرائن العلائقيَّة وأثرها في الاتساق سورة الأنعام أنموذجا، سليمان بوراس، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب - جامعة الحاج خضر باتنه - الجزائر : ١٤٣
(٢) تفسير التحرير والتنوير : ٢٩ / ٣٣٢
(٣) ينظر : إعراب القرآن : ٤ / ٤٢٦
(٤) ينظر : اضواء البيان : ٨ / ١٩٤
(٥) التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣

****

في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء) [(١)]، فالآية الشريفة تصرف الفضل في سورة الجمعة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) .

ويمكن احتمال كلا الرأيين ففضل الله تعالى واسع ونعمته سابغة على عباده جميعاً، وقد جاءت الآية الشريفة على ذكر الفضل بعدما حدَّثت بنعمة الله تعالى على عباده إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة بعدما كانوا قبل هذا في ضلال مبين . والحديث متضمن لفضل الله تعالى على نبيِّه إذ اجتباه بالرسالة وخصَّه بالفضل فبعثه في قومه معلماً ناصحاً مزكيَّاً داعياً إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد حُذف في الآية الشريفة مفعول (شاء)، وجملة (شاء) هي صلة الموصول (من) فحُذف ضمير الصلة العائد على الموصول، وفي هذا الحذف دلالة على العموم ولإطلاق، إذ إنَّ فضل الله تعالى واسع لا يُحدُّ ولا يُعدُّ وقد وصفه الله تعالى في الآية الشريفة وغيرها من الآيات بالفضل العظيم، وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(الأعراف من :١٥٦) .

وقد ورد حذف مفعول المشيئة أيضاً في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ (الانفطار) والآية الشريفة في عتاب الإنسان على انخداعه بخدع الشيطان وسيره في طريقه بعيداً عن صراط الله تعالى، والله هو الَّذي خلقه فسوَّاه فعدله في أحسن تصوير وأتم إتقان .

والحذف في قوله تعالى : ((في أيِّ صورة ما شاء ركَّبك))، وقد حُذف في الآية الشريفة مفعول (شاء) " **والمعنى: في أيِّ صورة شاء أن يركِّبك - ولا يشاء**

(١) ينظر : أضواء البيان : ٨ / ١٩٤

****

إلَّا ما تقتضيه الحكمة - ركَّبك من ذكر وأنثى وأبيض وأسود وطويل وقصير ووسيم ودميم وقوي وضعيف إلى غير ذلك وكذا الأعضاء المشتركة بين أفراد الإنسان المميزة لها من غيرها كاليدين و الرجلين و العينين و الرأس والبدن واستواء القامة و نحوها فكل ذلك من عدل بعض الأجزاء ببعض في التركيب قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (التين:٤) والجميع ينتهي إلى تدبير الربِّ الكريم لا صنع للإنسان في شيء من ذلك "[1]، وقد فتح حذف المفعول في الآية الشريفة آفاق التقدير والاحتمال في تصور المفعول المحذوف، من خلال التدبُّر في تعدد صور الخلق على وجه المعمورة وتباين أشكالها، ومثل هذا الشكل من الحذف **" يجعل النص مطلقاً قابلاً ما لا نهاية من التقديرات والمحدِّدات "**[2]، ففي هذا الحذف دلالة على العموم والإطلاق .

ويُلمح فيه أيضاً دلالة التعظيم من خلال دعوة الإنسان إلى التأمِّل في الصورة الَّتي خلقه الله بها واختلافها عن صورة غيره مما يدلُّ على عظيم قدرة الله وكمال مشيئته، وقد وصف الله تعالى خلق الإنسان في قوله جلَّ جلاله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **(التين)**

وقد حُذف مفعول المشيئة أيضاً في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ **(الأعلى)** والمحذوف يتعلَّق بالنسيان الّذي وعد الله رسوله أن يمنعه عنه إلَّا ما استثني، والمراد بالاستثناء بيان قدرة الله تعالى على الإنساء، لا أنَّ الله تعالى ينسي رسوله ما أقرأه أي أنَّ المشيئة غير متحققة[3]، قال الفرَّاء : **" لم**

---

[1] الميزان : ٢٠ / ٢٤٩
[2] أسلوبيَّة اللغة عند نازك الملائكة ، جبار هليل المياحي، أطروحة دكتوراه ، كليَّة التربيَّة (صفي الدين الحلي) - جامعة بابل : ٢٠٤
[3] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٣٠٠

****

يشأ الله أن ينسى شيئا فهو كقوله ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ ولا يشاء. وأنت قائل في الكلام : لأعطينَّك كل ما سألت إلَّا ما شئت وإلَّا أن أشاء أن أمنعك، والنية ألا تمنعه، وعلى هذا مجاري الأيمان يستثنى فيها ونيَّة الحالف التمام "[١] .

ويُستلهم من السياق دلالة الحذف في الآية الشريفة على التقليل من شأن نسيان الرسول (ﷺ) وهذه الدلالة توحي برعاية الله لرسوله وتسديده إيَّاه وعدم خذلانه .

وقد حذف المفعول في السور موضع الدراسة مع غير فعل المشيئة في مواضع عدَّة، منها : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ **(الممتحنة)** تتعرَّض الآية الشريفة **" إلى حكم المهر الَّذي دفعه الزوج المشرك إلى زوجته المؤمنة الَّتي هاجرت إلى المسلمين، فاعتبار أنَّ هذه الهجرة كانت مذكورة ضمن صلح الحديبيَّة، لذا قرَّر القرآن الكريم بعد قطع العلاقة الزوجيَّة إرجاع المهر إلى ذلك الزوج المشرك وكلِّ ما أنفق في زواجه بعنوان المهر وغيره "[٢]**، وهذا الأمر انطلاقاً من ثوابت الإسلام في الوفاء بالعهد وحفظ حقوق الآخرين[٣] .

---

[١] معاني القرآن : ٣ / ٢٥٦
[٢] تفسير سورة الممتحنة : ١٠١
[٣] ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩ / ٢٦

****

وقد دلَّ الحذف في الآية الشريفة على العموم والإطلاق فلم تحدِّد الآية الشريفة مقدار ما أنفق الأزواج، وإنَّما جعلته عامَّاً مطلقاً، ولاسيَّما مع مجيء جملة (أنفقوا) صلةً لما الموصولة الَّتي تدلُّ على الإطلاق والعموم .

وقد ورد هذا المعنى في موضعين آخرين من السورة نفسها وهما : قوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ﴾(الممتحنة: من١٠)، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾ (الممتحنة: ١١) وهذا التكرار في السورة نفسها - إذ يتكرَّر المعنى ثلاث مرَّات ويُلحظ أنَّ الموضعين الأوَّل والثاني قد وردا في الآية نفسها - إنَّما يدلُّ على شدة تأكيد القرآن الكريم على حفظ حقوق الآخرين وأدائها إليهم، وإن كان الآخر كافرا، يقول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (عليه السلام) - في كتابه لمالك الأشتر(رضي الله عنه) يوصيه فيه بالناس - : **" فإنّهم صنفان، إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق "**[1]، ومن لطيف ما يُلتفت إليه في التعبير أنَّ الله تعالى يقول : ((وليسألوا ما أنفقوا)) سبحانك ربِّي ما أكرمك، فالله تعالى لا يكتفي بحفظ حقوق الكافرين وردِّها إليهم، وإنَّما يطلب منهم أن يسألوا حقوقهم .

هذا هو المنهج الإسلاميُّ السليم الَّذي يؤسِّس لمبدأ التعايش السلمي بين أفراد البشر والحفاظ على كرامة الإنسان وعدم هدر حقوقه مهما كان توجهه واعتقاده .

ومن مواضع حذف المفعول أيضاً قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ (الصف) الآية الشريفة **" بيانٌ لغاية قبح ما فعلوه "**[2] ، والسياق

---

[1] شرح نهج البلاغة : ١٧/ ٣٢
[2] تفسير أبي السعود : ٥ / ٣٢١

****

في الآية الشريفة طافح بالتقبيح والاستهجان، وقد حذف فيها مفعول الفعل (تفعلون)، وقد سُبقت الآية بالمعاتبة في الآية الَّتي سبقتها إذ يقول تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ ﴾ (الصف)، وسبب المعـاتبة والاستهجان أنَّهم يقولون ما لا يفعلون، وحذف المفعول من الفعل (يفعلون) يوحي بالدلالة على انعدام مطابقة أفعالهم لأقوالهم، وبقاء وعودهم حبيسة سجن القول لا تلج فضاء التطبيق، والوفاء بما وعدوا وعاهدوا أنفسهم به من نوايا أفعال وأدوها في حيِّز الكلام .

وزيادة على هذا فإنَّ في التعبير بحذف المفعول في الآية الشريفة دلالة على العموم والإطلاق أي أنَّ الله يمقت كلِّ قولٍ تقولونه لا يجد منكم له فعلاً.

وتتجلى دلالة العموم والإطلاق في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ ﴾ (الجمعة) فقد حُذف في الآية الشريفة مفعول (تعملون)، وجاء هذا الحذف في سياق ردِّ المخاطبين إلى الله تعالى وإنبائه إيَّاهم بأعمالهم ليحاسبهم عليها، وقد عبَّر القرآن الكريم عن الله تعالى بـ(عالم الغيب والشهادة) ليبيِّن أنَّه تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض إلَّا يعلمه .

فحُذف المفعول للدلالة على شمول علم الله تعالى وسعة قدرته فهو يعلم كلَّ ما يجرح عباده لا تخفى عليه الأمور ولا تلتبس .

وزيادة على ما تقدم فقد اقترن الفعل (يعلمون) بالموصول المطلق (ما)، فأكَّد هذا دلالة الحذف على العموم والإطلاق، **" أي فيخبركم بأعمالكم كلِّها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها أجمع "**[١] .

---

[١] التبيان في تفسير القرآن : ٥ / ٢٧٥

****

ومثل هذا المعنى في سورة التغابن إذ يقول تعالى : ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ (التغابن) فقد حُذف مفعولا الفعلين (تسرُّون، وتعلنون) للدلالة على سعة علم الله تعالى وإحاطته بكلِّ شيء، فهو خالق كلِّ شيء ولا يخفى عليه شيء من خلقه .

ويؤكد هذه الدلالة أنَّ الآية الشريفة أنبأت بأنَّ الله تعالى يعلم ما في السماوات وما في الأرض، زيادة على وقوع الجملة صلةً للموصول (ما) .

وقد منح الله تعالى العلم بأعمال عباده وعدم خفاء شيء منها الملائكة الَّذين أوكل إليهم مهمَّة تسجيل أعمال العباد لتكون حجة عليهم يوم الحساب . وقد حذف المفعول لإفادة الدلالة على هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (الانفطار) فحذف مفعول (تفعلون) يوحي بالدلالة على سعة إحاطة الملائكة الحافظين بأعمال بني آدم، فلا يفوتهم منها شيء .

ويُلحظ في هذه المواضع أنَّ المفعول المحذوف فيها، يمثل العائد على الموصول من جملة الصلة الَّذي يربط بين الصلة وموصولها، وفي حذفه مع (ما، ومن) الموصولتين - اللّتين تدلَّان على الإطلاق - إغراقٌ في دلالة الإطلاق فيهما، وتأكيد لها .

واستكمالاً للتأمُّل في مواضع هذا الحذف الشائع في التعبير القرآني، وشواهده في السور موضع الدراسة، نقف عند قوله تعالى :﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾(الكافرون)، والآية الشريفة في تحدي الكافرين في الثبات على عبادة الله تعالى، وقِلى عبادة الأصنام، وقد حُذف في الجملة مفعول الفعل (تعبدون)، وهو

****

الضمير العائد الَّذي يربط الموصول بصلته، وقيل إنَّ الهاء حذفت للاختصار[1]، و يرى سيبويه أنَّ الضمير العائد الواقع مفعولاً يحذف من جملة الصلة تجنباً للتطويل[2] **" ويبدو أنَّ حذف الضمير إتجاهٌ تخفيفيٌّ عامٌّ على مستوى التركيب العربي، وخاصة إذا كان هاءً أو كافاً، ويرتبط هذا بالنطق فثقلهما النطقي أباح حذفهما، بالإضافة إلى أنَّهما كثيراً ما يكونان فضلة في الكلام، فيُسَّهل ذلك حذفهما من جملة الصلة والصفة والخبر "[3] .**

وسياق التحدي والمواجهة مع عقيدة الكفر الَّذي هيمن على السورة الشريفة يلقي بظلاله على حذف المفعول في الآية الشريفة، فحذف المفعول من فعل العبادة المسبوق بالنفي يدلُّ على النفي المطلق لعبادة غير الله تعالى **" فقد حُذف العائد من الفعل في الآية للدلالة على أنَّ نفي العبادة من الرسول (ﷺ) لما يعبدونه هو أعمُّ من هذه الأصنام الَّتي لا تعقل ولا تسمع ولا تضرُّ ولا تنفع، إذ لو ذُكر العائد لصار منصبًّا على عبادتهم لصنم أو أصنام بعينها، وإنَّما المراد نفي عبادتهم بأشكالها وألوانها، عبادة الأصنام وما خيَّم عليها من الشهوات، وما هم به من الكبرياء على الله، بل يتبرأ بهذا أيضاً عمَّا يعبدونه ويخضعون له من المال والدور وغيرهما، فهم ليسوا عبيداً للأصنام فحسب وإنَّما هم عبيدٌ لكلِّ هذا ... "[4] .**

ومن المواضع الأخرى الَّتي حُذف فيها المفعول في السور موضع الدراسة قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (التحريم)، والحذف في

---

[1] ينظر : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : ٢٢٨
[2] ينظر : الكتاب : ١ / ٨٦ - ٨٧
[3] ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، د. أحمد عفيفي : ٣٢٠
[4] الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز دراسة بلاغيَّة ، د.مختار عطيَّة : ٣٠٩ - ٣١٠

جملة ((اغفر لنا)) فقد حُذف في الجملة مفعول الفعل (اغفر)، والكلام حكاية عن المؤمنين الَّذين وعد الله بأنّه لا يخزيهم، ووصفتهم الاية الشريفة بأنَّ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ودعائهم بأن يُتمَّ الله تعالى لهم نورهم ويغفر لهم . والتقدير ((اغفر لنا ذنوبنا))، وفي حذف المفعول من فعل المغفرة دلالة على العموم إذ يسأل المؤمنون ربَّهم أن يغفر لهم جميع ما صدر منهم من ذنوب استغلالاً لفرصة وقوفهم في ساحة العفو الإلهي والتماساً لسعة رحمته (عزَّ وجلَّ) .

وثمَّة دلالة أخرى تُلمح في هذا الحذف تُستمدُّ من وقوف المؤمنين بين يدي ربِّهم يوم القيامة وقد شملهم بعفوه ورضوانه، ولهم ذنوبٌ يعلمون أنَّ الله أعلم بها منهم، فيوحي هذا بدلالة الاستحياء من الله تعالى في حذف المفعول، فهم خجلون من ذكر ذنوبهم في حضرة القدس الإلهي، ولاسيَّما أنَّهم يرون صدق وعده إيَّاهم وعظيم نعمه عليهم وجزيل امتنانه، فيقفون خجلين منه يسألونه المغفرة لهم، ولكن لا يصرِّحون بذكر الذنوب حياءً منه تبارك وتعالى فيكتفون بطلب المغفرة منه وهو أرحم الراحمين .

ويستمرُّ بنا الحديث عن حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (التغابن) فقد حذف ضمير الصلة الواقع مفعولاً لـ(أنزلنا) والمقصود به القرآن الكريم، قال الشيخ الطوسي : **" يعني القرآن، سمَّاه نوراً لما فيه من الأدِّلة والحجج الموصلة إلى الحق فشبَّهه بالنور الذي يُهتدى به على الطريق "**[1]، وقد سُبقت الجملة بالأمر بالإيمان بالله ورسوله، وتلاه الأمر بالإيمان بالنور الّذي أنزله تعالى، ولعلَّ في حذف المفعول من الآية الشريفة دلالة على التركيز عل فعل الإنزال من الله تعالى والإيمان به، فالمراد بالأساس هو الإيمان بالله تعالى، فإذا آمنَّا به فقد آمنَّا بكلِّ ما يأتينا منه تسليماً منَّا بحكمته وسداد

---

[1] **التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ١٨**

****

أفعاله . فذكرت الاية الشريفة الفعل مجرَّداً عن المفعول للدلالة على أهميَّة الفعل في سياق الأمر بالإيمان والتسليم لله تبارك وتعالى .

ولا تبعد دلالة الإطلاق والعموم في الآية الشريفة، إذ يأمر الله تبارك وتعالى بالإيمان بكلِّ ما أنزل على أنبيائه، فقد تعبَّدنا بالإيمان بجميع الأنبياء لا الاقتصار على نبيِّنا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، قال تعالى - في وصف المتَّقين - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (البقرة) .

وانتقالاً إلى البحث في دلالة حذف عنصر آخر نقف عند حذف المبتدأ، ويقول ابن هشام : **" يكثر ذلك في جواب الاستفهام نحو ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ ﴾ أي هي نار .**

-﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ﴾ .... "[١]، وفي مثل هذا الحذف إسراع في الوصول إلى الخبر بعدما شوَّق إليه الاستفهام الَّذي يتقدَّم الجملة[٢] .

وقد ورد الموضعان في السور موضع الدراسة، ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ (الهمزة) فقد حُذف المبتدأ من جملة (نار الله)، قال أبو السُّعود : **" (نَارُ الله) خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ والجملةُ بيانٌ لشأنِ المسؤولِ عَنْها أيْ هيَ نارُ الله "**[٣]، وقد جاء هذا الحذف في سياق التهويل والتفخيم الَّذي يحدثه الاستفهام[٤]، وهذا التهويل يولِّد شوقاً في المتلقي إلى معرفة هذه (الحطمة) الَّتي هُوِّل أمرها، فيأتي حذف المبتدأ اختزالاً للكلام بغية الوصول لبيان أمرها وتجليَّة حالها، وهو يحمل تعظيماً لها وتفخيماً يناسبان ما مُهِّد به لها من تهويل وتفخيم .

---

[١] مغني اللبيب : ٦ / ٤٤٠ - ٤٤١

[٢] ينظر : من بلاغة القرآن : ١٢٠

[٣] تفسير أبي السعود : ٥ / ٥٧٥

[٤] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٨٨

****

٣- حذف الجملة

تشكِّل الجملة الكيان المركزي في التراكيب اللغويَّة فهي المحور الَّذي تدور في فلكه المعاني والدلالات المتعدِّدة، ولا يخفى ما لحذفها من أثر في دلالة النص، وجماليَّة التعبير، يقول العلوي : **" اعلم أنَّ حذف الجمل له في البلاغة مدخل عظيم، وأكثر ما يرد في كتاب الله تعالى، وما ذاك إلَّا من أجل رسوخ قدمه، وظهور أثره واشتهار علمه "**[١] .

ومن مواضع حذف الجملة في السور موضع الدراسة حذف جواب الشرط من قوله تعالى :﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ (التحريم: من ٤) فقد حُذف جواب الشرط وتقديره (قبلت توبتكما)، وأقيم مقامه السبب الباعث على التوبة وهو قوله ((صغت قلوبكما))[٢]، والشرط متضمنٌ معنى الأمر، فالله تعالى يأمرهما بهذا الأسلوب بالتوبة، وفي حذف جواب الشرط وإقامة السبب الموجب للتوبة مكانه دلالة على عظم ما صدر منهما بحق رسول الله (ﷺ) واستهجان الله لهذا الفعل وشدة معاتبته إيَّاهما عليه، فحذف جزاء التوبة وأبقى سببها تذكيراً لهما بما فعلتا وبياناً لنعمة الله عليهما إذ منحهما فرصةً لتدارك الخطأ وتصحيحه بالتوبة .

وأكثر الجمل الَّتي شاع حذفها في السور موضع الدراسة هي جملة القسم، فقد كثر استعمال أسلوب القسم في السور موضع الدراسة بحذف جملته والاكتفاء بحرف القسم فيه، وهو يحمل دلالة على استغناء الله تعالى عن القسم لإثبات صدق كلامه، وإنَّما يقسم مجاراةً لهؤلاء الَّلذين اعتادوا القسم في توكيد ما يدَّعون في كلامهم، فجاء

---

[١] الطراز : ٢ / ٩٣

[٢] ينظر : روح المعاني : ٢٨ / ١٥٢

****

القرآن الكريم مستعملاً لهذا الأسلوب لكي يفهموا عظم الدعوة الَّتي يحملها لهم رسول الله (ﷺ) ويطمئنِّوا بصدق المفاهيم الَّتي يهدف إلى تبليغها وإيصالها للناس .

لذا يجد المتأمل في الأقسام القرآنيِّة أنَّ التصريح بجملة القسم جاء فقط في سياق النفي، ليؤكِّد القرآن الكريم صدق كلام الله ونفاذ حججه واستغنائه عن أن يقسم لإثبات صحة ما يقول، وإنَّما يقسم لحاجة العباد إلى الاطمئنان إلى الدعوى استناداً إلى ما ألفوه من سنن التخاطب بينهم، فأقسم لهم في مواضع عدة، وذلك من عظيم رأفته بعباده ورغبته في هدايتهم والارتقاء بهم لما يرد منهم من علو منزلة وصدق إيمان فيسلكوا صراط الهدى ويلجوا سبيل النجاة (*)

(*) وقد تقدَّم في الفصل الثاني تفصيل ذلك عند الحديث عن دلالة أسلوب القسم .

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على رسوله (ﷺ)وآله الطاهرين أبداً.

بعد رحلة البحث الممتعة مع آيات الذكر الحكيم وصل بنا المطاف إلى نهاية الرسالة وقد استوت على جودي الخاتمة لبيان أهمِّ ما توصل إليه الباحث من نتائج . وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ بعض هذه النتائج ليست من اكتشاف هذه الرسالة وإنَّما سبق أن توصل إليها باحثون آخرون، ولكن النتيجة عندما يتوصل إليها الباحث بنفسه تختلف كثيرا عنها عندما يقرأها عند غيره أو يسمعها منه . وأهمَّ النتائج الَّتي توصلت إليها الرسالة هي :

- الأثر الفاعل للسياق في إنتاج الدلالة، فإنَّ لكلِّ ظاهرة دلالاتٍ عدة يذكرها الدارسون كدلالات (التنكير والتعريف، والاستفهام، والقسم، والتقديم والتأخير، وغيرها)، إلا أنَّ للسياق دوره في إنتاج دلالات لا يمكن حصرها لأنَّها تختلف من سياق لآخر بحسب القرائن الَّتي تحيط بالظاهرة، ويمكن القول إنَّ لكلِّ سياق دلالاته الَّتي تنتجها قرائنه .
- تظافر القرائن السياقيَّة على إنتاج الدلالة الواحدة، فمثلا في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾(الممتحنة: من :٤) اجتمع التنكير والإفراد وحرف الجر التبعيضي (من) للدلالة على التقليل في (شيء) .
- توالد الدلالات بعضها من بعض، فمثلا في قوله تعالى : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦﴾ (البلد) دلَّ إفراد (رقبة، ويتيم، ومسكين) على التقليل ومنه تتولَّد دلالة التسهيل ومنها تتولّد دلالة الترغيب .

****

- ينبغي لدارس القرآن الكريم أن يقارن بين استعمالات القرآن الكريم للظواهر من آية لأخرى للوقوف على دقة التعبير القرآني وحسن التوظيف فيه .
- حاجة المحلِّل القرآني إلى الاستعانة بالقرآن نفسه للوقوف على دلالات آياته الشريفة، أي أنَّنا بحاجة إلى منهج يتبنى تحليل القرآن بالقرآن، كما هو موجود في منهج تفسير القرآن بالقرآن، فعلى سبيل المثال توصَّلت الدراسة إلى صحة دلالة (اليدين) في قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ (المسد) على نسبة الأعمال الَّتي تصدرها الجوارح الأخرى إليهما من خلال الاستهداء بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ .
- ضرورة الاستعانة بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهله بيته الطاهرين (عليهم السلام) في تحليل النص القرآني؛ فهم أهل القرآن وأعلم النَّاس به .
- غلبة القصر والإيجاز على البنى التركيبيَّة في السور المكيَّة ،والتطويل في السور المدنيَّة؛ وذلك لما يقتضيه المقام في كليهما .
- غلبة دلالات الوعظ والتوبيخ والتخويف والتحدي والذمّ وإيناس الرسول(صلى الله عليه وآله) وتشجيعه في السور المكيَّة والخطاب الموَّجه إلى المعاندين في السور المدنيَّة، ودلالات الوعظ والإرشاد والتوجيه والتشريع والمدح في السور المدنيَّة .
- من النتيجتين السابقتين تقترح الدراسة أن يُدرس الخطاب القرآني بين السور المكيَّة والمدنيَّة دراسة مقارنة .
- إنَّ دلالة استعمالٍ ما تكمن في إمكانيَّة استعماله بغيره، فيُبحث في الدلالة الَّتي جعلت هذا الاستعمال أليق من غيره في السياق .

****

- تنفي الدراسة ما يسمَّى بظاهرة التحويل في الصيغ الصرفيِّة، فليس (الصمد) يراد به (المصمود)، ولا (دافق) يراد به (مدفوق)، ولا (راضيَّة) يراد به (مرضيَّة)، وإنَّما هي استعمالات أريد بها صيغتها الصرفيَّة الَّتي جاءت عليها لدلالات يقتضيها السياق .
- إنَّ أسماء التفضيل (خير وشر وحبَّ) تستعمل في التفضيل على غير صيغة (أفعل) شذوذا .
- فرقت الدراسة بين مصطلحي الانزياح والعدول فعرفت الانزياح بأنه ((خروج عن المألوف القواعدي مع إزاحة القاعدة))، والعدول ((خروج عن المألوف ضمن حدود القاعدة)) .
- هيمنت دلالات التعظيم والتفخيم والتخصيص والتعميم والتهويل والتخويف والوعظ والاستغراق والشموليَّة، على استعمال التنكير والتعريف في السور المدروسة .
- أبرز دلالات الإفراد في السور المدروسة هي الدلالة على التقليل والدلالة على الوحدة والدلالة على التسهيل والدلالة على الترغيب .
- دلت التثنية في السور موضع الدراسة على العدد إثنين والمجاز السببي والتقليل والتعميم .
- أبرز الدلالات المهيمنة على استعمال الجمع في السور المدروسة هي دلالات التكثير والعموم والتعظيم والتهويل والشدة والقوة والتحدي والتهديد .
- أبرز دلالات الجمود في السور المدروسة هي الدلالة على الدوام والثبوت، والدلالة الإنذار الشديد والدلالة على التخويف .
- أبرز الدلالات الَّتي أفادتها المشتقات في السور المدروسة هي الدوام والثبوت والمشاركة والاستمراريَّة والكثرة والمبالغة والعموم

****

والخصوص والخضوع والانقياد والدلالتان الأخيرتان مختصتان باسم المفعول .

- أفادت الإحالة في السور المدروسة الدلالة على نسبة المحال إلى المحال عليه ودلالة التوكيد ودلالة التعظيم ودلالة التهويل ودلالة القرب ودلالة المدح التحقير .
- دلَّ التكرار في السور المدروسة على المغايرة والتعظيم والتوكيد والتهويل .
- دلَّ العطف في السور المدروسة على الجمع بين الأشياء وترتيب وقوعها، وهذا يؤدي إلى دلالة التنظيم، وأفاد أيضا دلالة الاهتمام والسببيَّة .
- تضمنت دلالة الثبوت في الجملة الاسميَّة دلالات التفاؤل والتحدي والاستمرار .
- تعدد الخبر في الجمل التي يكون فيها المسند إليه لفظ الجلالة أو يدل على الله تعالى ممَّا يدل على كمال الله تعالى واستغنائه وعظيم قدرته، وقد جاءت الأخبار المتعددة متناسبة فيما بينها، ومتناسبة مع السياقات التي وردت فيها، وهذا من عظيم قدرة القرآن الكريم في التعبير .
- طل بناء الجملة الاسميَّة في السور موضع الدراسة للدلالة على المدح والثناء والعظيم والأمان والطمأنينة للعباد والوعظ والإرشاد والتوكيد والتخصيص .
- أفاد البناء للمجهول في السور المدروسة الدلالة على التعظيم والتهويل والتهديد .
- شيوع ظاهرة النفي في الجملة الفعلية ودلالتها على الردع والزجر والتحدي .

****

- هيمنت دلالات التوبيخ والوعظ والارشاد والتمثيل والانكار التقريري والتشويق والترغيب والتقرير والتخويف .
- ابرز دلالات الامر في السور موضع الدراسة هي : الوعظ والارشاد والتوجيه والتحدي والعتب والتوبيخ والتعجيز والاستحقاق .
- ابرز دلالات النهي الوعظ والارشاد .
- تمازج النداء مع الاساليب الاخرى واقترنت دلالاته بدلالاتها وابرز دلالاته هي الامر والنهي والارشاد والتوجيه والدعوة الى التفكر والاعتبار والتحسر والتوبيخ والتوكيد والمبالغة .
- إفادة القسم بيان أهمية الأمر المقسم عليه والحث على التفكر في الموجودات المقسم بها للوصول إلى التأمل في أمر خالقها وعظمته وقدرته .
- دل القسم على التحدي والتوكيد والتعظيم والنفي والتمثيل .
- دقة القرآن الكريم في رعاية التناسب بين المقسم به والمقسم عليه وسياق الكلام، في استعمال أسلوب القسم .
- أبرز دلالات الشرط في السور موضع الدراسة هي : الاستئناف والرغبة في إظهار الأمر والحث عليه والأمر عند اقترانه بفعل الأمر، والسبر والتقسيم والوعظ والإرشاد والتهديد .
- يتعدد الشرط والجواب واحد في مواضع التهويل والتعظيم .
- ترد أداة الشرط (إذا) في سياق الحتمية والقطع، و(إن) في سياق الاحتمال . وقد أبدع القرآن في توظيف الأداتين والتفريق بينهما .
- مجيء أداة الشرط (من) الدالة على العاقل في سياق النهي عن الذنوب والآثام للدلالة على التحذير والتهديد والوعيد سواء ارتبط الحكم بالمفرد أو بالجماعة . وتأتي في سياق مدح العمل الصالح وبيان جزائه للدلالة

****

على الحث عليه والترغيب فيه والوعد الحسن لمن يستجيب لأمر به ويمتثل أوامره .

- أبرز ما دلت عليه أداة الشرط (لو) الامتناع واستحالة الوقوع .
- يكثر استعمال أداة الشرط (أمَّا) في مواضع التكرار المرتبط بقضايا قبلها لتدل السبر والتقسيم ، وتدل ايضا على التوكيد .
- أبرز الدلالات التي أفادها التقديم والتأخير هي : الاختصاص والمدح والثناء والتوكيد والتهويل والاهتمام والتشويق والتوجيه والإرشاد وبيان فضل الله على عباده والدلالة على الاختصاص السياقي، وهو أن يكون الحكم مختصا بالتقدم ضمن حدود السياق الذي ورد فيه التعبير .
- تضفي النواسخ على التقديم والتأخير دلالة أخرى بحسب الناسخ الذي تقترن به عملية التقديم والتاخير .
- هيمن في استعمال الحذف دلالات الاختصار والتعظيم والسرعة في الأداء والتحذير والتعميم والتحقير والتصغير .
- دلالة حذف مفعول المشيئة على التعظيم بخلاف ما قرره الجرجاني من ان الحذف في مفعول المشيئة يكون في ما لا يكبره السامع .

وفي الختام أحمد الله تعالى بجميع محامده كلها على جميل نعمه وفواضل امتنانه .

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**
- **آلاء الرحمن في تفسير القرآن :** محمد جواد البلاغي النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- **أبنية الصرف في كتاب سيبويه :** د. خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ساعدت جامعة بغداد على نشره .
- **الإتقان في علوم القرآن:** الحافظ أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق : مركز الدراسات القرآنيَّة، المملكة العربيَّة السعوديَّة - وزارة الشؤون الإسلاميَّة والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .د.ت
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب :** أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥)، تحقيق وشرح ودراسة : د. رجب عثمان محمد، مراجعة : د.رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :** محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي – جدة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع . د.ت
- **أسرار التكرار في القرآن المسمَّى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان :** محمود بن حمزة الكرماني (ت ٥٠٥هـ)، دراسة وتحقيق : عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التوَّاب عوض، دار الفضيلة.د.ت

****

- **أسلوبية البناء الشعري دراسة في شعر أبي تمام :** أ.د سامي علي جبار، دار السيَّاب - لندن ، ط١، ٢٠١١ .
- **الأسلوبية والأسلوب :** د. عبد السلام المسدي، الدار العربيَّة للكتاب، ط٣ . **د.ت**
- **اشتقاق أسماء الله :** أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق : أ.د. عبد الحسين المبارك، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- **الأصول في النحو :** أبو بكر محمد بن سهل ابن السرَّاج البغدادي النحوي (ت٣١٦)، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظريَّة تطبيقيَّة التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة :** د.عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصريَّة، صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية :** د. مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ .
- **إعراب القرآن :** أبو جعفر محمد بن محمد بن إسماعيل النحَّاس (ت٣٣٨)، تحقيق : د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربيَّة، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .
- **إعراب القرآن الكريم وبيانه :** محي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ط٧، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- **الأقسام القرآنية :** الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

****

- **أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة :** د. فاضل مصطفى الساقي، تقديم : د. تمَّام حسَّان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ساعدت جامعة بغداد على نشره .
- **الله والإنسان في القرآن :** توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة وتقدِّيم : هلال محمد الجهاد، المنظَّمة العربيَّة للترجمة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٧ .
- **أمالي ابن الشجري :** هبة الدين علي بن محمد بن حمزة العلوي (ت٥٤٢)، تحقيق : د. محمود محمد الطنَّاحي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ .
- **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :** آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام - قم، ط١، ١٤٢١هـ .
- **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال :** أحمد بن محمد الإسكندري، مطبوع بهامش الكشَّاف، تحقيق وشرح ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوَّض، شارك في تحقيقه : فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب :** د. عباس رشيد الددة، **دار** الشؤون الثقافيَّة العامة، بغداد العراق،ط١، ٢٠٠٩م .
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي :** ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان .د.ت

****

- **أنوار الربيع في ألوان البديع :** السيد علي صدر الدين ابن معصوم المدني (ت١٢٢٠هـ)، حقّقه وترجم لشعرائه : شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- **الإيضاح في علل النحو :** أبو القاسم الزجاجي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق : د. مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- **الإيضاح في علوم البلاغة :** الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح : د. محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهريَّة للتراث، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- **بحار الأنوار:** العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان .د.ت
- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد :** أبو العبَّاس أحمد بن محمد ابن المهدي ابن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق : عمر أحمد الراوي، راجعها ودقَّقها وقارنها على الأصل المخطوط : عبد السلام العمراني الخالدي العرائشي، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- **بحوث نحوية في الجملة العربية :** د. عبد الخالق زغير عدل، رند للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.
- **بحوث ودراسات في تراثنا النحوي واللغوي :** أ.د. فاخر الياسري، دار الحامد للنشر والتوزيع، الملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
- **البرهان في علوم القرآن :** بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- **البلاغة الاصطلاحية :** د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- **البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد :** عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، دار القلم - دمشق، دار الشاميَّة - بيروت، ١٤١٦ - ١٩٩٦ .
- **البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني:** د. فضل حسن عبَّاس، دار الفرقان للطباعة وللنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ .
- **البلاغة والأسلوبية :** د. محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر- لونجمان، ط١، ١٩٩٤ .
- **بناء الجملة العربية** : د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣ .
- **البيان في تفسير القرآن:** آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، مؤسسة إحياء تراث الإمام الخوئي، قم – إيران، ط٣٠، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- **البيان في روائع القرآن** : د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- **تاج العروس من جواهر القاموس** : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق : عبد الستار أحمد فرَّاج، مطبعة جكومة الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- **تأوِّيل مشكل القرآن :** ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر.**د.ت**
- **التأويل النحوي في القرآن الكريم :** د.عبد الفتَّاح أحمد الحمُّوز، مطبعة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربيَّة السعوديَّة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

****

- **التِّبيان في تفسير القرآن :** شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٣م .
- **التتمة في التصريف :**أبو عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن القبيصي، تحقيق ودراسة : د.مسلم بن سالم العميري، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- **تجليَّات الدلالة الإيحائيَّة في الخطاب القرآني في ضوء اللسانيَّات المعاصرة سورة التوبة أنموذجاً :** د.فخريَّة غريب قادر، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن،ط١، ١٤٣٢- ٢٠١١ .
- **التسهيل لعلوم التنزيل :** أبو القاسم محمَّد بن احمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ) ، ضبطه وصحَّحه وخرَّج آياته : محمَّد سالم هاشم، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
- **تصريف الأسماء والأفعال** ، د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- **التطور النحوي للغة العربيَّة :** برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلَّق عليه : د.رمضان عبد التوَّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ .
- **التعبير القرآني :** د.فاضل السامرائي، دار عمَّار، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- **التفسير الأصفى :** الفيض الكاشاني (ت١١٠٩هـ)، تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميَّة، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ .
- **تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم :** قاضي القضاة أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تحقيق : د. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة السعادة . د.ت

****

- **تفسير البحر المحيط :** محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتعليق وتحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي الجمل، قرَّضه : أ.د عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م .
- **تفسير البغوي (معالم التنزيل) :**الحسين ابن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ .
- **التفسير البياني للقرآن الكريم :** د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبيَّة ٢٥ .
- **تفسير التحرير و التنوير :** محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسيَّة للنشر - تونس ، ١٩٨٤ .
- **تفسير الثعالبي المسمَّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن :** عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي (ت٨٧٥هـ)، حقَّق أصوله وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه : الشيخ على محمد معوَّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وشارك في تحقيقه : الأستاذ الدكتور عبد الفتَّاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب :** محمد الرازي فخر ابن العلَّامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ .

****

- **تفسير القرآن العزيز :** أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، (ت٣٩٩هـ)، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- **تفسير القرآن العظيم:** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله (ﷺ) والصحابة والتابعين:** الحافظ عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق : أسعد محمد الطيِّب، إعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧.
- **تفسير القمي :** علي ابن إبرهيم بن هاشم القمي (٣٠٤هـ)، دار الجزائري، قم المقدسة، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م، ط٣ .
- **تفسير المراغي :** أحمد مصطفى المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥ .
- **تفسير سورة الممتحنة :** آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم - مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، ٢٠٠٦.
- **تفسير نور الثقلين :** ابن جمعة الحويزي (ت١١١٢هـ)، منشورات اسماعيليان، قم المقدسة، ١٤١٥هـ، ط٤.
- **التوحيد :** الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرِّسين في الحوزة العلميَّة في قم د.ت.

****

- **جامع البيان في تأويل القرآن** : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- **جامع الدروس العربيَّة** : الشيخ مصطفى غلاييني، المكتبة العصريَّة - صيدا بيروت، ط٢٨، ١٩٩٣ .
- **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور :** ضياء الدين بن الأثير الجزري، قام بتحقيقه والتعليق عليه : الدكتور مصطفى جواد، والدكتور جميل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- **الجامع لأحكام القرآن :** أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، صحَّحه وعلَّق عليه : أحمد عبد العليم البردوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٥م .
- **الجملة الاسمية :** د.علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- **الجملة العربية تأليفها وأقسامها :** د. فاضل السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزِّعون، ط٣، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ .
- **الجملة في الشعر العربي :** د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١ ، ١٤١٠ - ١٩٩٠ .
- **الجنى الداني في حروف المعاني :** الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، د. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- **حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفيَّة ابن مالك:** محمد بن علي الصبَّان، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقيَّة، مصر . د.ت

****

- **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة :** الشيخ يوسف البحراني(ت ١١٨٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرفة – إيران، د.ت
- **الخصائص :** أبو الفتح عثمان بن جنّي، بتحقيق : محمد علي النجَّار، دار الكتب المصرية القسم الأدبي، المكتبة العلميَّة . د.ت
- **خطرات في اللغة القرآنية:** د. فاخر الياسري، دار الشؤون الثقافيَّة، سلسلة الموسوعة الثقافيَّة ٥٣، ٢٠٠٨ .
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون :** أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت٧٥٦هـ) تحقيق : د. أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم - دمشق .د.ت
- **دروس التصريف في المقدِّمات وتصريف الأفعال :** محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتصدير والتوزيع، ٢٠٠٩ .
- **الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية : د. صفية مطهري**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ـ ٢٠٠٣
- **دلالة البنية الصرفية في السور القرآنية القصار :** د. جلال الدين يوسف العيداني، دار الراية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة، ط١، ١٤٣١هـ - ١٤٣١م .
- **دلائل الإعجاز :** عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلَّق عليه : أبو فهر/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني المؤسسة السعوديَّة في مصر، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ .
- **دور البنية الصرفيَّة في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها :** لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير: الأردن – عمَّان، ط١، ١٤٤١هـ - ١٩٩٤م .

****

- **ديوان الأدب :** أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت٣٥٠)، تحقيق : د.أحمد مختار عمر، مراجعة : د.إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- **ديوان الحطيئة :** شرح : أبو الحسن السكري، اعتني بتصحيحه : أحمد بن الأمين الشنجيطي، مطبعة التقدم - مصر .**د.ت**
- **ديوان امرئ القيس :** تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر، ط٥ .د.ت
- **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني** : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي الآلوسي (ت١٢٧٠)، عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيريَّة – دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان . د.ت
- **زاد المسير في علم التفسير :** جمال الدين البغدادي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- **الزاهر في معاني كلمات الناس :** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ هـ -١٩٩٢، ط١ .
- **سورة التحريم دراسة وتحليل :** د. قيس حسين مهدي أحمد الزيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلاميَّة – الوقف السنيِّ، سلسلة الدراسات الإسلاميَّة المعاصرة ٦٩، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- **شذا العرف في فنِّ الصرف** : الشيخ أحمد الحملاوي، مراجعة وشرح : حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٩ .
- **شرح ابن عقيل :** قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله ابن عقيل الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل في تحقيق شرح ابن عقيل تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة، ط٢٠، ١٤٠٠- ١٩٨٠.

****

- **شرح الرضي على الكافية :** الرضي الأسترأبادي، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس – بنغازي، ط٢، ١٩٩٦ .
- **شرح المفصل :** جامع الفوائد موفق الدين يعيش ابن علي ابن يعيش النحوي، المطبعة المنيريَّة .
- **شرح ديوان عنترة :** الخطيب التبريزي، قدَّم له ووضع هوامشه : مجيد طراد، دار الكتاب العربي .د.ت
- **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري،** شرحه وقدَّم له :د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢ .
- **شرح شافية ابن الحاجب :** الشيخ رضي الدين محمد ابن الحسن الأسترأباذي النحوي، مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها الأساتذة : محمد نور الحسن، محمد الزقراف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ .
- **شرح كتاب الحدود في النحو :** عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت٩٧٢)، تحقيق : د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة - السعوديَّة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- **شرح نهج البلاغة :** ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة -مصطفى البابي الحلبي وإخوانه، ط١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
- **الشرط في القرآن على نهج اللسانيَّات الوصفيَّة :** د.عبد السلام المسدي ود.عبد الهادي الطرابلسي، الدار العربيَّة للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٥ .
- **الصاحبي في فقه اللغة :** أحمد بن فارس (ت٣٩٥)، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربيَّة .د.ت

****

- **الصحيفة السجاديَّة :** الإمام زين العابدين علي ابن الحسين السجاد (عليه السلام)، مؤسسة مسجد السهلة المعظَّم، دار المتَّقين، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- **الصرف الواضح :** عبد الجبار علوان النايلة، مديريَّة دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- **ظاهرة التَّخفيف في النحو العربي :** د. أحمد عفيفي، الدار المصريَّة اللبنانيَّة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- **علم المعاني دراسة بلاغيَّة ونقديَّة لمسائل المعاني :** د. بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة وهبة - القاهرة . د.ت
- **على طريق التفسير البياني :** د. فاضل السامرائي، النشر العلمي ٢٤- جامعة الشارقة، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
- **الفروق اللغويَّة :** أبو هلال العسكري، حققه وعلَّق عليه : محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة . د.ت
- **الفعل في نحو ابن هشام :** د. عصام نور الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٧ .
- **فقه القرآن :** قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت٥٧٣هـ)، تحقيق : السيد أحمد الحسيني، باهتمام : السيد محمود المرعشي، مطبعة الولاية – قم، ط٢ .د.ت
- **في البلاغة العربية علم المعاني :** د. عبد العزيز عتيق، منشورات دار النهضة العربيَّة، بيروت – لبنان، ط١ . د.ت
- **في النحو العربي نقد وتوجيه،** د. مهدي المخزومي : منشورات المكتبة العصريَّة، صيدا – بيروت، ط١، ١٩٦٤ .

****

- **كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم :** أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق : د. سالم الكرنكوي، دار الكتب المصريَّة – القاهرة، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١ م .
- **كتاب الجمل في النحو:** أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٤٠هـ) ، حقَّقه وقدَّم له : الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة – دار الأمل، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ساعدت جامعة اليرموك على نشر تحقيقه .
- **كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل :** أبو محمد عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعُودي .د.ت
- **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز :** يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب الخديويَّة، مطبعة المقتطف – مصر، ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م .
- **كتاب العين :** الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥)، تحقيق : د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس .**د.ت**
- **الكتاب كتاب سيبويه:** أبو بشر عمرو ابن عثمان ابن قنبر، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ .
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :** جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق وشرح ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوَّض، شارك في تحقيقه : فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **كفاية الأصول :** الشيخ الآخوند الخراساني (ت١٣٢٨هـ)، مطبعة مهر – قم امقدسة، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٠م، ط١.

****

- **الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة :** أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤)، قابله على النسخة الخطيّة وأعده للطبع ووضع فهارسه : د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت -لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- **كتاب مشكل إعراب القرآن :** مكي ابن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق : ياسين محمد السواس، دمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤.
- **اللباب في علوم الكتاب :** أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمَّد عوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعيَّة : د. محمَّد سعد رمضان حسن، د. محمد المتولي الدسُّوقي حرب، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- **لسان العرب :** ابن منظور، دار صادر – بيروت، د.ت.
- **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب :** محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٢، ٢٠٠٦ .
- **لغة القرآن الكريم :** د. عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، عمَّان – الأردن، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- **لغة القرآن الكريم ، دراسة لسانية للمشتقات في الربع الأول :** د. بلقاسم بلعرج، دار العلوم للنشر والتوزيع، الحجاز . د.ت
- **لمسات بيانيَّة في نصوص من التنزيل :** د. فاضل السامرائي، دار عمَّار، ط٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

****

- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:** ضياء الدين ابن الأثير، قدَّمه وحقَّقه وعلَّق عليه : أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة . د.ت

- **مجمع البيان لعلوم القرآن :** أبو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلاميَّة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز :** القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- **المحيط في أصوات العربيَّة ونحوها وصرفها :** د. محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي – بيروت . د.ت

- **مسند أحمد بن حنبل :** أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة .**د.ت**

- **معاني الأبنية في العربيَّة :** د. فاضل السامرائي، دار عمَّار، عمَّان – الأردنّ، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

- **المعاني في ضوء أساليب القرآن :** د.عبد الفتَّاح لاشين، دار الفكر، القاهرة ،١٩٧٨، ط٣ .

- **معاني القرآن :** أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء، (ت ٢٠٧هـ) تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار السرور - سوريا .د.ت

- **معاني القرآن وإعرابه :** الزجاج أبو إسحاق إبراهيم ابن السرِّي (ت ٣١١)، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ .

- **معاني النحو :** أ.د. فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة.**د.ت**

****

- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:** ابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح : د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- **مفاتيح الجنان :** الشيخ عبَّاس القمِّي، تعريب : السيد محمد رضا النوري النجفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- **مفتاح العلوم :** أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن علي السكَّاكي، (ت٦٢٦)، تحقيق : أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة – بغداد، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م . ساعدت جامعة بغداد على نشره .
- **المفردات في غريب القرآن :** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت لبنان .
- **مقالات في الأسلوبيَّة :** د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط١، ٢٠٠٢ .
- **المقتضب :** أبو العبَّاس محمد بن يزيد المبرِّد، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف المصريَّة - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م .
- **المقرَّب :** علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري، يحيى الجبوري، ط١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل :** أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق : سعيد الفلَّاح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- **من أسرار اللغة :** د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريَّة – القاهرة، ط٨ **د.ت.**

****

- **من بلاغة القرآن :** د. أحمد أحمد بدوي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥ .
- **منَّة المنَّان في الدفاع عن القرآن :** آية الله العظمى السيد محمد الصدر، إصدارات مركز الدراسات التخصصيَّة في فكر السيد الشهيد محمد الصدر(٢٢)، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
- **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع :** أبو محمد القاسم السلجماسي، تقدِّيم وتحقيق : علال الغازي، مكتبة المعارف،الرباط - المغرب، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .
- **المنهج الصوتي للبنية العربيَّة – رؤية جديدة في الصرف العربي :** د.عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠ .
- **مواهب الرحمن في تفسير القرآن :** عبد الكريم محمد المدرس، عني بنشره : محمَّد علي القره داغي، ط١، دار الحريَّة للطباعة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- **الميزان في تفسير القرآن :** السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، قم المقدسة - إيران .د.ت
- **نتائج الفكر في النحو :** أبو القاسم عبد ارحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١)، حقَّقه وعلَّق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمَّد معوَّض، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- **نحو القرآن :** د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ .
- **نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي :** د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، ط١، ٢٠٠١ .

****

- **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغويَّة المتجددة :** د. عباس حسن، دار المعارف – مصر . د.ت
- **نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصَّاً :** د. الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٩٣م .
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :** برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .
- **النعت في التركيب القرآني :** د. فاخر الياسري، دار الشؤون الثقافيَّة، ٢٠٠٩.
- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز :** فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(ت ٦٠٦)، عارضه بأصوله وحقَّقه وعلَّق عليه : د. نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر – بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع :** جلال الدين السيوطي (ت٩١١)، تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم، أ. عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

الرسائل والأطاريح الجامعيَّة

- **أسلوبيَّة اللغة عند نازك الملائكة :** جبَّار هليل المياحي أطروحة دكتوراه كليَّة التربيِّة (صفي الدين الحلي) - جامعة بابل، بإشراف : الأستاذ الدكتور : علي ناصر غالب، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
- **اسم الموصول في القرآن الكريم :** حسين عودة هاشم، كليَّة التربية – جامعة البصرة، بإشراف : أ.م.د فاخر هاشم الياسري .

****

- **البنى النحوية وأثرها في المعنى :** أحمد عبد الله حمود العاني، أطروحة دكتوراه، كليِّة الآداب – جامعة بغداد، بإشراف : د. هدى محمد صالح الحديثي، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- **الجملة في القرآن الكريم دراسة أسلوبيَّة دلاليَّة :** عدنان خالد فضل المرابحي، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب – جامعة البصرة، بإشراف : أ.د عدنان عبد الكريم جمعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- **حذف المفعول به في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية :** سعد حسين العبيدي، رسالة ماجستير، كليَّة التربيَّة – جامعة تكريت، بإشراف : الأستاذ الدكتور جمعة حسين محمد البيَّاتي، ١٤٣٢هـ - ٢٠٠١م .
- **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** : مروان محمد سعيد عبد الرحمن، رسالة ماجستير، كليَّة الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنيَّة، بإشراف : أ.د خليل عودة، ٢٠٠٦ .
- **ظواهر أسلوبيَّة وفنيَّة في سورة النحل :** أسامة عبد المالك إبراهيم عثمان رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة النجاح الوطنيَّة، بإشراف الدكتور : خليل عودة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- **الفعل في معاني القرآن للفراء دراسة نحويَّة :** طالب خميس وادي، رسالة ماجستير، كليَّة التربية ابن رشد - جامعة بغداد، بإشراف : الأستاذ الدكتور عبد الرحمن مطلك وادي الجبوري، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- **القرائن العلائقيَّة وأثرها في الاتساق سورة الأنعام أنموذجاً :** سليمان بوراس رسالة ماجستير كليَّة الآداب - جامعة الحاج خضر باتنه - الجزائر، بإشراف : أ.د فرحات عيَّاش، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩ .

****

- **القسم في القرآن الكريم تركيباً ودلالة :** عبد الله علي عبد الله الهتاري، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب – جامعة اليرموك، بإشراف : أ.د سمير شريف ستيتيَّة، ١٩٩٩م .
- **قصار السور دراسة أسلوبيَّة :** كريم طاهر عباس البعَّاج، رسالة ماجستير كلية التربيَّة – جامعة بابل، بإشراف : أ.م.د علي إبراهيم محمَّد، أ.م.د عامر عمران الخفاجي .
- **لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل دراسة أسلوبيَّة دلاليَّة :** لافي محمد محمود،رسالة ماجستير، كليَّة الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنيَّة، بإشراف : أ.د خليل محمد عودة، أ.د يحيى عبد الرؤوف جبر، ٢٠١٠م .
- **مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب :** محمد مشري،أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب واللغات – جامعة منتوري – الجزائر، بإشراف : أ.د سامي عبد الله أحمد الكناني، ١٤٢٩- ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م .

البحوث والدوريّات

- **الانزياح وتعدد المصطلح :** أحمد محمد ويس، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، مج٢٥، ع٣، يناير/مارس، ١٩٩٧ م .
- **أسماء الذات أصولها ودلالتها في السياق :** أ. محمود الحسن، بحث منشور مجلة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، مج٨٢، ج١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م .
- **البدائل الأسلوبيَّة :** د. عبد المنعم عبد الحليم سيد ، بحث منشور في مجلة علوم اللغة، مج٣ ع١ ٢٠٠٠ م.
- **البنيات الأسلوبية في شعر أبي تمام :** أ.د. سامي علي جبار، بحث منشور في مجلة المورد، مج٣٧ ع١ ٢٠١٠م .

****

- **التقديم والتأخير بين الإمام عبد القاهر والمتأخرين :** د.الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت،بحث منشور في مجلة حوليَّة كليَّة اللغة العربيَّة بالقاهرة، جامعة الأزهر .
- **جماليَّات التركيب بين الشعر في التراث البلاغي والنقدي:** د. أحمد محمد ويس ، بحث منشور في مجلة علامات ، ج٥١ ، م١٣ ، محرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤م .
- **الدلالة التركيبيَّة بين النظرية والتطبيق سورة يوسف نموذجا :** د. نادية رمضان النجار، بحث منشور في مجلة علوم اللغة، مج١١، ع٢، ٢٠٠٨ م .
- **شعر نهار بن تسعة اليشكري : جمع وتحقيق :** د. خليل العطية، منشور في مجلة المورد، مج٤، ع٤، ١٩٧٥م .
- **مسوغات التقديم والتأخير في سورة البقرة :** د.هديل عبد الحليم داوود ، بحث منشور في مجلة أبحاث كليَّة التربية الأساسيَّة – جامعة الموصل ، مج٩ ، ع٤
- **معاني التراكيب النحوية والصيغ الصرفية في سورة المطففين :** د.علي جميل أحمد، بحث منشور في مجلة الآداب - كليَّة الآداب جامعة بغداد، ع٩٠، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- **المنهج الأسلوبي في الدراسات القرآنية عن تفسير سورة الفاتحة اختيارا :** أ.م.د. عواطف كنوش مصطفى، بحث منشور في مجلة كليَّة الآداب – جامعة البصرة .
- **النداء بين النحويين و البلاغيين :** مبارك تريكة، بحث منشور في مجلة حوليَّات التراث، ع٧ ، ٢٠٠٧ .

****

المواقع الألكترونيَّة

- **الإحالة في نحو النص :** د. أحمد عفيفي، موقع كتب عربيَّة .
www.**kutub**arabia.com